كلية الدراسات العليا

برنامج الماجستير في الدراسات الدولية

الهوية والمكان في ذاكرة النكبة المستمرة

"مخيم الجلزون" حالة دراسية"

Identity and Place in the Memory of the on-going Nakba: Jalazone camp as a Case Study

إعداد:

منى أحمد جابر عزام

إشراف

د. رنا بركات

2016

الهوية والمكان في ذاكرة النكبة المستمرة

"مخيم الجلزون" حالة دراسية"

Identity and Place in the Memory of the on-going Nakba: Jalazone camp as a Case Study

إعداد:

منى أحمد جابر عزام

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. رنا بركات: مشرفا ورئيساً

د. أباهر السقا: عضواً د.عاصم خليل: عضواً

"قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

2016

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الدراسات اتلعليا

برنامج الماستير في الدراسات الدولية

الهوية والمكان في ذاكرة النكبة المستمرة

"مخيم الجلزون" حالة دراسية"

Identity and Place in the Memory of the on-going Nakba: Jalazone camp as a Case Study

إعداد:

منى أحمد جابر عزام

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. رنا بركات: مشرفا ورئيساً

د. أباهر السقا: عضواً

د.عاصم خليل: عضواً

تاريخ المناقشة:

8/10/2016

الإهداء

الوجع الجميل والحضن البعيد القريب

فلسطين...

عنوان الحب ومرسى الشوق

روح أمي الطاهرة

أبي وتعجز الكلمات

الإيثار والتضحية والجمال

إخوتي وأخواتي

نبض قلبي وترنيمة الروح

زوجي أحمد

كياني وإشراقة حياتي

طفلتي ضحى

الحب اللامنتهي

طفلتي جهاد

الجنود المجهولون

أصوات المبحوثين

زميلاتي وزملائي وكل من ساندني

لإنجاز هذا العمل.

منى عزام

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتورة رنا بركات مشرفة رسالتي، ورئيسة لجنة المناقشة، على الجهود الحثيثة والتوجيهات القيّمة التي بذلتها خلال فترة عملي لإنجاز هذه الرسالة، وتحمّلها لظروفي المتكررة والمستمرة ومع ذلك كانت تقدّم لي الدعم النفسي والمعنوي باستمرار، فلا يسعني إلا أن أقول شكرا على أمل أن تكون هذه الكلمة تفيها حقها، ولن تستطيع.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من الدكتور أباهر السقا، والدكتور عاصم خليل، لقبولهما الانضمام للجنة الإشراف على تلك الرسالة.

الشكر موصول إلى أصحاب العطاء والتضحية، الذين آثروا على أنفسهم لإيصالي إلى تلك المرحلة، وأخص بالذكر أخي "جابر" الذي قدّم لي الكثير من الدعم والعون والقراءة والملاحظات خلال فترة إنجازي لهذه الدراسة، كما أشكر أخي "فارس" الذي لم يتوان لحظة واحدة عن رفدي بما أحتاج من دعم مادي ومعنوي ونفسي.

أقول شكرا لزوجي الذي دعمني بكل حب وإخلاص، وتحمّله فترات غيابي المتكررة، كما أنني أود أن أوجه الشكر لكل من أدلى بصوته الذي قامت عليه هذه الدراسة، وتعاونهم معي وتحمّلهم لساعات طويلة من الحديث لإتمام المقابلة، والتي قد امتدت إلى أكثر من جلسة، ومن المبحوثين من غيّبهم الفراق الأبدي فلروحهم الرحمة، الشاب أحمد حميدات، والحاج أبو حافظ رحمهم الله،

من لا يشكر الناس لا يشكر الله، أقول شكرا للأستاذ رمضان حميدات "أبو محمد" على ما بذله من جهود كبيرة، من تنسيق مع بعض العائلات، ومسؤولي المؤسسات الشعبية داخل المخيم، كما وأشكر الأستاذ يوسف شعبان غزاوي "أبو شعبان" على تفانيه في تدقيق هذه الدراسة لغوياً وإملائياً، وذلك دعماً منه للمسيرة التعليمية، أقول شكراً أيضاً لمركز حنين للخدمات، وأخص بالذكر صديقتي "ريفا" التي أسهمت في إخراج هذه الدراسة إلى النور بشكلها النهائي.

وأخيراً شكرا لكل من كان له أثر بصمة لإنجاح هذه الرسالة وإخراجها إلى حيّز الوجود.

منى عزام

المحتويات

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير.....ب

المحتويات .....ب

الفصل الأول: المقدمة والإطار النظري.....1

1.1 المقدمة:.....1

2.1 إشكالية الدراسة:.....3

3.1 فرضيات الدراسة:.....4

4.1 أهمية الدراسة:.....4

5.1 أهداف الدراسة:.....4

6.1 الإطار النظري:.....5

1.6.1 العلاقة بين الهوية والمكان حسب هابرماس:.....5

7.1 منهجية الدراسة:.....8

9.1 الصعوبات التي واجهت الدراسة:.....9

10.1 مراجعة الأدبيات:.....10

القسم الأول: "النكبة".....12

القسم الثاني: اللاجئون الفلسطينيون.....16

القسم الثالث: المخيمات الفلسطينية "مخيم الجلزون" بشكل خاص 18

القسم الرابع: الذاكرة الفلسطينية.....22

الفصل الثاني: الهوية والمكان في ذاكرة النكبة المستمرة.....26

2.2 الهوية الفلسطينية ما قبل حرب النكبة حسب الجيل الأول:..... 29

3.2 حكاية حرب النكبة "الرواية"حسب الجيل الأول: 44

1.3.2 عوامل الخروج: 45

2.3.2 الجهات المتآمرة والداعمة:..... 46

3.3.2 مسار الرحلة إلى المخيم: 48

4.2 الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة حسب الجيل الأول:..... 49

5.2 الهوية ما بعد حرب النكبة حسب الجيل الأول:..... 52

1.5.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى(1987م):..... 52

2.5.2 اتفاقية أوسلو (1993م): 54

6.2الهوية ما قبل حرب النكبة حسب الجيل الثاني:..... 55

7.2 حكاية حرب النكبة "الرواية" حسب الجيل الثاني:..... 58

1.7.2عوامل الخروج: 58

2.7.2 الجهات المتآمرة والداعمة:..... 59

3.7.2 مسار الرحلة إلى المخيم:..... 61

8.2 الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة حسب الجيل الثاني: 61

9.2 الهوية ما بعد حرب النكبة حسب الجيل الثاني: 65

1.9.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987م) :..... 65

2.9.2 اتفاقية أوسلو (1993م): 68

10.2 الهوية ما قبل حرب النكبة حسب الجيل الثالث: 69

11.2 حكاية حرب النكبة "الرواية" حسب الجيل الثالث:..... 73

1.11.2 عوامل الخروج:..... 73

2.11.2 الجهات المتآمرة والداعمة:..... 75

3.11.2 مسار الرحلة إلى المخيم:..... 78

12.2 الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة حسب الجيل الثالث: 78

13.2 الهوية ما بعد حرب النكبة حسب الجيل الثالث: 80

1.13.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987م):..... 80

2.13.2 اتفاقية أوسلو (1993م):..... 82

14.2 الخلاصة:..... 84

الفصل الثالث: مخيم الجلزون ومؤسسات المجتمع المدني الرسمي وانعكاساتها على اللاجئين..... 86

3.1 المقدمة:..... 86

2.3 مؤسسات المجتمع المدني الرسمي..... 86

1.2.3 وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" (1951–2014) حسب الجيل الأول: 86

1.1.2.3المرحلة الأولى "الخيام" (1949–1955) حسب الجيل الأول: 87

2.1.2.3 المرحلة الثانية– مرحلة بيوت الوكالة (1955–1975) حسب الجيل الأول: ... 89

3.1.2.3 المرحلة الثالثة – مرحلة التوسع الأفقي– النهضة العمرانية والتوسعة (1975–1995) حسب الجيل الأول:..... 92

4.1.2.3 المرحلة الرابعة: مرحلة التوسع الرأسي– التطور العمراني والإنفجار السكاني (1995–2014):..... 93

2.2.3 وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" حسب الجيل الثاني:..... 101

3.2.3وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" حسب الجيل الثالث:..... 103

4.3 الحكم الأردني (1948–1967) حسب الجيل الأول 105

1.4.3الواقع السياسي والجانب الأمني: 105

2.4.3 الجانب المعيشي وفرص العمل: 106

5.3الحكم الأردني (1948–1967) حسب الجيل الثاني:..... 107

6.3الحكم الأردني (1948–1967) حسب الجيل الثالث:..... 108

7.3 الاحتلال الاسرائيلي (1967–1987م) حسب الجيل الأول..... 110

1.7.3الحانب الأمني: 110

2.7.3 الجانب العملي والطفرة الإقتصادية:..... 111

8.3الإحتلال الإسرائيلي (1967–1987) حسب الجيل الثاني: 111

9.3الاحتلال الاسرائيلي (1967–1987) حسب الجيل الثالث: 112

10.3 السلطة الفلسطينية (1993–2014) حسب الجيل الأول..... 114

11.3السلطة الفلسطينية (1993–2014) حسب الجيل الثاني:..... 114

12.3السلطة الفلسطينية (1993–2014) حسب الجيل الثالث:..... 115

الفصل الرابع: النتائج والتوصيات..... 119

قائمة المصادر والمراجع:..... 122

الملاحق 131

قائمة المصادر الشفوية (مقابلات مسجلة):..... 131

الملخص

قامت هذه الدراسة على بحث آثار حرب النكبة والنكبة المستمرة على اللاجئين في تشكّل هويتهم الفلسطينية وانعكاس هذه الآثار على نشأة بيئة جديدة تمثّلت بالمخيم، وتم اختيار مخيم الجلزون كحالة للدراسة والتركيز على بنية المخيم في ظل تعاقب سلطات حكم مختلفة، التي اشتملت على مؤسسات المجتمع المدني الرسمي ابتداءً بوكالة الغوث الدولية "الأونروا" وصولاً للسلطة الوطنية الفلسطينية، اعتمدنا في هذه المحاور على صوت اللاجئين أنفسهم بالاستناد إلى ثلاثة أجيال "الأجداد ويمثلون الجيل الأول، الآباء ويمثلون الجيل الثاني، الأحفاد ويمثلون الجيل الثالث" ضمن الرواية الشفوية التي أدلوا بها.

اشتملت الدراسة على أربعة فصول، ناقش الفصل الأول حيثيات الدراسة والإطار النظري، في حين قام الفصل الثاني على دراسة الهوية والمكان في ذاكرة النكبة المستمرة، التي ارتكزت على تسليط الضوء على صورة الهوية الفلسطينية ما قبل حرب النكبة حسب الأجيال، التي تمثّلت بالرواية التي انتقلت بين الأجيال من حيث: عوامل الخروج، الجهات المتآمرة والداعمة، وأخيرا مسار الرحلة إلى المخيم، وأثر هذه المحاور على الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة، أما الفصل الثالث فتناول مخيم الجلزون ومؤسسات المجتمع المدني الرسمي ابتداء من وكالة الغوث الدولية وصولا للسلطة الوطنية الفلسطينية، وانعكاساتها على هوية اللاجئين، وأخيرا ناقش الفصل الرابع النتائج والتوصيات التي خلصت لها الدراسة.

Abstract

This study examined the effects of the 1948 Nakba and its enduring implications on the Palestinian refugees and identity, and on the resulted settings (the refugee camp). The Jalaone camp was chosen as a case study (Jalazone is Palestinian refugee camp, located 7 kilometers north of Ramallah). The study focused on the structure of the Palestinian camp under different ruling authorities. It also addressed the official civil society orgaizations working in the camps, starting from the UNRWA until the PNA. This study was based on the biographical narrative of the refugees three generations (grandparents represented the first generation, parents represented the second generation, grandchildren represented the third generation).

The study consisted of four chapters. Chapter I details of the research and its theoretical framework. Chapter II addressed identity and place in the memory of the ongoing Nakba, especially the image of the palestinan identity before the Nakba. The study followed the narrative handed down from generation in terms of the reasons of the exodus, conjuring and supporting parties, and journey to the camps. It presented the effect of these elements on the concepts of identity. Place and return. Chapter III dealt wit the jalazone camp and its official civil society instituions starting from the UNRWA until the PNA, as well as their impacts on the identity of the refugees. Chapter IV presented the final findings and recommendations of the study.

الفصل الأول

المقدمة والإطار النظري

1.1 المقدمة:

لم يكن ما تعرضت له فلسطين من احتلال للأرض واقتلاع للشعب مجرد حادثة تاريخية عابرة، بل استراتيجية صهيو/دولية مدروسة، في إطار واسع النطاق بدأت معالمه تظهر منذ صدور إعلان بلفور (1917م)، الذي منحت بريطانيا بموجبه وطنا قوميا لليهود بعد انتدابها على فلسطين في أعقاب هزيمة الدولة العثمانية، ولم يغفل الشعب الفلسطيني تلك الاستراتيجية بل حاول مقاومتها فكان اضراب 1936، والمعارك التي دارت رحاها في أنحاء مختلفة من فلسطين ضد الاستعمار البريطاني.

أعقب تلك الفترة العصيبة صدور قرار التقسيم[1]، "181" لعام 1947، الذي قرر إقامة دولتين على أرض فلسطين التاريخية أحداهما فلسطينية عربية والثانية يهودية، ورسمت خريطة التقسيم لتجعل لليهود 56% من أراضي فلسطين، و 42% للعرب، في الوقت الذي شكّل اليهود سكانيا ما نسبته 32% في ذلك الوقت، مقارنة بالعرب الذين كانوا يشكلون 68% من السكان،[2] إلا أن اليهود لم يكترثوا لذلك القرار الذي رفضه الفلسطينيون العرب أيضا باعتباره جاء على حساب ممتلكاتهم لصالح أقلية صهيونية يهودية أمعنت في عدوانها، فاحتلت نحو 78% من أراضي فلسطين خلال عدوان منظّم قامت به جماعات إرهابية صهيونية، اقتحمت القرى والمدن الفلسطينية بعد قصفها، ونفذت جرائم حرب بلغت ذروتها بطرد نحو 750.000 فلسطيني من بيوتهم وممتلكاتهم، خلال أوسع عملية تطهير عرقي في التاريخ المعاصر، لتصبح النكبة على إثر ذلك محورا للتاريخ الفلسطيني، وركيزة أساسية للذاكرة الفلسطينية،[3] التي نسجت حيثياتها في حوار الأفراد على امتداد تاريخهم، حول ما دار من أحداث وعمليات قتل وترهيب، أدت بهم إلى الضياع والتشرد، والهرب من وجه الموت المحدق الذي كان يلاحقهم، ليهيموا في الأرض يبحثون عن الأمان والمأوى، إلى أن تم إنشاء المخيمات الفلسطينية (59 مخيما) بمبادرة الأمم المتحدة لإيواء مئات آلاف الفلسطينيين لفترة مؤقتة حتى يحين

---

[1] عارف العارف، **نكبة فلسطين والفردوس المفقود.** (الجزء الأول. دار الهدى)، 27.
[2] طارق سويدان، ***فلسطين التاريخ المصور*** (الكويت: دار الابداع الفكري، 2005) 260 .
[3] إبراهيم شكيب أرسلان، **حرب فلسطين 1948: رؤية مصرية** (القاهرة: الزهراء للاعلام العربي1968)، 89.

موعد عودتهم إلى ديارهم المسلوبة في منطقتين منفصلتين في فلسطين سميتا ب (الضفة الغربية) التي خضعت لاحقا لحكم الأردن، ثم (قطاع غزة) الذي كان تحت الإدارة المصرية، كما انتشرت مخيمات اللاجئين التي قامت بإنشائها وكالة الغوث الدولية في دول مجاورة لفلسطين وهي لبنان، وسوريا، والأردن.

لقد اهتم الباحثون والكُتّاب بقضية المخيمات الفلسطينية، وقد ركزوا جل اهتمامهم على معاناة اللاجئين الفلسطينين واستعراضها في العديد من المجالات في الحياة اليومية، كالوضع المعيشي، والصحي، والتعليمي، والاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي، والجغرافي، والديموغرافي.

مع استمرار مأساة اللاجئين الفلسطينيين وتعثر الحلول والجهود السلمية بسبب الصلف الإسرائيلي ورفضها لقرارات الأمم المتحدة بشأن هذا الصراع الذي امتد لستة عقود ونصف، دون اكتراث لمعاناة المخيمات، أو تنفيذ حقهم بالعودة وفقا لقرارات الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الدولية، فقد أدت هذه الحالة إلى توارث المعاناة حتى شملت أجيالا فلسطينية منذ 1948 وحتى يومنا هذا، وبقاء هذه الحالة لفترة زمنية امتدت إلى عقود طويلة شملت أجيالا متعاقبة بدءا من جيل النكبة، مرورا بجيل من هجّر صغيرا، وتفتحت براعم طفولته تحت الأشجار أو المغر إلى أن استقر به المقام في خيمة، ومنهم من ولد في المخيمات يحمل على كاهل طفولته عبء اللجوء وعبء العيش في المخيم.

كما جاءت التنظيمات السياسية لتلعب دورا مهما وحيويا في تأطير أبناء المخيم وتنظيم جهودهم وتوجيهها نحو هدف جمعي أكبر من الانا الفرد والحمولة، بل أكبر من المخيم في إطاره الجغرافي وواقعة الديمغرافي فكان إرتقاء بالوعي وفهما أعمق للواقع الدولي والاقليمي والمحلي، مما أسهم في صقل الوعي وتقريب وجهات النظر في الاطار العام مع مراعاة التباين التنظمي الذي شكل بشكل أو بآخر حوارا حياً حضارياً، أو صداماً دموياً بين الأشقّاء في بعض الأحيان.

تعكف هذه الدراسة على محاولة فهم وتفسير كيف أثرت النكبة والنكبة المستمرة على صورة الهوية الفلسطينية للاجئين في المخيم على امتداد ثلاثة أجيال، عاش بعضها ولا زال يعيش في المخيم مكانيا أو فكريا، وفي مقدمتها الجيل الذي كان رأس حرب النكبة وعانى نتيجة لطرده من وطنه، لقد عاشت هذه الأجيال تحت وطأة أحكام مختلفة بدأت بالحكم البريطاني قبل اللجوء ثم الحكم الأردني بعد نشأة المخيم وبعد قيام الاستعمار الاستيطاني الصهيوني باحتلال بقية فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) أصبح السكان يعيشون تحت احتلال عسكري فتضاعفت المأساة بين الهجرة

القسرية بالقوة العسكرية وبين العيش تحت سطوة القوة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية العسكرية، إلى أن بدأت ملامح تغيير سياسية جديدة بعد توقيع اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية والاسرائيليين، حيث لم يلتزم الطرف الأخير بأي من هذه الاتفاقيات، فواصل سياسة الاستيطان والاعتقال وهدم البيوت ومحاصرة المخيم، ثم اعادة احتلال الضفة الغربية التي يقع فيها مخيم الجلزون.

إن الأجيال التي ترعرعت في مخيم الجلزون شهدت الانتفاضة الفلسطينية الاولى والثانية التي جاءت ردا على ممارسات اسرائيل ضد الفلسطينيين وهو ما ضاعف المعاناة التي لم تعد محصورة في تداعيات النكبة بل أيضا خلال الإنتفاضة الأولى عام 1987، أما الجيل الثالث وهو الجيل المتلقي للأحداث عبر الروايات الشفوية التي يتلقاها من أجداده وآبائه، سواء عن النكبة كحدث رئيسي أدى إلى ولادته بعيدا عن أرضه وأرض أجداده وآبائه، أو عن الانتفاضة التي أدت إلى بروز دور المخيمات على الساحة الفلسطينية، فالجيل الثالث سيكون أكثر بعدا عن الأحداث الفعلية الملموسة على أرض المخيم، عدا اتفاقية أوسلو التي وقعت وكانت آثارها هي البادية على قضية اللاجئين، وكيف أثر قدوم السلطة واتفاقية أوسلو على وضع المخيمات. ولا بد من الإشارة إلى استمرار الصلف الصهيوني وملاحقة أبناء المخيم، وحدوث العديد من الاشتباكات المتقطعة مع جنود الاحتلال الصهيوني ومستوطنيه، واستمرار سياسة الاعتقال لمن هم دون الجيل الثالث والذين لم تشملهم الدراسة، كل ما سبق كان محفّزاً ودافعاً لخلق هوية مغايرة نحو المكان المادي "المخيم" والمكان المتخيل "فلسطين التاريخية" إذ تشكّل تلك الممارسات صدى واسع الأثر في جعل الهوية الفلسطينية قضية سياسية بامتياز من خلال الإرهاصات الإسرائيلية المستمرة التي تجعل من النكبة حدثا مستمرا، وتجعل من القضية موقفا لا يقبل التمييع والانطواء تحت مسميات تعمل على تهميش حق العودة، وطمس القضية الفلسطينية، بل على العكس.

إن ديناميكية تنامي الأحداث على مدار ستة عقود ونيف جعل من الضروري إلقاء الضوء على مختلف الأجيال، إذ يعطي الدراسة شمولية أكثر، بخلاف التركيز على عينة محددة تقتصر على رؤية واحدة ضمن إطار زمني متنامي ومتراكم.

2.1 إشكالية الدراسة:

شكّل الشتات الذي أصاب الشعب الفلسطيني بعد نكبة 1948 وتوزعهم في أصقاع المعمورة ما بين مخيم وقرية وشتات، والذي كان من المتوقع أن يؤثر سلباً على الهوية الفلسطينية الجامعة والانتماء الفلسطيني بمفهومه الخاص والعام،

إلا أن الفلسطيني استطاع الحفاظ على شكل جامع للهوية الفلسطينية العامة داخل المخيم (المكان)، بالرغم من ولادة هويات ديناميكية متحركة داخل المخيم وخارجه، إلا أنها لم تضعف الهوية العامة للفلسطيني، فهذه الهويات الديناميكية المتحركة عملت على تعزيز الهوية الجامعة في ذاكرة النكبة المستمرة.

3.1 فرضيات الدراسة:

1. كانت وما زالت حرب النكبة والنكبة المستمرة تلعب دورا مركزيا في ولادة وبلورة هوية مؤقتة تتسع وتضيق داخل مكان اللجوء، وتتفاعل لتعزيز الهوية الأصلية وتعمل بشكل واعٍ لنقلها للأجيال المتعاقبة.
2. لعبت الأحداث السياسية دورا فاعلا في تعزيز الهوية الوطنية بين اللاجئين الفلسطينين داخل المكان (المخيم) كالانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987)، في حين كان لبعض الأحداث السياسية تباين في ردات الفعل مما أدى إلى شرخ في الانتماء للهوية، وتشكّل هوية وطنية جامعة.
3. نتيجة النكبة المستمرة والزيادة الطبيعية أحدثت تغيّرا في شكل المكان، مما أدى إلى تغيّر وتنوّع في الهوية.

4.1 أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة بأنها تسلّط الضوء على الواقع الفلسطيني منذ النكبة حتى الجيل الثالث، من خلال أخذ حالة دراسية متمثلة بمخيم الجلزون وهو إحدى مخيمات اللجوء الفلسطينية في الضفة الغربية، في محاولة لفهم تفاعلات الأحداث التي مرّت خلال هذه الفترة الزمنية، منذ عام 1948 حتى قيام السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتأثيرها في صقل الهوية وانعكاسها على داخل المكان (المخيم)، وكيف أثر المكان (المخيم) في بناء هوية جامعة أو هويات ديناميكية للأجيال الثلاثة، مع إدراك أن الهوية أو الهويات تقوم من خلال العلاقات بين الأفراد الذين تجمعهم تقاليد مشتركة من شانها أن تطور الهوية الشخصية.[4]

5.1 أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز العلاقة بين الهوية والمكان من جهة، وحرب النكبة والهوية من جهة أخرى، كما تهدف إلى تسليط الضوء على نتاج التغير في البنية العمرانية للمكان منذ نشأته وصولا لقيام السلطة الفلسطينية واثر هذه المتغيرات على الهوية/ المكان في ذاكرة النكبة المستمرة، من خلال اعتماد التاريخ الشفوي، والرواية الشفوية لعينة الدراسة.

---

[4] هابرماس يورغن، **بعد ماركس** (ترجمة) محمد ميلاد. اللاذقية: دار الحوار، 2002، ص 187.

6.1 الإطار النظري:

1.6.1 العلاقة بين الهوية والمكان حسب هابرماس:

ستعتمد هذه الدراسة بشكل رئيسي على نظرية هابرماس في الهوية التواصلية لما لها من قدرة في الاقناع والتوضيح في فهم العلاقة بين الهوية والمكان. والتواصل هو كيفية وجود يسعى من خلالها هابرماس إلى إرساء التفاهم بين ذوات يشتركون في المكان ويسعون للانسجام في ما بينهم عبر حوار بنّاء، إذ يؤكد هابرماس على إمكانية التواصل مع الآخرين كضرورة للتفاعل، وذلك من خلال اللغة كوسيط رمزي[5]، فالهوية بالنسبة له هي فعل إنشاء وبناء يتميز أساسا بتفاعل خلاق ومنتج في إطار النظرية والممارسة، وتستجلي كل ما هو اجتماعي وفكري على أرضية النقاش والحوار،[6] والتواصل هو تجاوز تلك الرابطة القائمة بين شخصين أو أكثر بمعنى، أن التواصل ليس مجرد علاقة بين إنسان وآخر تتجلى من خلال إنسانية الإنسان بل هو أيضا، تبادل بين المجموعات المختلفة عن طريق أجهزة متفاوتة التعقيد.[7]

فالهوية تحدد الإنسان المعني بالقول والفعل والإنجاز باعتباره فردا وعضوا في العملية الإبداعية، إن الهوية بما هي فعل إنجازي تتمنع أن تختزل في بوتقة ضيّقة من المصادرات الموجّهة، والهوية مع ذلك تترجم الشخص الذي يتفاعل معها.

"في الحقيقة لا يمكن لأحد أن يبني شخصيته بمعزل عن أشكال التمييز الخاصة بالهوية التي يقوم بها الآخرون بخصوصه. الأمر لا يتعلق بالنظر إلى ذلك بأشكال التمييز التي يقومون بها اعتمادا على موقف إنجازي كأطراف في التفاعل".[8]

فالنشاط التواصلي هو الركيزة الأساسية لتفاعل الأنا مع محيطها إذ تظل الشخصية حاضرة في مشاركتها مع الآخر، وتصبح الذات منخرطة بكل حرية ضمن النشاط التواصلي الذي التزمت به. "لا يحقق الأنا أشكال التمييز الذاتية الخاصة به هو بالذات ويقدم نفسه بوصفه أنا عمليا على أنه منخرط في إطار نشاط تواصلي".[9]

"إن هوية الأنا التي تضمن استمرارية العلاقة الخاصة بتاريخ الحياة وسط انهيار التجارب السريعة الزوال، تمثل علاقة حوارية في التفسير الاسترجاعي لمسيرة الحياة تتواصل الأنا مع ذاتها كما الآخرين، والوعي الذاتي يتأسس في نقطة تقاطع المستوى العمودي للتفاهم الذاتي مع ذاتها نفسها".[10]

---

[5] الناصر عبد اللاوي. **الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس**. لبنان: دار الفارابي، 2012،ص 49.
[6] المرجع السابق. ص52.
[7] المرجع السابق. ص56.
[8] هابرماس، يورغن، **بعد ماركس** .(ترجمة): محمد ميلاد، اللاذقية: دار الحوار، 2002، ص34.
[9] هابرماس يورغن. **بعد ماركس** ،(ترجمة) محمد ميلاد. اللاذقية: دار الحوار، 2002، ص34.
[10] هابرماس يورغن. **بعد ماركس** ،(ترجمة) محمد ميلاد. اللاذقية: دار الحوار، 2002، ص 180-181.

وهذا يعني أنه لا بد من استمرارية تجربة الحياة التأملية التي تنتج استمرارية تاريخ الحياة من خلال فهم الذات المتراكم نفسها على أنها مرحلة من مراحل التفسير البيوغرافي، بصورة مستديمة وفي وسط التفاهم مع الذوات الأخرى، أنا أفهم نفسي ذاتيا فقط في ذلك الحيز مما هو مشترك "الذي فيه أفهم في الوقت ذاته الآخر في تموضعاته، لأنّ تعبيري الحياة الإثنان يتجليان في ذات اللغة التي هي ملزمة بالنسبة إلينا مشاركة".[11] فتقوم هذه الهوية أو الهويات من خلال العلاقات بين الأفراد الذين تجمعهم تقاليد مشتركة من شأنها أن تطور الهوية الشخصية، "ليس التمييز الذاتي نفسه هو الذي يمثّل أساس إثبات الهوية الخاصة بقدر ما هو التعرف الذاتي المعترف به بينذاتياً نفسه يتطلب الاعتراف المتبادل بين أفراد المجموعة التشكيلية العلائقية أنا- أنت نحن. ليس ذلك عديم النتائج بالنسبة لتشكل الهوية الجماعية، فيما يتعلق بالتعبير عن الهوية الجماعية". [12]

فالمجتمع هو شبكة من الأفعال التواصلية التي ترتبط بالبنية المعيارية للهوية فهابرماس يرفض أن تكون الهوية مجرد انتماء قومي للأفراد والمجتمعات وإنما تقتضي عالماً معيشياً مشتركاً يصبح من خلاله وجود الهوية ترجمة للفكر الإنساني في ترحاله عبر أماكن وتواريخ أي ترجمة لإنجازاته، والتي تظل مستمرة وفي حركة دائمة ما دامت الإنسانية تطور معيشتها وتواكب مجريات العصر، وهذا ينتج هويات لا هوية واحدة. "فالهويات بشكل عام لا تعدو أن تكون أسماء نطلقها على طرائق مختلفة ووضعنا فيها، وافترضناها في أنفسنا داخل روايات الماضي وأحاديثه".[13]

هذا ما أكّده كناعنة عندما تحدث عن سهولة ونجاعة الاتصال التي تنبثق من طبيعة اللغة والعقل الانساني وكيفية الاتصال بين بني الإنسان، فاللغة ليست مجرد مفردات ولا مجرد معان حرفية للمفردات، وإنما هناك معان ومعان للمعاني، أو مستوى ثان من المعاني، وهذا المستوى الثاني هام جدا للتفاهم بين بني الإنسان، إذ أن سماع حديث أو قراءة مادة مكتوبة يشكّل لدينا ما يشبه قمة الجبل الجليدي التي تظهر فوق سطح الماء، ولكن القسم الأكبر المخفي تحت السطح هو المعنى الذي يضيفه القارئ أو السامع من معلومات لديه هو، ذات علاقة بتلك المفردة، وقد يضيف القارئ أو السامع تلك المعلومات من دون وعي منه، ودون الانتباه بأنه أضافها إلى المعنى، فالجزء المخفي هو ما سمّاه كناعنة ب "معنى المعنى" مشكّلة هالة من المعاني التي يتم إضافتها إلى كل مفردة وكل رمز وكل إشارة، تتكون من جميع

---

[11] هابرماس يورغن. **بعد ماركس** ،(ترجمة) محمد ميلاد. اللاذقية: دار الحوار، 2002، ص 187.
[12] هابرماس يورغن. **بعد ماركس**،(ترجمة) محمد ميلاد. اللاذقية: دار الحوار، 2002، ص34.
[13] علاء عبد الهادي. **" شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل"** مقال ورد في "عالم الفكر" ع 1، مج 36، الكويت 2007، ص 290.

التداعيات والارتباطات والذكريات والصور والمشاعر والعواطف التي تستدعيها تلك المفردة على المستوى الواعي واللاواعي في ذهن القارئ أو السامع، فبحسب كناعنة أن ما حدث للشعب الفلسطيني من تشتت ولجوء عمل على تقليل الاتصال بينهم، عدا عن انخراط الكثيرين منهم في مجتمعات أخرى وتاثرهم بثقافتها،[14] لذا فإن مسألة الهوية والمكان تبرز أهميتها هنا من خلال تسليط الضوء على الواقع الفلسطيني من خلال عينة من الشرائح التي قاست ألم الهجرة والتشتت، وعيشها داخل مخيمات للجوء، وكيف أثر مكان المخيم في صقل هوية الفلسطينين داخله على امتداد عيشهم فيه وصولا لأوسلو.

أما عند الحديث عن الهوية والمكان حسب إدوارد سعيد فإنه من الممكن أن تقوم الهوية على تغاير مع المكان كما يحدث في كتابه "خارج المكان" من خلال تمازج الهويات واختلافها قد يؤديان إلى تصارعها داخل الأمكنة والأزمنة بحيث يتغير دور اللغة ودور الهوية ارتباطا مع المكان المتعدد الذي يحدد في هذه الدراسة بالمخيم و"الفردوس المفقود". "والواقع أني تعلمت، وحياتي مليئة على هذا الحد بتنافر الأصول، أن أؤثر ألاّ أكون سويا تماما وأن أظل في غير مكاني".[15]

فالمكان ثابت/ متغيّر، والأجيال تختلف بتعاقبها، وقد تم استخدامها كأدوات قياس، فالتغيرات مستمرة سواء على المكان أو على الأجيال، فتصبح هناك علاقة ما بين المكان والجيل حسب مدى تأثره وتأثيره فيه، ففي دراسة قدمتها سوفي ريختر-ديفرو بعنوان: "اللاجئون الفلسطينيون أجيال مختلفة وهوية واحدة"[16] قدمت فيها مقارنة للأجيال الفلسطينية الثلاث، ووجدت أن الجيل الأول "جيل النكبة" تميز بنظرة عاطفية إزاء حق العودة، وعمق الارتباط بالأرض ومركزيتها في تفكيره، إلا أن الجيل الثاني كان أكثر انعماسا بالقضية الفلسطينية من وجهة سياسية والتي تمحورت حول اتفاقية أوسلو، وتأثيرها على القضية الفلسطينية مع اختلاف الانتماءات الحزبية السياسية، وتعدد الآراء بينهم، أما الجيل الثالث من اللاجئين فطالبوا بالعودة من جانب إنساني، ليس فقط كحق مقرر وفقا للقوانين الدولية، وكان هناك نوع من خيبة الأمل التي غلبت على هذا الجيل.[17]

---

[14] شريف كناعنة. **دراسات في الثقافة والتراث والهوية.** رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. 2011. ص 382-383.

[15] إدوارد سعيد، **خارج المكان**، ترجمة فواز طرابلسي. بيروت: دار الآداب. 2000، ص 359.

[16] سوفي ريختر ديفرو. **إنه كشيء مقدس.. ثقافات سياسية مختلفة حول حق العودة (ملخص)**. جامعة بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية.

[17] المصدر السابق.

وإن كان هذا الاختلاف بين الأجيال في إطار الهوية، فإنه من الضرورة أن يختلف في إطار المكان والذي هو أكثر تأثرا على أرض الواقع بالتغيرات التي تجري وتلامس الأفراد بشكل مباشر، فإن الاعتماد على الأجيال في هذه الدراسة، يؤدي إلى فهم صورة المكان "المخيم" في ذاكرة الأجيال، على اختلاف الخطابات المؤسساتية السياسية والاجتماعية، والأحداث المفصلية التي توالت على المخيم.

7.1 منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، والرواية الشفوية، إذ يعتبر التاريخ الشفوي مكملا للنقص الذي يعتري الدراسات الفلسطينية بشكل عام، وفي موضوع اللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص، وذلك لأن روايات الأفراد هي أيضا من الممكن أن تكمل التاريخ المكتوب، وعادة يحدث أن ذاكرة التاريخ المكتوب تكون رسمية، ولا تتفق مع ذاكرة التاريخ الشفوي، الذي يرويه الأشخاص عن تجاربهم الذين عاشوها بأنفسهم، وإن كان التاريخ الشفوي هو الذي يعنى بدراسة الماضي من خلال الكلمة المحكية المحفوظة في الذاكرة والمنقولة مشافهة فهي تشمل تاريخ الحياة، والذي يعنى بدراسة الماضي القريب من خلال روايات الأفراد وذكرياتهم عن أحداث حياتهم، خبراتهم، ومشاهداتهم، خاصة تلك الأحداث التي شاركوا فيها شخصيا، أو كانوا شهود عيان لها.[18]

وتقوم منهجية الدراسة على جمع ما يمكن من معلومات من الثلاثة أجيال حول نشأة المخيم، والفترات التي تعاقبت على حكمه وصولا إلى إتفاقية أوسلو والظروف التي خلقتها كل فترة من الفترات، والتغيرات التي طرأت على المكان وانعكاسها على صورته لدى كل فرد من أفراد العينة "هويته" وسيتم اعتماد المنهج الإثنوغرافي الكيفي ويعتمد هذا المنهج على المقابلات الشخصية مع أفراد العينة، ويقوم بشكل أساسي على الأسئلة المفتوحة، والتي تمكّن الشخص من الإجابة باتساع وأريحية أكثر من جعل الأسئلة مغلقة تقنن إجابة الشخص قبل إجابتها، وحصرها في إطار ضيق من المعرفة التي قد لا تظهر كما ستظهر في الأسئلة المفتوحة.

كما سيتم الاعتماد على الدراسات والأبحاث التي تناولت قضية اللاجئين، والحالات الدراسية والدراسات الدولية والمؤتمرات، والمنشورات المختلفة، والمصادر والمراجع والدوريات، والرسائل الجامعية، والأبحاث والتقارير الصادرة عن المراكز

[18] عادل يحيى وآخرون. **من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة** .القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. 1994. ص7.

البحثية: مركز بديل، مركز شمل. وكذلك الدرويات المختلفة مثل الهجرة القسرية، والنشرات والاحصائيات الصادرة عن الدوائر الحكومية والوزارات ومركز الاحصاء الفلسطيني.

لا بد من الإشارة هنا إلى أننا لن نفصح عن أسماء المبحوثين الصريحة، وذلك كون أغلب المبحوثين كان شرطهم الأساسي أن لا يتم ذكر أسمائهم أو أي معلومات خاصة حولهم، لذا سنقوم باستخدام أسماء مستعارة وذلك حرصا على سلامة ومصلحة أولئك الأشخاص، ونزولا عند رغبتهم، كما لا بد من الإشارة أيضاً إلى أنّنا سنقدّم رواية المبحوثين كما هي على الرغم من وجود بعض المصطلحات، إلا أنّنا وللأمانة العلمية لنقل الرواية آثرنا على إبقائها كما هي.

8.1 عينة الدراسة:

يعتبر مخيم الجلزون واحدا من 59 مخيما تقع جميعها في ما اصطلح على تسميته (الضفة الغربية) و (قطاع غزة) وفي دول مجاورة هي الاردن وسوريا ولبنان ويقع شمال مدينة رام الله ، وعلى مسافة 7 كم إلى الشمال من مدينة رام الله، وتحيط به من الشمال قرى جفنا وعين سينيا، وبيرزيت، ومن الغرب قرية سردا، ومن الجنوب والشرق قرية دورا القرع، التي تعرضت لعدوان استيطاني من قبل حركة غوش أمونيم الإسرائيلية في العام 1977 وأقامت مستوطنة (بيت إيل) على جزء كبير منها، ومن أراضي قرية بيتين المجاورة.[19]

لا بد من الإشارة إلى السبب الذي دفعني لاختيار مخيم الجلزون كحالة دراسية، فسهولة الوصول للمبحوثين ومعرفتي بهم كوني أحد سكّان المخيم، كان عاملا رئيسا لسبب الاختيار، كما أنني أحببت أن أدرس حالة الهوية وارتباطها بالمكان، داخل المخيم.

تتكون عينة الدراسة من 30 شخصا مقسمة إلى 10 أشخاص وموزعة بنسب متساوية على الأجيال الثلاثة التي سيتم اعتمادها للعينة، إلا أنّنا قمنا بإجراء ما يقارب 47 مقابلة.[20]

9.1 الصعوبات التي واجهت الدراسة:

1. عدم التمكّن من مقابلة العديد من أبناء الجيل الأول، وذلك بسبب صعوبة وضعهم الصحي، فمنهم من عانى من مشاكل وإعاقات جسدية، أو مشاكل أخرى كالنسيان، الأمر الذي قللّ عدد المبحوثين من الجيل الأول، من

[19] عادل يحيى. **قصة مخيم الجلزون "تاريخ شفوي".** القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. 1994، ص 15.
[20] أنظر الملاحق، ص156.

جانب آخر رفض بعض أبناء الجيل الأول المعمّرين، والذي يصل عمر أحدهم 90 عاما من إجراء مقابلة، إذ أشار الأهل أنه يرفض الحديث مع أي أحد منذ قرابة العامين، خاصة فيما يتعلق بإجراء مقابلة حول القضية الفلسطينية وأشار أبناؤه أنه أصبح يشعر بالملل من كثرة المقابلات التي أجراها مع باحثين دونما نتيجة، فالحال يظلّ على ما هو ولا يتغيّر، وباعتقادي بأنه يجّنب نفسه مرارة الوقوع في فخ الذكريات، والتي يصبح مجبراً على نبشه حين يتحدث عن فلسطين قبل النكبة، وعن طبيعة بلاده ومعيشته فيها.

2. الخوف الذي كان ينتاب الناس عند مقابلتهم، خاصة مع جهاز التسجيل، فيكونوا طبيعين إلى أن أضغط على أزرار التشغيل، فيباشرون بالسؤال: بدك تسجلي؟!، وبعض منهم ممن كان من المفترض إجراء مقابلة معه اشترط عدم التسجيل صوتيا، وإلا لن يقوم بإجراء المقابلة، فمنهم من اضطررت إلى أخذ روايته كتابة، وهذا شكّل لدي صعوبة كبيرة، والتركيز لاقتناص الأفكار التي تدور حول المواضيع التي أريدها، دون التطرّق إلى الروايات الخاصة والأحاديث الجانبية التي قد يخوض فيها المبحوث خلال حديثه، فيما كان الأغلب إن لم يعترض على التسجيل يسألني عن ما إذا سأستخدم الاسم الشخصي عند حديثي عن المقابلات، وأنه يفضّل أن لا يتم ذكر اسمه الصريح، وينسحب هذا على الأجيال الثلاثة، مع ضرورة الاشارة إلى أن هناك فئة لم تشّكل هذه الأمور عقبة بالنسبة لهم. كما تخوّف بعض المبحوثين من التعبير بشكل صريح عن آرائهم، وتجاربهم، خاصة فيما يتعلّق بالحديث عن وكالة الغوث الدولية، وسياستها تجاه اللاجئين، والحديث أيضاً حول وجود السلطة الفلسطينية، وأثر اتفاقية أوسلو عليهم كلاجئين داخل المخيم، وقد يعود ذلك إلى أن تلك المؤسسات ما زالت قائمة بأعمالها، بخلاف الحكم الأردني الذي لم يتوان المبحوثين بالحديث عن تجربتهم خلاله.

3. عملية تفريغ المقابلات والتي تتطلب جهداً ووقتاً أكثر من إجراء المقابلة نفسها، خصوصا لأنني قمت بتفريغ المقابلات حرفيا وهذا شكّل صعوبة عدا عن الصعوبة التي واجهتني في البداية بالتعامل مع المعلومات، وأيّها أكثر أهمية لعرضه، واستخدامه في هذه الدراسة.

10.1 مراجعة الأدبيات:

حازت النكبة على اهتمام المؤرخين والباحثين والكتّاب، فمنهم من تناولها من الناحية التاريخية ومنهم من عرضها من الناحية السياسية، فيما راح آخرون لربطها ببداية مشكلة اللاجئين، وتكوّن المخيمات، فكان من أوائل من اهتم

بموضوع النكبة وتوثيقها العديد من المؤرخين أبرزهم قسطنطين زريق، وليد الخالدي، شريف كناعنة، فيما نجد العديد من الباحثين حذوا حذوهم وقاموا بتحليل ما أنتجوه بعدة أوجه، ليصبح نتاجا كتابيا آخر حول اللاجئين الفلسطينين ورحلة عذابهم وظروف حياتهم، منذ النكبة إلى وصلوهم للمخيمات، إلا أنّنا وعند الحديث عن المخيمات فإنّنا نجد بعض الدراسات التي اشتملت على الحديث عن الجانب الصحي، المعيشي، التعليمي، الاقتصادي، أو تناولت "وضع المرأة" في المخيمات الفلسطينية، وجلّ الدراسات التي تتحدث عن المخيمات تتعلق بلاجئي لبنان بشكل خاص، أما المخيمات في فلسطين "الضفة الغربية" فإن ما كتب عنها فهو ليس بالكافي ليشكل صورة واضحة عن أدق التفاصيل فيها، عدا عن أنها لا تعدو دراسات وصفية، وبعضها إثنوغرافية تشرك الناس في دراساتها وجلّها يتعلق بالنكبة، والأوضاع المعيشية ومساهمات وكالة الغوث في مدّ المساعدات لهم. كل هذه الدراسات جعلت من الباحثين يسلّطون الضوء على الذاكرة الجماعية للأفراد وذلك لسد الفجوة التي لم تستطع الدراسات التي تعتمد على التاريخ المكتوب أن تغنيها، فأتت الدراسات حول الذاكرة الفلسطينية على اختلافها.

القسم الأول: "النكبة"

يعتبر كتاب "معنى النكبة"[21] للمؤرخ قسطنطين زريق من أهم الأعمال التي تحدثت عن النكبة، خصوصا أن إصدار الكتاب تزامن وحلول النكبة في شهر آب 1948، كان زريق أول من استخدم مصطلح النكبة عن الكارثة التي حلت بالفلسطينين، مشيرا إلى مسؤولية العرب عن تهجير الفلسطينيين، ، إلا أنه في الوقت نفسه يعتبر أن اللوم الآن وإكالة الاتهامات وتحميل مسؤولية النكبة بشكل كامل للعرب ليس عدلا وذلك بسبب القوة التي كان يتمتع بها العدو ولا يزال، وعدم تكافؤ القوة.

أدرك زريق أهمية شرائح المجتمع على اختلافه، فأشاد بدور عامة الشعب أولئك الذين لا يقعون ضمن إطار المثقفين والمفكرين، إلا أنه وظّفهم خير توظيف في عملية الجهاد من خلال مساندتهم لأصحاب الرأي والجنود ولو بأبسط الأمور، وذلك كونهم أدرى بطبيعة المكان، فيما أشاد بدور المثقفين محملهم مسؤولية أخلاقية وذلك من خلال تبيان أصل النكبة، وعدم التجاوز عن الأخطاء التي أدت إلى ضياع وتشريد الفلسطينيين، والعمل على توثيقها وفضح الجرائم التي ارتكبت بحقهم، وتوضيح حقيقة أن مئات الآلاف من سكان هذه الأرض الذين هجروا ليس فقط من بيوتهم وأراضيهم ولكن أيضا من آمالهم وتطلعاتهم الذين أملوا في تحقيقها في أرضهم. كما أشار زريق إلى أن القتال والانتصار على الصهاينة لا يكون من حرب واحدة بل يحتاج إلى عدة حروب طويلة معهم، وكأنه يدعو بصورة غير مباشرة إلى ضرورة استمرار الجهاد والذي اعتبره الركيزة الأساسية للتحرير.

أفرد زريق جزءا من الكتاب بعنوان معنى النكبة، حاول فيه أن يتحدث عن الواقع العربي المهلهل، وأن النكبة ما هي إلاّ امتحان لمقدرة العرب على كيفية الخروج من تلك المحنة، وأشار إلى ان التغني بأمجاد الماضي لن يفيد نفعاً وأن على الأمة العربية أن تبني حاضرها وتستشرف مستقبلها، وتتعلم من ماضيها وأخطائها.

في الختام يعتبر كتاب معنى النكبة ثمين كونه يعطي القارئ إضاءات تعينه على التبصر والتفكر في حجم المؤامرة التي حاكها وما زال يحيكها الكيان الصهيوني، والعمل على استدراك الأخطاء ووضع خطط استراتيجية للخروج من تلك المشكلة التي طال أمدها، كما أن الكتاب يجدد روح التفاؤل والعمل ويثير نزعة الجهاد من أجل الأرض التي سلبت العرب والفلسطينين كرامتهم.

[21] قسطنطين زريق. (1948). **معنى النكبة**. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين.

دراسة أخرى تناولت النكبة من ناحية توثيق القرى الفلسطينية التي دمرها الاحتلال الصهيوني كانت "كي لا ننسى"[22] قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها، والذي كان يهدف إلى استذكار القرى المدمرة والحفاظ على تواجدها في الذاكرة الفلسطينية، والعمل على تبيان التغير الذي نتج جرّاء النكبة من توسع للاحتلال الصهيوني على الأرض، وهجرة العديد من أصحابها الأصليين، أو القرى التي ما زالت تحتضن بعض سكانها ولم تدمر. حذا حذوه العديد من الكتاب في إعداد مادة تحافظ على التواجد الفلسطيني للمكان، وجعل المدن والقرى الفلسطينية حيّة في أذهان الأجيال مهما ابتعد تاريخ النكبة زمنياً، فكانت دراسة لبيب طه في كتابه "فلسطين قبل الضياع" المدن والقرى الفلسطينية المدمرة، التي تلاقى فيها مع الخالدي في هدفه الذي حدده بأن يحفظ هذه المدن من النسيان والتلاشي من الذاكرة الفلسطينية.

في دراسة أجراها شريف كناعنة حول النكبة "الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير"[23] والتي سلطت الضوء على الأسباب الرّئيسة التي دفعت مئات الآلاف من الفلسطينين الذين غادروا بيوتهم وأراضيهم لأنهم كانوا تحت وطأة التهديد وحياتهم عرضة للخطر، كالمجازر التي ارتكبت بحق الفلسطينين، وتدمير بيوتهم وقراهم، والخوف الذي تسببت به هذه الأفعال، وسرعة انتشار أخبار المجازر التي زرعت الخوف في قلوب الناس، هذه الدراسة أتت لتناقض الرواية الصهيونية عن النكبة 1948، والتي تزعم بأن الفلسطينين غادروا بسبب تشجيعهم من قبل القادة العرب، من خلال فحص الأسباب الرّئيسة التي قادت إلى إنشاء مشكلة اللاجئين وكذلك بالعودة إلى تأثير المجازر خصوصا مذبحة دير ياسين في هروب الفلسطينيين، لتؤكد أن الفلسطينيين غادروا بسبب الإرهاب الذي مارسه الاحتلال الصهيوني على الأرض والأفراد، والتكتيكات المختلفة التي استخدمتها القوات الصهيونية ضد المواطنين العزل والهائنين في بيوتهم وأرضهم، ينتهي كناعنة إلى نتيجة مفادها أن انتشار أخبار المجازر إلى أنحاء فلسطين كان السبب الرئيس الذي أدى إلى هروب الفلسطينيين.

---

[22] وليد الخالدي. (1998).**كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها.** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
أنظر أيضا: http://www.palestineremembered.com/.

[23] شريف كناعنة. (1992). **الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير؟.** فلسطين: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل).

كتاب نور الدين مصالحة "طرد الفلسطينين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882-1948"[24]، والذي يناقش وبشكل رئيسي الوجود العربي الفلسطيني والذي كان يشكل أحد أهم المعيقات أمام المخططات الصهيونية في تحقيق حلم الوطن القومي، مبينا الخطط الصهيونية التي حيكت لاقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه والتي مرت بثلاث مراحل، ابتداءاً من الأفكار والمقترحات والتي كانت ما بين 1882-1936، ثم تطورها إلى خطط متكاملة للترحيل أثناء فترة 1936-1948، ونهايتها بحلول النكبة على الشعب الفلسطيني 1948، وبداية رحلة التهجير والتطهير العرقي للفلسطينيين وإجلائهم بالقوة عن أرضهم واحتلالهم لها.

كانت مقالة عبد القادر ياسين "السيرة الذاتية للنكبة كيف نسجت النكبة الفلسطينية"[25] والتي اتخذت المنهج التاريخي التحليلي، وهي مختلفة اختلافا كاملا عن سابقتها من دراستي كناعنة وجراد، وذلك كونها تحدثت عن دور الدول العربية وأصحاب القرار في الدول العربية، ونظرتهم للقضية الفلسطينية، ومدى الثقة التي كانوا يتحلوا بها، والحروب التي خاضوها ونتائجها، والتي منيت بالفشل نتيجة الهدنة، وقلة الإمدادات للجيوش العربية، وانتشار فظاعة مذبحة دير ياسين بين القرى الفلسطينية، الأمر الذي أشاع الخوف والرعب في قلوب الأهالي، واضطروا للهرب خشية على أنفسهم من أن يلقوا نفس المصير، وكذلك الإشاعات التي كان يبثها الجيش الصهيوني وبذا حلت النكبة على الشعب الفلسطيني.

فيما راح العديد من الكتّاب والباحثين إلى دراسة أثر النكبة في تشكيل الهوية الفلسطينية، إذ اعتبر السعدي بأن نكبة 1948 قد شكلت عنصرا أساسيا مكونا للهوية الفلسطينية وبقعة في الذاكرة الفلسطينية الجماعية التي تربط كل الفلسطينين بنقطة معينة، في وقت أصبح لهم الحاضر الخالد، بخلاف رؤية روزماري صايغ التي اتخذت منحى آخر من أثر النكبة وتشكيلها للهوية وتوحيدها، "قد تأصل حتى قبل تسجيل الحدث، وقبل أن يتم تدوينه لمعرفة العالم، ودون أن يتطرق إلى تجربة الفلسطينيين أثناء فترة التهجير" ففهم أسباب النكبة يمكن أن يتم من خلال تحليل العوامل السياسية الإقليمية، والسياسة الداخلية، فكان تهميش الأصوات الفلسطينية وتغيبها من معظم هذه الاعتبارات والعوامل يتساوى ويتماثل مع المستوى النصي في استبعاد الشعب الفلسطيني الأصلي من قبل الإمبرياليين والمستعمرين على حد سواء،

---

[24] نور الدين مصالحة.(1992). **طرد الفلسطينين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882-1948.** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

أنظر أيضا: بني موريس. (1993). **طرد الفلسطينين وولادة مشكلة اللاجئين وثيقة اسرائيلية.** عمان: دار الجليل.

[25] عبد القادر ياسين. (2008). **"السيرة الذاتية للنكبة: كيف نسجت النكبة الفلسطينية".** صامد الاقتصادي. مجلد 30,عدد 153. ص 54-70.

فعلى الرغم من أن المسكوت عنه من تجربة الشعب الفلسطيني في تجربته والأحداث التي عاشها منذ 1947-1948 بحاجة إلى تغيير وإنهاض، فلا بد من التصريح بأن الشعب الفلسطيني اختلفت تجربته في معايشته للنكبة سواءً بالطريقة أم بالعواقب، وهو جزء أساسي ومركزي لا بد منه بفهم آثار الكارثة التي حلّت بهم، فالنكبة في أحد جوانبها حدث موحّد للفلسطينين، بأنها تركتهم جميعا دون وطن، ولكن هذه التجربة المتفاوتة بشكل واسع بينهم وفق الطبقة والمنطقة والموقع وفترة الهجوم، كما أنها اختلفت على عدة أصعدة، فاختلفت لدى الرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، والصغار والكبار، كما أن النكبة قد فرقت بين الناس من حيث مصيرهم اللاحق وفرصهم في الحياة، كيف وأين يمكنهم العيش، ومع أي نظام، ومع أي درجة من التقبل أو الرفض، فلا بد من أن يتم الوقوف عند هذه الفروقات الداخلية على القصة الجماعية غير المكتوبة للفلسطينيين.[26]

ساهم إدوارد سعيد في الحديث عن النكبة وأثرها على الهوية، فقد تناول تعريفات الهوية عند الفلسطيني في علاقته مع ضياع المكان، إذ أكّد على أن المكان يشكّل حالة خاصة في تحديد هذه الهوية والتي لم يقصرها سعيد على ضياع الأرض وفقدانها، وإنما إلى إفرازات هذا الفقد والطرد، مما أدى إلى انعكاسها على الوعي الجماعي داخل فلسطين وفي الشتات، فسعيد يعتبر أن فلسطين صارت تعني المنفى، والاستلاب، فالذكريات المختلطة التي يعيشها الفرد الفلسطيني تتداخل فيها الأمكنة بعضها ببعض، فالحالة الفلسطينية أتت بأطر مختلفة للمكان كمرجعية حياتيه ذات صلة بالتاريخ الذي عايشه الفلسطينيون كواقع في الفردوس المفقود، والذي يمثّل داخل المكان الوليد "المخيم" هوية منتقصة لدى الأفراد الفلسطينين الذين أصبحوا لاجئين، خصوصا بعد أن تم انتزاعها من ملكيتهم وانتزاعهم منها ليصبحوا أبناء مكان مستحدث طرأت عليه العديد من المتغيرات والتفاعلات التي كوّنت هويات مختلفة باختلاف الفترات التاريخية، فهم أنفسهم أبناء فلسطين التاريخية، أبناء الغلال والمحاصيل، أبناء الأرض، أصبحوا أبناء المخيم يقتاتون على ما تمنحهم إياه وكالة الغوث في بدايات اللجوء للمخيم، أصبحوا عمّالا بعد أن كانوا أرباب عمل، كل هذه التغيّرات وغيرها تلاحق الذاكرة الفلسطينية والفرد الفلسطيني الذي طرد من جنّته ووطنه ليعيش على فتات المانحين من الدول[27].

---

[26] **روزماري صايغ حكايات النساء عن النكبة بين الوجود والمعرفة، مجلة رؤى تربوية، ع 27. 2008. ص 26**

[27]. Edward said. **After the Last Sky. London:** Faber and Faber.1986, page 30

القسم الثاني: اللاجئون الفلسطينيون

كتاب "كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام 1948م"[28] لعبد القادر ياسين، والذي يتناول وبشكل مركزي تشكل القيادات الوطنية وتأثيرها على مسار الحركة الجماهيرية والتجارب الوطنية التي مرت بها الحركة الوطنية قبل عام 1948. يحتوي الكتاب على تحليل مراحل تاريخية مختلفة مرت بها حركات النضال الفلسطيني الشعبي حتى النكبة، قسم ياسين كتابه إلى أربعة فصول، تناول فيها الخلفية الاجتماعية والتاريخية، مشيرا إلى البرجوزاية الصناعية الوطنية في سورية الطبيعية بما فيها فلسطين كانت تشكل فئة من طبقة ناشئة في أواخر القرن التاسع عشر حاولت إثبات وجودها وسط مقاومة عنيفة من الاستعمار التركي وهيمنة رأس المال الأجنبي، في الوقت الذي كان نموها وتطورها ضعيفا لدرجة أنها لم تتمكن من إيجاد أي مراكز هامة في إدارة البلاد مما دفعها إلى انتهاج أسلوب الجمعيات السرية، كما سادت على القرية الفلسطينية علاقات إقطاعية مختلفة، في الوقت الذي برزت الزعامة الفلسطينية كزعامة دينية وعائلية تضم عائلات كالحسيني، النشاشيبي، الدجاني، الخالدي، عبد الهادي، الأمر الذي ساعد على تشكّل تقاليد وتشريعات ومراسيم وموزاين تجارية واجتماعية خاصة بكل مدينة. لم تجد البرجوازية الفلسطينية حيزا وتربة خصبة لتنمو فيها، فانعكست على موقف النضال البرجوازي ضد تركيا ليظل هشا وضعيفا.أكد ياسين على الفوارق بين الحركة الوطنية والحركة العربية في فلسطين، موضحا أن الحركة الوطنية نشأت خارج فلسطين، وأن الحركة الوطنية الفلسطينية والتي كانت أصيلة كان يعتريها الضعف وامتدت سلبياتها من 1981-1929، وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعفها كبار ملاكي الأراضي وذلك بسبب ضيق أفقهم وضحالة إمكانياتهم الثورية، وطبيعتهم الرجعية، أشار ياسين في كتابه أيضا إلى دور بريطانيا في دعم الجمعيات الإسلامية والمسيحية وانتقاء قياداتها وتحويلها إلى مؤسسات اقتصادية تتبنى مصالحهم الطبقية، في الحين الذي غلب على موقف الفلاحين والجماهير العنف والصلابة لانتزاع حقوقهم، يرى ياسين أن ركود الحركة الوطنية بسبب ضعف قياداتها وانفصالها عن سوريا ومواجهتها لاستعمار مستمر بالإضافة للقوة الصهيونية، مشدداً على أن هذه القيادة لم تكن خائنة بقدر حرصها على مواقعها الطبقية، كما ويرى أن انتكاسة 1929 أدت لقناعة جماهيرية تتمحور حول استخدام النضال والذي يعتبر أكثر ايجابية، كما أشار إلى تجربة القسام باعتبارها أول

[28] عبد القادر ياسين. **كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام 1948.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

حركة ثورية عربية استعملت في تنظيمها البؤرة الثورية، بالرغم من أن الكتاب يحتوي على العديد من الأحداث الهامة إلا إنّ غياب تسلسل تاريخي واضح جعل من ربط أحداث وفصول الكتاب بعضها ببعض غاية في الصعوبة.

"الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة"[29] لروز ماري صايغ، والتي ناقشت فيه الوضع الاقتصادي والاجتماعي للفلاح الفلسطيني منذ الحكم العثماني إلى الانتداب البريطاني، كما وترصد علاقة الفلاح بأرضه وبالعائلة وكبار ملاكي الأراضي حتى اقتلاعهم من أرضهم والأسباب التي دفعتهم للنزوح عن أرضهم وكيف تحول هؤلاء الفلاحين إلى مركزية الثورة الفلسطينية المعاصرة فقامت دارستها على منهج التاريخ الشفوي المتميز لتعكس التاريخ الفعلي للطبقة الفلاحية الفلسطينية، وتناولت الدور المركزي الذي لعبه الفلاحون الفلسطينيون في الثورة الفلسطينية مشيرة إلى عوالم القرية الفلسطينية وعلاقة القرية الفلسطينية بالحكمين العثماني والبريطاني، أشارت إلى خصوصية العائلة الفلاحية وهي تريد بالأساس التأكيد على خصوصية علاقة الفلاح بأرضه وبالسلطة الأبوية والارتباط الأخلاقي بالعائلة التي كانت وحدة إنتاجية جماعية في حياة الفلاحين الفلسطينيين، وطبيعة العيش البسيط الذي امتاز به المجتمع الفلسطيني الفلاحي الذي كان يعيش باكتفاء ذاتي ونزوع ورفض لإجراءات السلطة المركزية، مؤكدة على الاضطهاد الطبقي الذي عاشه الفلاحون في الحكمين العثماني والبريطاني وما ألحقت بهما من أذى.

أشارت صايغ إلى العوامل الداخلية الخاصة بملكية الأراضي في فلسطين، والتي أدت إلى فقر الفلاحين، وأكدت على أن انهيار الحركة الوطنية عشية النكبة أضعفت مقاومة الفلاحين في وجه انتزاع ممتلكاتهم وأرضهم، مشيرة إلى رفض الصهاينة المطلق الاعتراف بأصالة انتماء الفلسطينيين إلى وطنهم وتحديدا الفلاحين.

لخّصت صايغ نزوح الفلاحين بسبب الهجمات العسكرية المباشرة والإرهاب وغياب القيادة ونقص الأسلحة، أو كما تقول الفوضى والخوف، وتعمل على تفنيد الرواية الإسرائيلية التي تقول أن الزعماء العرب هم الذين طلبوا من العرب الخروج من بيوتهم، ورأت أن الصهيونية كانت تهدف إلى طرد الفلسطينين إلى الخارج، وتدلل على ذلك بخطة دلت الصهيونية لاحتلال المدن والقرى الواقعة في الجزء الذي أعطي للعرب في قرار التقسيم واستخدام الصهاينة الإرهاب كاستراتيجية مرسومة لطرد الفلسطينيين، كما تشير صايغ إلى أن عدداً كبيراً من العائلات الفلاحية رفضت النزوح رغم القتل الجماعي الذي واجهه الفلاحين، وذكرت المحاولة التي قامت بها المملكة الأردنية الهاشمية لتجنيس السكان

---

[29] روزماري صايغ. **الفلاحون الفلسطينيون من الإقتلاع إلى الثورة.** بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1983.

الفلسطينيين في الأردن، وأوضحت صايغ أن الشتات أصاب الفلسطينيين اللاجئين بصدمة نفسية سرعان ما تحولت بسبب الكثير من الأسباب إلى روح ثورية اتجهت نحو التعليم.

أنهت صايغ كتابها بفصل خاص عن جذور الثورة الفلسطينية التي أعادت الفلسطينيين إلى قلب النزاع العربي-الإسرائيلي، وأصبحت الثورة تمثل هوية دائمة وطريق للخلاص من الاحتلال، مدعما بالتعليم والوعي السياسي الذي شكل حالة من الوعي لضرورة النضال الجماهيري المسلح.

القسم الثالث: المخيمات الفلسطينية "مخيم الجلزون" بشكل خاص

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، تناولتها العديد من الدراسات التي أشارت إلى سكان المخيمات وتعدادهم وحالتهم الاجتماعية، الصحية، العلمية، ونمط حياتهم، والمشكلات التي يعانون منها، ومن هذه الدراسات التي قامت بها "الفافو" Fafo institute for applied social science، وكذلك تقرير المفوض العام للأمم المتحدة الذي ناقش في قسم منه الحالة الاقتصادية والصحية والعلمية لمخيمات الضفة الغربية، كما يقوم الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني منذ عام 2002 وضمن تقريره السنوي، وأحيانا بعض الدراسات مثل خصائص السكان في المخيمات، وتعدادهم وحالة الأسر، والفقر، والبطالة، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي في مخيمات الضفة الغربية، كما تحدث المسح الشامل الذي أصدرته مؤسسة بديل بداية عام 2003 بعنوان "اللاجئون الفلسطينيون" مسح شامل عن تعدادهم، توزيعهم الجغرافي، أوضاعهم الإجتماعية، الإقتصادية، التعليم، الصحة والسكن ورؤى الحل المستقبلي لقضيتهم.

تناول العديد من الكتاب والباحثين مخيمات اللاجئين في عدة مجالات: الإجتماعية والديمغرافية، الثقافية، الصحية، السياسية، سوسيولوجية، فكانت موسوعة المخيمات الفلسطينية للبيب عبد السلام قدسية، والتي تعتبر أحد المراجع التي تحتوي على أسماء المخيمات وتعداد سكانها، وأوضاعهم المعيشية منذ بداية نشأتها إلى الثمانينات، مستعرضا صورا عديدة عن واقع المخيمات الفلسطينية، إلا أن ما يلفت الانتباه أن المعلومات الواردة في هذه الموسوعة غير دقيقة، ولا تعبّر عن مصداقية الحدث، وهذا ما وجدته حين استعرض الكاتب المعلومات حول مخيم الجلزون، وهناك العديد من

الروايات التي لا تطابق الواقع، كأعداد الشهداء الذين سقطوا فترة الانتفاضة الأولى 1987، كذلك حديثه عن أسماء مختلفة عن أسماء الأشخاص الذين حدثت معهم حادثة اعتقال أو إصابة أو إعاقة نتيجة الإصابة.

دراسة الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية[30] قام بهذه الدراسة مركز شمل (مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني) والصادرة سنة 1999 للباحث أنور حمام، تبحث هذه الدراسة في الأوضاع الحياتية من الناحية الديمغرافية والاجتماعية في الضفة الغربية، إذ اعتمدت الدراسة على التحليل، وقد بينت أن مجتمع المخيم هو مجتمع فتي، إذ بلغت نسبة الأطفال دون سن الخامسة عشر في مخيمات الضفة الغربية (44.7%) وانخفاض نسبة من تزيد أعمارهم عن 64 سنة إلى (2.8%) أما الفئة العمرية من 15-60 فكانت نسبتها (52.5%)، وأظهرت الدراسة أيضا أن نسبة الإعالة في مخيمات الضفة الفربية مرتفعة حيث وصلت إلى (90.4%) وهذا يشير حسب رؤية الباحث إلى سبب معاناة هذه المخيمات من البطالة، فيما يجعل من الإعالة أكبر. أما نسبة النساء المشاركات في العمل من 15-65 فهي مشاركة محدودة، حيث يقدر حجمها ب 10%، فيما أوضح الباحث أن نسبة الجنس في مخيمات الضفة الغربية (105.5) وأشار أنها تبدأ مرتفعة في الفئات الأولى وتنخفض في الفئات العمرية 25-29، ثم ترتفع بالفئة العمرية 55-59، وعزى ذلك إلى هجرة الذكور إلى العمل خارج هذه المخيمات، مؤكدا على خطوره هذه الخطوة والتي تؤثر على مستقبل اللاجئين، وجعل المخيم مرتعا للفئات الأقل حظا، وذلك بسبب هجرة حملة الشهادات والحاصلين على رأس مال متطور نسبيا مقارنة بسكان المخيم، كما تحدث عن الأوضاع السكنية موضحا عملية تطور المسكن والتي صارت على أربع مراحل، إذ بدأت بالخيام والدور الذي لعبته الجمعيات الخيرية والصليب الأحمر ووكالة الغوث بتوزيع الخيام على اللاجئين الفلسطينين في المخيمات التي استقروا فيها بعد لجوئهم عام 1948، ومن ثم بيوت الوكالة، والتي بدأ العمل في إنشائها في النصف الثاني من الخمسينييات، وأطلق على هذه المرحلة "غرف الوكالة" وكيفية توزيع الغرف ومساحتها بما يتناسب مع عدد أفراد العائلة. وفي المرحلة الثالثة والتي أطلق عليها "إضافة غرف جديدة" والتي أوكلت إلى اللاجئين أنفسهم، وذلك نتيجة التطور الاقتصادي النسبي، الذي طرأ على حياتهم جراء فتح سوق العمل الإسرائيلية أمام عمال المخيم من جهة، ونتيجة لمعدل التكاثر الطبيعي المرتفع من جهة أخرى، وأخيرا مرحلة "الهدم والبناء"، والتي بدأت في أواسط الثمانينات، قام فيها اللاجئون الفلسطينيون بإزالة غرف الوكالة القديمة التي

[30] أنور حمام. **الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية.** رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، 1999.

أصبحت عرضة للانهيار، وعدم قدرتها على استيعاب أعداد جديدة من المواليد، فكانت عملية الهدم تستهدف فقط الغرف القديمة مع الإبقاء على الغرف الإضافية، وبناء غرف جديدة أوسع، والاتجاه نحو البناء بشكل عمودي، وذلك لمحدودية المساحة، وانتقل بعدها إلى الحديث عن الاوضاع التعليمية، وتوزع المدارس، وظاهرة الأمية، والتسرب من المدارس، وذلك كي يعطينا إطلالة واضحة على الظروف التي كان يعيش فيها اللاجئ الفلسطيني. تناول حمام الأوضاع الصحية ومدى اسهام وكالة الغوث في إمداد المخيمات في الخدمات الصحية، والقصور التي وقعت فيها، الأمر الذي أدى باللاجئين للقيام بالعديد من الاعتصامات والاحتجاجات ضد سياسة التقليص التي تمارسها الوكالة تجاه المخيمات، مطالبين بتطوير الخدمات الممنوحة لهم. متحدثا عن واقع العمالة والبطالة، والذي يعتبر مؤشرا هاما على الواقع الاقتصادي الذي يعيشه اللاجئين في المخيمات، والعوامل والأسباب التي حالت دون استمرار البعض في عمله وقعوده إلى صف البطالة، كالانتفاضة التي أثرت على واقع المخيمات بشكل رئيسي جراء اعتبار سلطات الاحتلال الضفة الغربية مناطق عسكرية مغلقة، والزج بالعديد في السجون، الأمر الذي زاد من حدة البطالة في المخيمات، كذلك أثر عودة أعداد كبيرة من العاملين أثناء حرب الخليلج إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، وإغلاق سوق العمل الاسرائيلية أمام العمال الفلسطينين، في ظل غياب استراتيجية تنموية فلسطينية، ونتيجة لكل هذه الظروف التي يعانيها اللاجئين في المخيمات أورد حمام فصلا كاملا حول التركيب العمري والنوعي للمخيمات في الضفة الغربية. تعتبر دراسة حمام دراسة شاملة حول أهم المعالم الرئيسة للمخيمات الفلسطينية، وذلك بالاعتماد على نسب واحصائيات جديدة عن المخيمات، كونها تعطي نظرة شاملة عن شتى مجالات الحياة للاجئين في المخيمات.

دراسة الباحث ناجح جرار "الأوضاع الاقتصادية والسياسية للمخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية مخيم بلاطة والفارعة كنموذجين"[31] صدرت هذه الدراسة عن مركز شمل باللغة الانجليزية عام 2003، حيث قام الباحث بدراسة ميدانية واسعة لكل من مخيم بلاطة ومخيم الفارعة، تناول في هذه الدراسة الظروف الاقتصادية، والاجتماعية في عينة الدارسة، والأبعاد السياسية لقضية اللاجئين، وتطلعات أهالي المخيمين لمستقبلهم وحياتهم في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية، وضرورة تحسين وضع المخيمات. حاولت الدراسة أن تكشف عن واقع اللاجئ الفلسطيني الاقتصادي، والسياسي وذلك من خلال التعرف على هذا الواقع قبل اللجوء وبعده، عالجت الدراسة الناحية

[31] ناجح جرار. **الأوضاع الاقتصادية والسياسية للمخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية مخيم بلاطة والفارعة كنموذجين**. مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل)، 2003

الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية للاجئين الفلسطينين في مخيمات الفارعة وبلاطة في الفترة ما بين 1950-1993، والأحداث السياسية التي تلتها.

تناولت الدراسة الأسباب التي جعلت اللاجئ الفلسطيني يتمسك بالعيش في المخيم، بالرغم من تسميته باللاجئ، وذلك بسبب الحصول على المعونة والمساعدات "التعليمية والصحية والخدماتية" المجانية التي تقدمها وكالة الغوث الدولية، وآلية مواجهة تلك الأوضاع التي تحيط بالمخيمات الفلسطينية من خلال عدة مؤشرات أخذتها الدراسة بالحسبان: ملكية اللاجئ الفلسطيني قبل هجرة عام 1948، مشاركة الأفراد في المقاومة قبل حدوث النكبة، ملكية السكان اللاجئين في المخيم، البطالة المرتفعة، والإشارة إلى الوضع السكني، وأخيرا الحديث عن آراء واتجاهات اللاجئ الفلسطيني نحو السلام حول مؤتمر مدرير عام 1991.

أما عن علاقة لاجئيي الشتات بالوطن، فكان ساري حنفي رائد من تحدث عن هذا المجال فكتابه "هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز"[32] تقوم الدراسة على مجموعة من الأبحاث الميدانية التي قام بها الباحث خلال السنوات الست السابقة، مع النخبة الاقتصادية الفلسطينية، وذلك في كل من سوريا، مصر ، لبنان، الإمارات العربية، كندا، الولايات المتحدة الأمريكية وتشيلي، استراليا، وداخل الخط الأخضر، يتحدث حنفي عن إشكاليات العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الشتات الفلسطيني والمركز "الأراضي الفلسطينية" وفيما بين الشتات والمجتمع المستقبل، وذلك من خلال استخدام أدوات التحليل الشبكي وعلم الاحتماع الاقتصادي لفحص شدة أو ضعف هذه العلاقات.

يتحدث حنفي عن إمكانية الاستمرارية والذاكرة والاستمرار الاجتماعي، إذ ينقل اللاجئ المهاجر عاداته وتقاليده إلى بلاد اللجوء وتتحول معها المخيمات الفلسطينية إلى "قرى فلسطينية" خارج حدود الوطن. إلا أن الإنسان أيضا يتأثر بحياته اليومية بمجمل العلاقات الاجتماعية المهنية، الصداقات الجديدة، والتي ينسجها في بلاد اللجوء، ويوضح حنفي أن هناك عناصر يغلب عليها طابع الاستمرارية وأخرى طابع الانقطاع، فتتلون الهوية الوطنية تبعا لتكوينات الهوية الأخرى.

---

[32] ساري حنفي. **هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني** والمركز. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مؤسسة الدراسات المقدسية مواطن، 2001.

أما الدراسات التي تمحورت حول مخيم الجلزون مجتمع الدراسة، فكانت دراسة "قصة مخيم الجلزون تاريخ شفوي"[33] للدكتور عادل يحيى، والذي أشار فيه إلى وضع مخيم الجلزون قبل اللجوء، والطريق إلى المخيم، والحياة التي عاشها اللاجئون الفلسطينيون منذ نشأته، موضحا الحقب التي وقع المخيم تحت حكمها، من الحكم الأردني، إلى الحكم الإسرائيلي، مرورا بدور وكالة الغوث الدولية، إلى الحديث عن قدوم السلطة الفلسطينية، حاول يحيى من خلال تلك الفترات استطلاع رأي اللاجئين في المخيم في هذه الفترات، واضعا بعض المقابلات التي أجريت مع بعض الأشخاص المبحوثين، مع العلم أن المقابلات انحصرت فقط مع الجيل الأول، دون الحديث عن آراء الجيل الثاني والثالث.

دراسة أخرى ركزت على دور المرأة في المخيمات كانت بعنوان "من القرية إلى المخيم دور المرأة الفلسطينية الريفية اللاجئة في الحفاظ على العائلة 1948- 1962"[34] لربيحة علان، وهي دراسة قدمت استكمالا للحصول على درجة الماجستير ، اعتمدت الدراسة على روايات النساء ورحلة العذاب التي قاسيناها خلال سيرهن إلى المخيم واستقرارهن فيه، ودور المراة الفلسطينية الريفية اللاجئة في الحفاظ على عائلتها خلال السنوات الأولى التي أعقبت النكبة 1948م، مظهرة الدور الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي (النزاعات المسلحة) وكيف لعبت المرأة دورا أساسيا في النهوض بهذه المجالات ونجاحها في المواصلة بالحفاظ على النسيج الاجتماعي للعائلة الفلسطينية، وذلك فترة ما قبل النكبة، وما بعد النكبة، وفترة العيش في المخيم.

القسم الرابع: الذاكرة الفلسطينية

أما فيما يختص بالذاكرة ودورها في إعادة البنية المعرفية والتاريخية عن ما غفلت عنه أو أغفلته الدراسات المكتوبة، فقد تنوعت أساليب الباحثين والكتاب حول الذاكرة على اختلافهم، فمنهم من أظهر الذاكرة من الناحية الأدبية وربطها بالذكريات وسردها بأسلوب أدبي بحت، فيما راح كتاب آخرون يتحدثون حول التعامل مع الذاكرة كمنهج للتوصل إلى المعلومات وذلك من ناحية تاريخية، ومنهم من ربط الذاكرة بالأشخاص وانعكاسها على المكان، ومنهم من ربطها بالهوية.

---

[33] عادل يحيى. **قصة مخيم الجلزون "تاريخ شفوي"**. فلسطين: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، 2006.

[34] ربيحة علان. **من القرية إلى المخيم دور المرأة الفلسطينية الريفية اللاجئة في الحفاظ على العائلة 1948-1962**. فلسطين: جامعة بيرزيت،2005.

طالب العديد من الباحثين والكتاب بضرورة الاهتمام بالذاكرة خصوصا لما تشكله من أهمية كبيرة لاستمرارية القضية، والعمليات الممنهجة الصهيونية التي تستهدف الذاكرة، وتعمل على طمس تفاصيلها، فكانت دراسة الدكتور صالح عبد الجواد "تدمير الذاكرة الفلسطينية المكتوبة وضرورة استخدام التاريخ الشفوي"[35] والتي ركز فيها على الإرث الضائع خلال فترة النكبة، موضحا أن الطريق لاستجماع الذاكرة وجعلها مكتوبة هي من خلال التاريخ الشفوي، والذي تنبع أهميته من كونه يتمحور حول الرواة أنفسهم كبشر أكثر من الحدث نفسه، وكما ذكر صالح أنه يتعلق بالحياة " تاريخ اجتماعي" .

أما دراسة "الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتمادا على التاريخ الشفوي في مخيم جنين"[36] للكاتب عبد الفتاح القلقيلي، والصادر عن مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني شمل، والذي تناول فيه مفهوم الأرض والتغيرات التاريخية، والسياسية، التي طرأت على المكان كفترة سيطرة الدولة العثمانية، ومن ثم القوانين البريطانية، وبعدها النشاط الصهيوني، والمؤامرة التي حيكت للاستيلاء على الأرض قبل عام 1947، وآليات حفاظ الفلسطينين على الأرض من جهة، ومن جهة أخرى النشاط الصهيوني للاستيلاء على الأرض منذ 1947 وحتى هدنة عام 1949، واستعراض أهم النشاطات التي انتهجها الفلسطينيون للبقاء فوق الأرض لعامي 1947-1949، وتشكل قضية اللاجئين والواقع الجديد الناجم عن اقتلاع الفلسطينين من الأرض، وبداية المعاناة، والحلول التي طرحت على اللاجئين لحل مشكلتهم : العودة والتعويض والتوطين، ومن ثم الحديث عن رواية الذاكرة الفلسطينية المتمثلة بالرواة التي استعان الكاتب من خلالهم على إصدار معلومات من خبرتهم وتجاربهم الخاصة حول الأرض ومع الارض، ودراسة دور الذاكرة الجماعية بإعاة تشكيل الماضي المشترك لسكان المخيم الحاليين.

في مقالات احتواها كتاب "نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة إشكاليات وتحديات"[37] تحرير مصطفى كبها، أتت مقالة أحمد سعدي بعنوان الذاكرة والهوية، والتي تؤكد أن مكان الذاكرة أداة لا يمكن الاستغناء عنها لفهم كيفية حدوث النكبة، والتي أصبحت من خلالها أحد العناصر التكوينية في الهوية الفلسطينية، ومكان للذاكرة الجمعية، حيث أنها

---

[35] صالح عبد الجواد. (2006)."**تدمير الذاكرة الفلسطينية المكتوبة وضرورة استخدام التاريخ الشفوي"**. التراث والمجتمع. ع 42. ص 111-124.

[36] القلقيلي، عبد الفتاح. **الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين**. رام الله: شمل- مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني، 2004.

[37] مصطفى كبها. **نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة، إشكاليات وتحديات**. حيفا: مدى الكرمل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، 2006.

تجمع الفلسطينين بنقطة معينة في الزمن أصبحت في نظرهم حاضرا لا يزول، وذلك كونه الحدث الذي غير المجتمع الفلسطيني بطريقة جذرية، إلى جانب كونها ذات آثار مستمرة على حياة الفلسطينين منذ وقوعها إلى الآن.

الذاكرة من وجهة نظر إدوارد سعيد لا تكون بالضرورة ذاكرة أصيلة، بل على الأصح ذاكرة نفعية، حيث يلاحظ تصرف الإنسان في الإرث بالاختلاف والحذف، وهو منهج واقعي في استخدام الذاكرة الجمعية من خلال طمس قطع معينة من الماضي القومي وإبراز البعض الآخر بأسلوب توظيفي بكل ما في الكلمة من معنى، وخير مثال على ذلك الكيفية التي وظّفت بها قضية الهولوكوست لتعزيز الهوية القومية الإسرائيلية بعد سنوات من عدم الاكتراث بها.[38]

الذاكرة والتاريخ:

عادة ما يطلق التاريخ على أنه حكر على المنتصرين، لأنهم الأقدر على كتابته، أما المهزومين فتاريخهم لا وجود له، بسبب الهيمنة التي يمارسها المنتصر على طمس وجود وتاريخ الآخر المنهزم، إلا أن قسطنطين زريق عرّف عملية التأريخ على أنها دراسة الماضي مع التعبير عن هم الحاضر وتصور المستقبل"، واتفق معه كوثراني في كتابه الذاكرة والتاريخ، بأنه أشار إلى أن التأريخ للماضي غير معزول عن رؤية الحاضر.[39]فيما راح المؤرخ الفرنسي مارك بلوخ إلى تعريف التاريخ على أنه " دراسة الزمن البشري" أي في سياق الماضي والحاضر والمستقبل.[40] في الوقت الذي اعتبره ميشيل فوكو على أنه نسيج غير بريء يحمل بداخله رؤى وقراءات وتقييمات تتحكم فيها وجهة نظر معينة لها تؤيلاتها ومقاصدها، إذ يؤكد على أهمية الخطاب المناهض للتاريخ، التاريخ القائم على خطاب حرب الأعراق المناهض لخطاب التاريخ الرسمي، أو تلك الممارسة التي تستند في روايتها إلى بروتوكولات تعود للسلطة، إذ يرى" أن الخطاب التاريخي ومنذ القدم كانت مهمته ووظيفته أن يقول حق السلطة.[41]

تتشكل الذاكرة الجماعية حسب هلبواكس بفعل الإطار الاجتماعي ويتم تقييدها في الإنسان، وتنبثق من الفرد بموجب تواصله مع الآخر وانتمائه إلى المجموعات الاجتماعية، فكل ذاكرة فردية تحتاج بناء على ذلك إلى إطار التعلق

---

[38] إدوارد سعيد. (2000). **الإختلاق الذاكرة والمكان.** ترجمة رشاد عبد القادر، عن مجلة الآداب الاجنبية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ع104. ص 122.

[39]وجيه كوثراني. **الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث والبحث التاريخي**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.2000، ص 21.

[40]المصدر السابق. ص 70.

[41]ميشيل فوكو 1969 ص 15

الاجتماعي لتكون قادرة على الحفاظ على ذاتها، والاطار الجماعي يقوم بتحديد ذكريات أعضائه كل على حدى، ويحدد هو ذاته من جراء ذلك، إلا أن الاختلاف في الذاكرة لا يكون كيفما أتفق أو على نحو تعسفي، بل من خلال ما يتذكر الفرد، وتقرره الفئة الاجتماعية على أنه جدير بالتذكر، ويأتي دور الفرد في الأحداث المنقولة، فالفرد في هذه الأثناء يتذكر ويكون له ذاكرة مطبوعة بالطابع الاجتماعي، وتنتج السمة التواصلية في مفهوم هلبواكس، فلولا النقل التواصلي لما أمكن الحفاظ على ما يمكن تذكره، يستند ما يتم الحفاظ عليه من الذاكرة الجماعية ما يستطيع المجتمع أن يبقي عليه من خلال تعلّقه به في كل مرة، وبهذا لا يتم الحفاظ على الأحداث بما هي أحداث ولا على بعد المدى التاريخي الخاص بالتجارب والذكريات في المجتمع، بل يتم الحفاظ بالدرجة الأولى على المعنى الذي تحمله هذه الجماعة عن مجتمع ما، وبذلك تكون الذاكرة الجماعية قبل كل شيء هي مؤسسة لإضفاء المعنى وإنشاء الهوية.[42]

يرتبط التاريخ بالذاكرة بشكل كبير، فالتاريخ يكتب عندما يتسنى للأفراد كتابته، فتأتي صورة الأحداث التي عاشها الأفراد من مخزون الذاكرة التي رسخت فيها الأحداث، فالتاريخ يتألف بجزء كبير منه من الذاكرة التاريخية، وهذه الذاكرة هي عبارة عن معطيات تاريخية مهمة، ومن خلاله أيضا يستطيع الباحث أن يدرس ظاهرة اجتماعية محددة، بالتزامن مع إدراك الحاضر، والوقوف على الأسباب التي أنتجته في الماضي، وصولا إلى المستقبل المستجدّ الذي سينتج عن الظاهرة المدروسة.[43]

كما أكد عامل على أهمية التاريخ في دراسة أي ظاهرة، كونه لا يمكن شرح واقع معين، بمجرد الذهاب إلى الأسباب الماضية التي أنتجته، او التوقف أمام الآثار المستقبلية التي يمكن أن تصدر عنه, فالتاريخي من وجهة نظر عامل هو كل ما ينتج من تحولات تاريخية نوعية، لا تعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية القائمة، بل تنتج جديدا ملموسا في زمن سابق، وكأن عامل يحاول السير بين الماضي والحاضر دون الانقطاع عن أي فترة منهما لأن كليهما يشكلان التحولات التاريخية التي تعين الباحث على تحليل الواقع.[44]

---

[42] موريس هلبواكس، 1985، ص 121-290، في كارن يوغرست، 200، ص 311-314

[43] مهدي عامل. **في تمرحل التاريخ**. بيروت: دار الفارابي. 2001. ص 13.

[44] عامل. ص 16.

الفصل الثاني

الهوية والمكان في ذاكرة النكبة المستمرة

1.2 مقدمة:

يعكف هذا الفصل من الدراسة على فهم وإدراك مواقع الإنسجام بين الهوية والمكان في ذاكرة الأجيال، أما المكان فمحدد بمخيم الجلزون، كمكان مؤقت للجوء، ضمن الإطار المكاني الأوسع "فلسطين"، وكيف تتبلور أنواع الهويات داخل المكان "مخيم الجلزون" من خلال التأثيرات التي وقعت خلال الزمن لتحدث شرخا بين مكانين جرّاء الممارسات الصهيونية التي أثرت وبشكل واضح على العلاقة بين هذين المتغيرين، وتتضح هذه العلاقة الشائكة من خلال النظر إلى تفاعل الهوية مع الفردوس المفقود "فلسطين التاريخية"، داخل إطار المكان الوليد " المخيم" وكيف أثّرت

النكبة في خلق مكان شكّل حالة جديدة في المجتمع الفلسطيني متمثّلا بظاهرة اللجوء للمخيمات الفلسطينية داخل بوتقة فلسطين التاريخية سواءً في الضفة الغربية وقطاع غزة، عدا عن لاجئي الشتات والذين لم تشملهم الدراسة على أمل أن تتسع دراسات أخرى لاحتوائها وبحثها وذلك لعمق أهميتها، وكيف أصبح المكان المؤقت للجوء ساحة لإحداثيات ومتغيرات توالت مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال لترسم صورا مختلفة من الهويات داخل هذا المكان، فابتداءً بالحكم الأردني إلى دور الأونروا، ثم الحكم العسكري الإسرائيلي، ولا ننسى الإنتفاضة الفلسطينية الأولى وصولا لاتفاقية أوسلو، وأثر كل واحدة في تعزيز أو تثبيط الهوية الوطنية لدى اللاجئين المبحوثين، هذا من جانب متغيرات سردية غير ثابتة على الأرض تنتهي بانتهاء الحالة فتظل حبيسة الذاكرة، أما من جانب التغير الملحوظ والمتنامي في الصورة الخارجية للمكان "المخيم"، من خلال البناء والحالة العمرانية التي تطورت مع مرور الزمن، مع الإشارة إلى أن هذا التطور الشكلي ورغم ازدياده كان ولا يزال داخل الرقعة الأصلية لمساحة المخيم، الأمر الذي جعل من الاكتظاظ والكثافة السكانية العالية من السمات الرئيسة للمخيم.

فالناظر لفلسطين ما قبل حرب النكبة 1948 يجدها رزحت تحت الانتداب البريطاني الذي لم يتوان الفلسطينيون بالوقوف ضده، وكانت خير وقفة لهم في ثورة 1936 إذ عبّر الفلسطينيون عن رفضهم لسياسة بريطانيا التي تمارسها تجاههم، إلا أنه وبالرغم من كل الظروف المحيطة بفلسطين في تلك الفترة فقد كانت تنعم بشيء من الراحة النفسية التي عبّر عنها معظم المبحوثين من الجيل الأول خلال مقابلتهم وحديثهم عن الحياة ما قبل حرب النكبة معبّرين عن ذلك بأنها "أفضل من اليوم" ومنهم من وصفها بأنها "جنة الله على الأرض"، وآخرين قالوا "يوم من هذيك الأيام بسوى كل هالعيشة اليوم"، فكانت الهوية واحدة تعبّر عن الوطن الذي أُجبر اللاجئون على تركه وراءهم، لينتقلوا بعدها إلى المخيمات التي جمعتهم من جديد تحت إطار اللجوء.

نظّمت المقابلة ورتّبت على أسس واضحة للتطرق لأنماط الحياة المختلفة لحياة الفلسطينين قبل حرب النكبة، "اجتماعية اقتصادية، زراعية، الحرف والمهن، ثقافية، واخيرا سياسية"، إلا أنه وفي كثير من المقابلات تداخلت هذه الأنماط أثناء حديث المبحوثين من خلال الرواية، وهذا جعلنا نفصّل هذه الأنماط لنتحدث عن رواية الجيل الأول، ورؤية كل من الجيلين الثاني والثالث حول ما وصل إليهم عن حياة الفلسطينين ما قبل حرب النكبة، لنكوّن صورة واضحة وجليّة عن هوية الفلسطينين قبل حرب النكبة. من ثم سنتطرق للحديث عن تاريخ الشعب خلال مرحلة حرب النكبة، وهنا سنعتمد على حكاية حرب النكبة كرواية سياسية من الشعب (ذاته)، بدءا ممن عاش التجربة وهم الأجداد (الجيل الأول)، ومن ثم الآباء (الجيل الثاني) الذين تناقلوا الرواية للصوت الأخير الذي سنسلط الضوء عليه وهم الأبناء (الجيل

الثالث)، هذا يعني أنّنا سنعتمد على الذاكرة للحديث عن الحياة ما قبل حرب النكبة، وبالتحديد على الجيل الأول، كونهم عاشوا التجربة، وهو ما يطلق عليه بالانتماء المسمّى "الانسان المباشر" والذي يولد إليه، فالفرد يولد وسط هذه الانتماءات بمعنى الانتماء المباشر "وجها لوجه"، بخلاف الحديث عن الجيل الثاني، والثالث الذي نشطت هويته حول مرحلة ما قبل حرب النكبة بالاعتماد على نوع آخر من الانتماءات، وهي جماعات متخيلة لا تنتمي إليها مباشرة لكنه يتخيلها كجماعة أو يولّدها لنفسه.[45]

أما عند الحديث عن الهوية فإننا نتحدث عن مستويات للهوية، لذا لن أغوص في تفاصيلها بشكل عام، وسأفرد حديثي في هذه الدراسة حول الهوية الفلسطينية، والتي تقوم حسب دراج على عنصرين فقط: العنصر الأول هو الذاكرة الوطنية، لا بالمعنى الفلوكلوري الذي يستدعي الأعراف والتقاليد والبيئة الموروثة، بل بمعنى إدراك تجربة الاقتلاع الشامل وتحويلها إلى قوة معنوية مقاتلة، إذ تشّكل الذاكرة الفلسطينية المتوارثة من الأجداد إلى الأحفاد بعدا سياسيا في استمرارية وجود الفلسطينين، فالفلسطيني صبيا كان أم شيخا ينسب نفسه دائما إلى القرية أو البلدة الفلسطينية التي هُجّر منها أجداده، رآها أو لم يرها وعاش فيها أبوه أو لم يعش فيها أبدا، أما العنصر الثاني فيتمثل بالتجربة والتي تعتبر عنصر من عناصر الهوية، وشرط للعنصر الأول ومرجع له، والذي يحتضن المعاناة المروّعة الممتدة من الرحيل إلى المخيمات، ومن المخيمات إلى الاستئصال، فهي جملة وقائع محددة المكان والزمان والأسباب.[46]

سنسلط الضوء على مسألتين رئيسيتين حول حرب النكبة وهما: دوافع الخروج، والجهات المتآمرة والداعمة. لنوضّح من خلال هذا الفصل أن حرب النكبة كانت حدثاً اقتصر على من عاشه من الأجداد من الجيل الأول، وتناقلوه بالمشافهة من خلال الرواية إلى الأبناء من الجيل الثاني، الذين عاشوا حياة الخيام والمخيم، فتحوّلت الرواية لهمّ جماعي توّج إلى قضية مع جيل الأحفاد البعيد عن المكان الذي هُجّر منه أجداده وسمع عنه من خلال رواية آبائه وأجداده، داخل المكان "المخيم" والذي يُعتبر مكان مؤقت للجوء لحين العودة، وأثر الرواية السياسية بتمكين فكرة العودة وارتباطها بالنكبة من خلال الأحداث السياسية التي تلت حرب النكبة والتي تمثلت بالانتفاضة الأولى، واتفاقية أوسلو، ورؤية المبحوثين لتلك الأحداث وانعكاسها على هويتهم.

---

[45] عبد الرحيم الشيخ. **الهوية الثقافية الفلسطينية "المثال" و "التمثيل" و"التماثل"** سلسلة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)، قاعات متنزه بلدية البيرة: 2013، 73.

[46] فيصل دراج. **قضايا فلسطينية السياسة والثقافة والهوية**. (2008). رام الله: المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية. 16-26.

يجدر الإشارة إلى أن اللغة المستخدمة في هذا الفصل ستكون اللغة العامية التي قامت عليها المقابلات، وهي لغة المبحوثين أنفسهم ومراعاة للأمانة في نقل أصواتهم كما هي فتم اعتمادها دون أي تعديل، هذا من جانب، أما الجانب الآخر الذي لا بد من الإشارة إليه هو أننا في اعتمادنا على رواية المبحوثين اتضح لنا أنه لا يوجد هناك رواية عامة فقد تختلف تفاصيلها من شخص لآخر، ومن جيل لآخر، تبعا لظروفه المعيشية لكن يوجد رواية سياسية تنسجها الأحداث ويتفق عليها الشعب من خلال الحكاية على الأرض التي تشكل مسرحا للأحداث.

اعتمدت الدراسة على تقسيم الأجيال حسب العمر، وذلك كون التقسيم السياسي للأجيال لا يتفق وفكرة الجيل نفسه في هذه الدراسة، فالجيل الأول على سبيل المثال إن اعتبرته أنه جيل حرب النكبة فقط، سيكون لدينا عينة من أبناء هذا الجيل لا تنطوي حقيقة تحت هذا المسمى، كون عمره عند خروجه من القرية أو المدينة كان عاماً أو لا يتعدى العام، فهو لم يكن في التجربة المباشرة، وقادر على تذكّرها بسبب صغر عمره، لذا لم نستطع أن نأخذ الأفراد الذين خرجوا من القرى والمدن الفلسطينية عام 1948 كلهم في نفس الدرجة، لذا كان العمر مؤشرا لتشكّل حالة الوعي أو حتى الخيال والتذكّر، ليكون قادرا على سرد رواية شخصية خصوصا حول الهوية ما قبل حرب النكبة وبحلولها، أما الجيل الثالث فقد ارتأيت بخصوص هذه الدراسة وبحسب المبحوثين الذين كانوا ضمن هذا الجيل أن يتم تقسيمهم إلى قسمين، وفقا لوعيهم لمرحلة الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987)، ولا بد من التنويه إلى أن هذا التقسيم هو خاص بهذه الدراسة ولا يعممّ على غيرها.

2.2 الهوية الفلسطينية ما قبل حرب النكبة حسب الجيل الأول:

إن الحديث عن هوية الفلسطينيين قبل أن تعصف بهم حرب النكبة وتجّردهم من إرثهم الفلسطيني الذي نعموا بالعيش في كنفه، ضرورة ملحّة للبرهنة للعالم بأسره بأن فلسطين كانت بكل مدنها وقراها تحمل هوية فلسطينية ونمطا معيشيا ظل وسيظل باقيا في ذاكرة الأجيال، ليدحض الرواية الصهيونية التي تم ترويجها منذ نهاية القرن التاسع عشر عندما بدأت في توغلها في فلسطين والتي صوّرتها على أنها بلاد مستنقعات، وصحراء قاحلة وخالية لا بشر فيها، وإن تواجد بعضهم فهم بدائيون متخلّفون وهدفت من وراء ذلك لاستمالة وإقناع الرأي العام العالمي والأوروبي بأهمية قيام الدولة اليهودية الحضارية في فلسطين لتكون كما وصفها هرتسل "محطة للغرب المتمدن كي يصل إلى الشرق المتخلّف وكذلك تسهيلا

لعملية التغلغل اليهودي في فلسطين.[47] هنا يأتي نداء الواجب وعبء المسؤولية علينا كباحثين عن صوت أولئك الذين لم تنصفهم الكتابات، ولم توليهم حقّهم أيا من الجهات الرسمية والحكومية وخلافها بأن نترك لهم متسعاً للحديث عن واقعهم الحياتي الذي مزّقته عصابات الهاغاناه بوحشية وهمجية، ساعين من وراء ذلك إلى إضعاف التواجد الفلسطيني وطمس التاريخ الحقيقي بعد أن قاموا بتطهير عرقي أحدث أثرا بالغا في تغيّر صورة حياة أناس كانوا ينعمون بالراحة والسعادة، ليقلبوا موازينها رأسا على عقب، فمن مالك إلى محتاج، ومن صاحب عمل إلى عامل.

هذا ما تحدّث عنه نور مصالحة حول أهمية النكبة بالنسبة للهوية الفلسطينية، فالنكبة أثّرت وتؤثّر على الهوية بطريقتين "الأولى هي هدم وإضعاف هوية سابقة كانت سائدة ما قبل الإحتلال الإسرائيلي لفلسطين وقبل طرد السكان من أراضيهم واقتلاعهم من جذورهم وتاريخهم وثقافتهم التي كانت سائدة وعاشوا عليها نقلا عن آبائهم وأجدادهم. والثانية هي بناء هوية جديدة تمثلت بهوية اللجوء والتهجير وهوية المخيمات التي أصبحوا هم جذورها وانتقلت بدورها لأبنائهم وأحفادهم.[48] من هنا تأتي أهمية تسليط الضوء على ما قبل حرب النكبة والذي هو بمثابة الجذور التاريخية والثقافية والحضارية للفلسطينيين قبل أن يهيموا على وجوههم في مخيمات اللجوء ويوصموا بوصمة لاجئ.

سنتطرق خلال هذا الفصل لحياة الفلسطينين خلال مراحل زمنية محددة، والتي تتمحور في ثلاثة مراحل، مرحلة ما قبل حرب النكبة، ومرحلة حرب النكبة "الرواية"، ومرحلة ما بعد حرب النكبة، وكل هذه المراحل تشتمل على محاور تناقش صورة الهوية حسب كل جيل من الأجيال.

بداية سنتناول فترة ما قبل حرب النكبة، والتي سنناقش فيها صورة الهوية الفلسطينية بما فيها الجانب الاجتماعي، والسياسي، والتي تخدم الدراسة في كونها تُظهر الجانب الهوياتي للفلسطينين ما قبل حرب النكبة من جهة، ومن جهة أخرى تعطينا مجالا لدراسة التواصل الهوياتي خارج إطار المكان، والذي حلّ محلّه "المخيم" بتعاقب الأجيال عليه.

– **الحياة الإجتماعية:** كيف يرى الفلسطيني ذاته الفلسطينية قبل أن تمسّها شرارة اللجوء؟ ما هي طبيعة المعيشة التي كانت سائدة في فلسطين قبل حرب النكبة، وتشتمل على متطلبات الحياة والإكتفاء الذاتي، التعاون في العطاء وتبادل المحاصيل، الراحة النفسية، الأمن والاستقرار، دور الرجال في العائلة، دور النساء في العائلة، الزواج، الولادة، الأعياد

---

[47] عيسى قراقع.2006. **حق العودة في المناهج التعليمية الاسرائيلية في مأزق أخلاقي في الثقافة العبرية**. استرجع بتاريخ 15 /2014/6، من الموقع الالكتروني: http://www.badil.org/ar/annual-al-awda-award/item/387

[48] Nur Masalha. ***The Palestine Nakba: Decolonoising History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory***. London: Zed books ltd.2012. P12.

والمناسبات، المضافات والمقاهي، الوفاة. لنتسائل عن الصورة التي وصلت للأجيال عن واقع الحياة الفلسطينية قبل حلول حرب النكبة؟ كيف يرى اللاجئ الفلسطيني ذاته داخل المخيم بعد أن كان في أرضه؟ ما هي المفارقات والاختلافات التي طرأت عليه؟. هنا نستطيع أن نلمس الجانب الزمني بين الأجيال بين من هُجّر وبين من وُلد في كنف المخيم، وأثر ذلك على هوية الفلسطيني اللاجئ بعد أن أصبح اللجوء يورّث جيلا بعد جيل، كما نستطيع أن نلمس الجانب المكاني بين الأجيال، بين من احتضن الأرض وترعرع بين بيارات البرتقال، وبين من احتضنته الخيام وبيوت الوكالة ومن ثم وجه المخيم الجديد، لنسلّط الضوء على دور حرب النكبة والأثر الذي لعبته في ترسيخ/ تفسيخ هوية الفلسطينين وطبيعة حياتهم ما قبلها.

اتّسمت طبيعة المعيشة لدى الفلسطينيين قبل أن يصبحوا لاجئين بالبساطة والمرونة، فكانوا يعيشون حياتهم بقناعة وبعيدا عن التكلّف، قادرين على أن يأمنوا متطلبات حياتهم اليومية من محاصيل الأراضي الزراعية التي كانوا يمتلكونها، ليشعروا باكتفاء ذاتي، في الوقت ذاته كان التعاون سمة رئيسة للمجتمع الفلسطيني، فكانوا يتبادلون المحاصيل، بل ويهدوها لبعضهم البعض، فقد اختلفت نظرة المبحوثين لطبيعة المعيشة في فلسطين ما قبل حرب النكبة، فكل واحد منهم سلّط الضوء على زاوية مختلفة أسعفته فيها ذاكرته، فتحدثت لنا الحاجة أم عليان عن حياتهم ما قبل حرب النكبة قائلة:

"كانت الناس أبسط لانو ما كانت حالة الناس زي اليوم، يعني بأكله بشربه ميتمصرفش زي اليوم، بكوا الناس قبل قنوعين ويسكتفوا باللي عندهم، يعني العيلة الوحدة بالاسبوع يمكن يصحلها وقيتين لحمة، ويلا جاجة من هاللي مربينهن، ويمكن ميصحش، واذا واحد بدو يذبح يسأل يخبر يعني هالناس انه بدو يذبح واللي بدو يوخذ، يقسمهن اكوام اكوام، هاظا اوقية، هاظا اوقيتين، ويقول هاظا بإيش وهاظا بإيش حقه، هاظ عبهوا اللحمة والجاج، بقوا الناس يربوا شوية جاج، حمام، ارانب يذبحوا منهن وقت يجيهم ضيف، بس الخضرة بكى الله فاتحها علينا عنّا أرض ونزرع، بكيناش نشتري بكى كلو متوفر، والنسوان يعجنن، يعني العيلة بكت تعجن في الاسبوع يجي رطل طحين، يحطوا له شوية ملح، والخميرة من نفس العجينات، بعد ما تخبز الحرمة الخبز كله تخلي شقفة عجين هلقد للخميرة عشقة، ما نشتريش خميرة، وتقولي السكر مثل اليوم بقينا نستخدمه، بقوش الناس يشربو شاي وقهوة قليل يا ستي فش تقولي زي اليوم ابريق شاي رايح وغلاية قهوة جاية، ما كانش شاي وقهوة في البيوت الواحد يمكن خطرة واحدة يشرب باليوم وباليومين، اللي بقوا يشربوا قهوة في المضافات للرجال يعني يشربوا قهوة سادة".[49]

[49] أم عليان، 72 عام،(قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

أضافت أم عمر حول طبيعة المعيشة ومتطلبات الحياة موضحّة فيها الاكتفاء الذاتي الذي كان يعيشه الفلسطيني من خيرات أرضه:

"بقوا يطبخوا في القدرة على النار بقاش بابور كاز او غاز هاظ جديد، في الشتا الناس تتدفى عهالكانون يعملوا كازة زيت يفتحوها ويحطوا الحطب في هالكانون، بس يخمدن النارات يعبروا في الدار يظل مدفي الدار طول النهار، وفش الناس بقتش تسهر زي اليوم، فش تلفزيونات ولا هاظ النت البلا "البلاء" الجديد الي اجى (جاء) لهالجيل، يوكلوا هاللقمة ويحطوا راسهم ويناموا، مهم بدهم يصحوا بدري اللي يزرع اللي يبذر اللي يعشّب، وبقوا يتعبوا في النهار مش زي ولاد اليوم ليلهم نهار ونهارهم ليل، وبعدين من جهة الطبيخ والخضرة كل شي بقى متوفر يعني نسوان زمان بقين افصح واحرص من نسوان اليوم، تلاقي كل شي عندها من بندورة من بامية من لوبية من فول اخضر، في الصيف يطبخوا بامية وبندورة، والعدس موجود، والبندورة ينشفوها، يشقحوها ويملحوها ويحطوها على ظهر السطوح، او يفغصوها ويخلوها، والفول والعدس والبزيله (البازيلاء)، الفاصولية كل هذا كان موجود، اليوم عايشين عالجاهز والبندورة العلب اللي ملهاش طعم، والله يا البندورة تبقى تشهي اي بيكفي انه الواحد عاملها بإيدو وعارف شو حاطط فيها".[50]

كما تطرّق المبحوثين أثناء حديثهم للتعاون وتبادل المحاصيل بين بعضهم البعض، الأمر الذي شكّل مرونة وسهولة في العيش، وهنا نستطيع أن نقول أن الأرض شكّلت عامل جامع للفلسطينيين، من خلال تبادلهم المحاصيل، هذا ما قالته لنا الحاجة أم رائد:

"كانوا عايشين يزرعوا هالقمح، يزرعوا هالسمسم، يزرعوا هالذرة، طول الزلمة خوف الله تبقى الذرة، والقمح يبقى يموج هيذ، هللي يزرع خضروات كوسا، ويلا بامية، بندورة، باتنجان، فش هاظ الي وهاظ الك، الناس يوكلو من خير هالارض،الي ما عندوش يوخذ من جاره، فش واحد يعز عن الثاني شغلة".[51]

لا بدّ من الإشارة إلى أن هناك مقارنة يجريها المبحوثون بين نمط المعيشة التي كانوا يمارسوها في مدنهم وقراهم، مع الممارسات التي تتّبعها الأجيال المتعاقبة كالجيل الثاني والثالث والتي لم تحظ بقبول من الجيل الأول.

شكّل ضياع الأرض وفقدانها قلقا واضحا للمبحوثين، مما انعكس على شعورهم بالأمن والاستقرار، فالأرض كانت بالنسبة لهم بوتقة للراحة النفسية التي افتقدوها بعد تهجيرهم من أراضيهم، فكل من قابلته من مبحوثي الجيل الأول كان

[50]أم عمر، 80 عام، (قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.
[51]أم رائد، 71 عام،(قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/5/8.

مشغول البال والفكر، قلق على كل ما يدور حوله من أحداث ومستجدات، في ظل وجود الاحتلال الاسرائيلي، الذي يمارس سياسته القمعية أينما يشاء، وكيفما يشاء، والوقت الذي يشاء، في الوقت ذاته كانت المقارنة تحضر في حديثهم بشكل واضح ليعبّروا عن أوضاعهم المستقرة في مدنهم وقراهم قبل أن تعصف بهم النكبة، وتجعلهم في وضع قلق مستمر في كنف مخيمات اللجوء، فقد عبّر الحاج أبو جهاد قائلا:

"الراحة النفسية مهمة ويلا مالها، يعني الواحد وقت يبقى مرتاح نفسيا جسمو بتعبش حتى، بس الواحد يظلوا قلقان ومش عارف وين الدنيا رايحة فيه بمرض منه لحاله، اليوم الوضع كلو قلاقل ومش هادي والواحد مش مرتاح نفسيا، قبل بقينا فش اشي يعكر نفوسنا عايشين بأرضنا وراضيين بخيرها وبشرها، فش حد يتحكم فيك وانت مروح، تروح وين ما تروح محدش يقولك وين رايح؟ تتأخر قد ما تتأخر محدش يقولك وين باقي ويلا ينشغلو عليك، ليش لانو فش اشي ينخاف منه، اليوم اخوكي يتأخر شوي عقل امك بصير يودي ويجيب ابصر شو جرالو، يمكن فيه جيش عالطريق، وحط عاد مية احتمال، كل هاظ ليش لانو فيه احتلال".[52]

أضاف أبو ابراهيم أيضا:

"ما فيش اشي في الدنيا بيساوي راحة البال، لو فيه راحة بال وفيه اطمئنان، بأقول لك يوم من هالايام هذه بسوي عشرة من ايام زمان، اما عدم وجود هالاشي هذا بخليك تقول انه هذيك الايام احسن، انت بتظل خايف على مالك وعلى عرضك وعلى مستقبلك لانك لاجئ فش الك وطن، وهينا قاعدين في هالمخيم عارفين شو بدو يصير فينا اخرى اكمن سنة؟ والله ما حد عارف، بس يعني أنا لما اكون قبل ال 48 الي بيت والي ارض ازرعها وتعطيني إنتاج واليوم ما فيه شيء في الدنيا اللي أركن عليه، بدك تقوليلي وكالة الوكالة دوبها تطعمي حالها، كل شي تغير، الشاطر اللي بقطعوا عنه نتفة هالطحين ونتفة هالزيت، وهيني شغل ما انتي شايفة بقدرش اشتغل كان الاولاد بشفقوا علي ويعطوني من تعبهم، الواحد اهم اشي يموت مستور والحمد الله على كل اشي".[53]

فيما عبّر الحاج أبو محمد عن الأمن والاستقرار الذين كانوا يشعرون به داخل مدنهم وقراهم الفلسطينية قائلا:

"كانوا الناس راضيين ومرتاحين فش اشي يزعجنا ولا يخوفنا، قاعدين في دورنا وفي وطننا، يعني هلقيت تروحي ع (على) رام الله بنص الليل بدك اشي بتطلعي على اعصابك خوف ليلاقوه الواحد الملاعين هاليهود، بقينا قبل الواحد يسهر نروح على يافا على الرملة في الليل شرطك ها، تخافي ويلا قلبك ينقز حتى؟! ايام البلاد إيمن (أكثر أمانا) من هالايام، اليوم بتأمنيش ولد صغير توديه يشتريلك غرض ينطخ ويلا يصيرلو اشي".[54]

---

[52] أبو جهاد، 73 عام،(قرية عنابة)، تاريخ المقابلة: 2014/5/9

[53] أبو ابراهيم، 83 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.

[54] أبو محمد، 85 عام،(قرية السافرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

يظهر جلياً من خلال حديث المبحوثين حالة المقارنة اللاشعورية التي يقومون بها في حديثهم حول حالة الأمن والاستقرار، التي كانوا ينعمون بالعيش فيها قبل حرب النكبة، مقارنة بانعدام الأمن والاستقرار في معيشتهم داخل المخيم معبّرين أن الفرد لا ينعم بالراحة والأمن إلا في أرضه، وأنه يظلّ مهدد الوجود، وقلق التفكير خارج أرضه والتي لم يحدّدها المبحوثين بأنها تنحصر في داخل المخيم، بل أن الفلسطيني يظلّ لاجئا أينما كان خارج أرضه التي أُجبر على تركها، والتي كانت تمثّل له الحياة بأكملها.

كما نلاحظ من حديث المبحوثين من الجيل الأول، أن الأرض قد شكّلت لديهم مصدر أمن واستقرار، إذ أصبحوا بمعزل عنها غير قادرين على تأمين ما كانوا يشعرون به في أرضهم، فحالة الضياع التي خلّفته معيشتهم بالمخيم شكّلت لديهم هاجس خوف وترقّب دائم لمصيرهم الذي بات غير واضح المعالم، في ظل حالة العوز التي أطبقت على اللاجئين في بدايات معيشتهم في المخيم، والتي ارتبطت بوجود وكالة الغوث الدولية، إذ لم تكن قادرة على تلبية احتياجات اللاجئين على حد تعبير المبحوثين أنفسهم، فهويتهم الوطنية التي ارتبطت بفلسطين ما قبل النكبة كانت واضحة وغير مهددة، إلا أنها وبحلول النكبة أصبحت هويتهم مهددة بوجود الاحتلال الصهيوني الذي عمل على تهجيرهم من أرضهم، لتصبح هويتهم مرتبطة باللجوء كقضية سياسية داخل إطار مكاني واسع لا يتحدد بالمخيم كمكان، وإنما يحدده غياب المكان الأصل الذي اقتُلع منه الفلسطينين ليصبحوا لاجئين.

إحدى سمات المجتمع الفلسطيني وجود المضافات، وهي بمثابة مكان يجتمع فيه الناس للتشاور في المسائل الهامة، وكذلك لعقد الاجتماعات، ويتضح أنها كانت المكان الأمثل والأنسب لتجمّع أبناء الحامولة الواحدة قبل ظهور المقاهي، إذ اقتصر دور المضافات بعد ظهور المقاهي بجعله مكانا للمراسيم الرسمية ومجالس لكبار السن، يحدّثنا أبو محمد قائلا:

"بقوا كل حامولة إلهم مضافة صليتي عالنبي يقعدوا فيها هالناس، يتسلوا شباب وختايرية، بقوا يلعبوا العاب كثير بس هات عاد افطنهن جميعهن، عندك الخويتمة، وعندك الصينية، ونلعب الدوتشان زي الكرة، يلعبو شدة احيانا زهرة، احيانا دومرة، وبقوا يجيبوا هالشبابة والشاعر يحكي شعر، أو يصيروا يتخرفوا عن ايام أبو زيد الهلالي، وعنترة، يخرفولهم خريفية ويسهروا هذيك الليلة، وبعدها وكل واحد على داره، هيك بقوا الناس عايشين ومبسوطين، فش بقاش لسة قهاوي، عملوا القهاوي في السنتين الاخرانيات قبل لنتهجر، وصاروا الناس يقعدوا وظلن المضايف للختيارية يقعدوا فيهن، والشباب بتعرفي بحبوا شغل القهاوي".[55]

[55]أبو محمد، 85 عام، (قرية السافرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

يتضح لنا أن الهوية الفلسطينية كانت تحتوى على هويات في جعبتها، فالهوية الحمائلية ظهرت بين الفلسطينيين ما قبل حرب النكبة، والتي اشتملت على آلية التواصل بين الأفراد، فكانت تجمعهم في مكان واحد، إلى أن ظهرت المقاهي والتي حلّت محلّ المضافات ليقتصر دور المضافات على الاجتماعات والمشورة بين أبناء الحامولة.

اتسمت الهوية الوطنية بالتواصلية بين أبناء القرى والمدن الفلسطينية، فكان لمراسيم الزواج بهجة وحضور، ويرجع ذلك إلى مشاركة الجميع لبعضهم البعض، خصوصا أن هذه المراسيم كانت تتم وفق عادات وتقاليد متعارف عليها فيما بينهم، كأن يركب العريس على الفرس، وثوب العروس المطرز، والأغاني الشعبية التي كانت النسوة يرددنها في حفلة الحناء، وهي حفلة تقوم فيها النسوة بوضع الحناء على يدّ العروس، وكذلك الأغاني الشعبية والزجل الشعبي الذي كان يردده الرجال في السهرة التي يقومون بها احتفاءًا بالعريس، والتي كانت تمتد لليالي وأيام، هذا ما أكدّه أغلب المبحوثين من أبناء الجيل الأول فتحدثنا أم عليان حول طبيعة الزواج وكيف كانت فقالت:

"عالفرس العريس يركب الخيل اتطارد عالبيادر للمغرب، والعروس تجيب ثوبها من يافا والصندوق ما فيش خزانة، تحطي فيها شوية هالاواعي، هو بقى زي اليوم الاواعي، مهو اليوم اللي بكبوا اكثر من اللي كان الناس تلبسوه زمان، الحنة والعرس الو غناني، الحنة"...

"يا رفيقاتي يا فلانة يا رفيقاتي يا هي كد خواتي بحبك يا رفيقاتي يا هي"

"طويلة كثير الاغنية، بقوا يعزموا كل البلد مهي رنتية زغيرة بقوا يعزموا الجميع، عند الجامع ويقولوا خلف الله عليك يا ابو فلان والمحبة براس النبي وهالنسوان يقولن إبي يزغرتن... هيك بقى العرس يا ستي عنا هي العرس، بعد ما يزفوا العريس في سهرة يا ستي هاظا من حد ما يقطعوا الكسوة 15 يوم 20 يوم قد ما الواحد مقدرته هالدبكة والسحجة[56] دايرة في نص البلد وهالدبكة والغناني والزغاريت، تمنوا يتجوز يلا السلام، المهر منيح بقى، بقوا يقطعوا ذهب، وبقوا يجيبوا من يافا، كلو من يافا، التخوت والشراشف من يافا بقت المركز لجميع الناس، بقوا يطبخوا هالموجود بقى فيه بوابير المباسيط على بوابير، الفقرية على في القدرة قدرة سمرا يحطوها على الموقدة موقدة تراب سمكة ويطبخوا يا ستي، الشيخ يجي من اللد يكتب الكتاب، وبقى عنا في البلد خطيب يكتب كتاب العروس وبقدوا عنده 3 شهود ويوديه على اللد".[57]

أضافت الحاجة أم عمر على مراسيم الزواج قائلة:

"في الحنة كان في ماشطة تيجي من يافا بمصاري، ويحنونا هيك نقوش حلو في الايدين والعروس تلبس سبع بدلات، تلبس البدلة وتطلع تتجلى، وآخر بدلة تلبسها العروس يجيبوا عشر شمعات كبار وصغار هيك على

[56]* تصفيق بإيقاع موسيقي معين يتناغم مع غناء شعبي غالبا ما يكون الحدّاء، وفي كثير من الحالات تختلط السحجة في الذهن الشعبي بالسامر. من الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثاني، ص 546.

[57]أم عليان، 72 عام،(قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

كشاتبين، وتكون الماشطة وراها ويغنولها والعريس يغسلوه عند الجيران ويحطوا عهالكرسي ويدوروا يغنوا حواليه، ويغنوا مش مثل اليوم، يغنوا اغاني منيحة وحلوة".

وقالت أم عمر في الاغاني التي كانت ترددها النسوة:

بيي العروس...يا بيي العروس يا تاج فوق الراس... واعطى العطا ولا درا الناس
بيي العروس...يا بيي العروس يا تاج فوق عيوني...واعطى العطا ولا درا الحامولة
ضيفناك ويا ضيي محمد... ضيفناك ويا ضيي محمد... واطلع وحيي ضيوفك... واطلع وحيي ضيوفك
يردوا عليهم الصبايا وأم العريس
والله لاطلع واحيي...والله لاطلع واحيي...يا امير ويا ابن الامير...يا امير ويا ابن الامير
وافرش الساحة حرير...وافرش الساحة حرير"[58]

أضافت الحاجة أم سمير في أغاني يرددنها النسوة يوم عقد القران "كتب الكتاب" فتقول:

"كتبوا كتابك يا نقاوة عيني يوم الهنا يا حلوة يوم ما تيجيني ... ندرن عليي يوم قروبك عندي لافرشلك السكة بحرير من الهندي... تتمختري تفوتي عليه وتعدي وتعزي بيتك يا نقاوة عيني، ندرن عليي وانسعدي يا نوارة يا ام الحلق يا معطرة يا امارة، ولا فش زيك في بنات الحارة يشبه جمالك يا نقاوة عيني، كتبوا كتابك يا نقاوة عيني يوم الهنا يا حلوة يوم ما تيجيني".[59]

بعد أن استعرضنا مراسيم الزواج سنستعرض الرحيل والوفاة في فلسطين قبل حرب النكبة، إذ كانت الأرض تحتضن أبناءها تلفّهم بتراب طالما افترشوه في جلساتهم، وداعبته أناملهم وهم يحرثون الأرض ويزرعوها، لم تكن شواهد القبور بحاجة إلى إثبات نسب المتوفى لأرضه، وكانت المقابر ملك لأصحابها لا منحة من أحد، يحدّثنا الحاج أبو محمد عن الوفاة والمقابر في فلسطين قبل حرب النكبة قائلا:

كان فيه مقبرتين في البلد، انتلت أول واحدة صاروا يقبروا الولاد الصغار وفتحوا مقبرة ثانية مثل هان وجفنا ورا المدرسة هذه منطقة نوادر لأهل البلد، قالوا خلوا منها يعني عشر دنومة خلوها يقبروا فيها اهل البلد ودشروا هذيك المقبرة، بقت الناس كل البلد تروح عالميت الناس مش زي اليوم، تعطّل وقت واحد يموت العادات هناك يا عمي بتختلف عن هان كثير.[60]

تحدّثت أم عليان عن العادات التي كانت متداولة بين الناس عند حدوث وفاة تقول:

[58]أم عمر، 80 عام،(قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.
[59]أم سمير، 72 عام،(مدينة اللد)، تاريخ المقابلة: 2014/5/18.
[60]أبو محمد، 85 عام،(قرية السافرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

"عنا مقبرة في البلد، ما كانوا يكتبوا عالقبر إشي حجار بقى وكل واحد يعرف اللي إلو، العزا بقين يقعدن 7 أيام وهني يلطمن ولابسات اسمر وبشعرهن البعيدات، يقعدن يلطمن ويسحّن لا أكل ولا شرب، يحطّولهم الاكل يكبّوا للكلاب بقوا يطوّلوا في العزا، بقوا يذبحوا 6- 10 ذبايح. خميس الميت بقى زي الدود، بقوا يمّلوا كرمية، يقلوا زلابية، يساووا مطبق، يساووا من هالدار، ويغرّقوا في القطر ويغطوا هاللي سووه ويوزّعوه على القبور، هو زي اليوم ويبر (ويفر) ؟ وبقى فيه أربعين للميت برضوا يذبحوا ويعزموا".[61]

وفي أكثر من موقف وكما سبق في أحاديث المبحوثين من أبناء الجيل الأول كانت المقارنة سيدة الموقف وهذا إن يعود لشيء فهو كون هؤلاء المبحوثين عاشوا تجربتين، جعلت منهم قادرين على التمييز والمقارنة بين ما كان سابقا في مدنهم وقراهم، وما أصبح أمرا واقعا بعد تهجيرهم منها، ولجوئهم إلى المخيمات، إلا أن السمة السائدة على حديثهم كانت التلاحم والتعاون والهوية واضحة المعالم باستقرارها، لتختلف موازين هذا الاستقرار وتصبح هوية مهددة بعد لجوئهم للمخيمات واعتمادهم على المعونات التي كانت تقدمها وكالة الغوث الدولية.

بعد أن استعرضنا الحياة الاجتماعية وأنماط المعيشة التي كان يحياها الفلسطينيين في مدنهم وقراهم قبل أن يقعوا تحت تأثير الهجرة القسرية، التي أجبرتهم على الرحيل عن أرضهم، يتضح لنا وجود هوية بموروثها الاجتماعي والتواصلي، كانت سائدة في فلسطين، وهذا ما أكّده المبحوثون خلال حديثهم في المقابلات، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على هوية راسخة عملت العصابات الصهيونية على طمسها وتشويهها خلال حرب النكبة، وذلك بتشريد السكان وتقطيع أوصالهم.

- الحياة العملية (الزراعية والحرفية):

شكّلت الزراعة المحور الرئيس في حياة الفلسطينيين خصوصا شريحة الفلاحين، إذ كانت الأرض بالنسبة لهم هي المركز الرئيس للعمل، في حين ظهرت شريحة أخرى اتجهت نحو أعمال ووظائف مختلفة، والتي كانت متوفّرة نوعا ما لقرب بعض القرى من مراكز المدن، والتي كانت تدرّ أرباحا ومكاسب مادية أكبر مما تدرّه الأرض خاصّة في الفترات التي مرّت فيها الأراضي الفلسطينية بالركود وقلّة الإنتاج في ظل التسهيلات التي كانت تقوم بها بريطانيا لخدمة الصهاينة، وتقوية اقتصادهم ، وسنوضح طبيعة هذه السياسة من خلال حديث المبحوثين.

انقسمت الاتجاهات التي تحدّث فيها المبحوثون حول الجانب المهني لعدة محاور والتي سنتناولها حسبما وردت في حديثهم خلال المقابلات، فظهر المحور الأول بالافتخار بالفلاحة بشكل واضح وصريح، إذ تشكّلت حالة من إثبات الذات ووجودها في فلسطين من خلال وجود الأرض التي كانت بمثابة الحياة لكل فلسطيني، فبها ومنها يعتاشون مشيرين إلى أن هذا العمل كان يشتمل على جميع أفراد العائلة بما فيهم النساء، ولا بد من التنويه إلى أن أغلب العائلات في السابق كان يغلب عليها طابع العائلة الممتدة، والمكوّنة من الأب والأم والأجداد وأحفادهم، وهذا يشكّل

[61] أم عليان، 72 عام، (قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

ما يّعرف (بالعونة) لدى الفلاحين، أي التعاون، كثرة اليد العاملة من جميع أفراد العائلة، والتعاون بينهم لإنجاز المهمة المطلوبة، ولا بد من الإشارة إلى أن زراعة بعض القرى كانت تقوم على زراعة الحمضيات، فقد بدأت زراعة الحمضيات تقوم على أساس علمي بعد الحرب العالمية الأولى، وقد تركزت في السهل الساحلي الفلسطيني، ويرجع ذلك لتوفر المياه الكافية والتربة الخفيفة المناسبة للحمضيات،[62] فتحدّث لنا الحاج أبو محمد قائلا:

"بقينا عايشين احسن حياة، احنا النا بيارة مكيفين، ماكلين شاربين نظمّن كل سنة ولا عزنا بشر في العالم، بعنا الارض كلها بدلناها خذ كل دونمين بدونم من اهل البلد، منا وفينا صفينا كل عيلتنا في منطقة واحدة، ابوي عمره ما اشتغل غير دايما في البيارة، وامي وكلنا فش حد عنا بشتغل الكل بالبيرة، بقينا نزرعها برتقال، تفاح، كلمنتينا، بوملة، جريفوت، ليمون، وبقينا نبيع في يافا وتل ابيب، فش حريم يقعدن في الدار، اللي تروح تزرع تفلح تنكش، فش زيك تروحي تشمي الهوا، بقن النسوان من الساعة خمسة تروح توخد ابنها معها بالسهل وتشتغل". [63]

يظهر من حديث أبو محمد أن هناك شريحة متكاملة، كانت مهمتها الأساسية الأرض وزراعتها، والتي تشكّلت من العائلات الفلسطينية بأكملها دون استثناء النساء والإناث، فكان لهنّ دور في الزراعة وجمع المحاصيل، والتي ارتكزت بشكل أساسي على زراعة الحمضيات.

تحدّث المبحوثون عن الزراعة التي كانت سائدة في فلسطين قبل عام 1948والتي كانت تعرف بالزراعة الوطنية وهي التي يمارسها الفلاحون العرب بشكلها التقليدي المعروف، والذي يقوم على استعمال الوسائل القديمة في إعداد الأرض والعمليات الزراعية الأخرى كالحراث البلدي والفأس والمنجل والمذراة[64]، فكان حديث الحاج أبو جهاد عن آلية العمل في الزراعة والصعوبة التي كانت تواجه الفلاحين فقال:

"كنا فلاحين، مع إنها تعبة وصعبة لانه فش آلالات كله في الطرق البدائية نحرث عالبقر، ونحصد بالمنجل، والدراس لحاله بكينا نقعد خمس ست اشهر واكثر واحنا ندرس في الناتج تنا نخلص، الكل بقى يساعد في الفلاحة، الأم والأب والأولاد وأولاد الأولاد، فش حد يقعد شوفي اليوم كل شي عالمواكن والالات، بس بقينا نتلذذ واحنا بالارض ونشتغل، الواحد يحس بقيمة حاله، ويوكل بصح من عرق جبينه، هي احنا اليوم شو قيمتنا بلا أرض؟! ولا اشي". [65]

واجه الفلاحون العديد من التهديدات والعراقيل التي كانت تمارسها بريطانيا بحقهم وفوق أرضهم الذين كانوا يحرصون على التمسك بها مهما كلّفهم الأمر، فقد اتبعت بريطانيا سياسة تهدف لإكساد محاصيل الفلاحين الفلسطينيين، وضربها في السوق، من خلال العديد من الإجراءات التي ألحقت الأذى بالفلسطينين وشكّلت لديهم تهديدا كبيرا مما

[62] الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثاني، ص 506.
[63] أبو محمد، 85 عام،(قرية السافرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[64] الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثاني، ص 505.
[65] أبو جهاد، 73 عام،(قرية عنابة)، تاريخ المقابلة: 2014/5/9.

ولّد عندهم حالة من عدم الاستقرار التي ضربت بإنتاج الأرض، وتأثر المحاصيل،[66] ويرجع ذلك إلى غياب تنمية وطنية فلسطينية، وخضوعها لسلطات الانتداب البريطاني التي مارست سياسة تمييزية لمصلحة الاقتصاد الزراعي اليهودي ضد مصلحة الاقتصاد الزراعي العربي، ومن أهم السياسات المتبعة، والتي تركت آثارها في مسار تطور الاقتصادين العربي واليهودي، كأن يتم منح امتياز استغلال موارد فلسطين الطبيعية لشركات تملك الرأسمال الصهيوني، كما اتبعت سلطات الانتداب سياسة اقتصادية ومالية تمييزية تخدمها من جهة، وتخدم الوجود اليهودي من ناحية ثانية، كما عملت على إلغاء كافة القوانين والأنظمة الزراعية التي تدعم المزارع العربي، ومن ضمن القوانين المادة (103) من قانون الأراضي العثمانية التي تخوّل كل إنسان زراعة أية أرض موات، وتلزم مأمور الأراضي بتسجيلها له مجاناً إذا ما قام بزرعها بإذن منه، أو مقابل مبلغ من المال إذا زرعها بدون إذن، كما عملت على تضييق الخناق على المزارعين بمطالبتها بإرجاع القروض المقدمة له سابقا، والتي حصل عليها من البنك الزراعي العثماني قبل الحرب، كما أصدرت تعميما ألغت بموجبه كفالة الملكية، الأمر الذي دفع المصارف التجارية إلى الامتناع عن رهن عدد كبير من الأراضي الزراعية التي لم تحسم ملكيتها رسميا، وبذا تكون قد تركت الفلاح الفلسطيني فريسة المرابين والديون التي كانت تضغط عليه لبيع ما يملك من أراضي.[67]

هذا ما أكدّه أغلب الرواة ممن تم مقابلتهم من الجيل الأول إذ أرجعوا إقبال الفلسطينين على الزراعة كان يهدف للمحافظة على الأرض خصوصا في ظل الهجمة الشرسة التي كانت تشنّها بريطانيا لإكساد محاصيل المزارعين الفلسطينين وضربها في السوق، كما أوضحوا أن الزراعة والفلاحة لم تقتصر على الرجال دون الإناث، ولكنها اشتملت على جميع أفراد العائلة، الأمر الذي يعكس مقدار التعاون والجهد المبذول لإتمام هذه المهمة الشاقة والصعبة، حسبما تم وصفها في تلك الفترة في ظل غياب التكنولوجيا والآلات الحديثة، واقتصارها على الجهد الجسدي للفلاح.

تحدّث الحاج أبو إبراهيم عن سياسة بريطانيا التي كانت تتبعها ضد الفلاحين الفلسطينيين فقال:

> "ما فش بقى تقول الارض تتعب فيها بس فش انتاج مش ممسوحة بقت الأرض لسة هاظ قبل ال 35 الحكي، يعني اللي عندو 200 دونم أرض يا دوب يطعم عيلته، الفلاح بقى يتداين من المرابين عشان يقدر يأمن زراعة الأرض، لما يجي موسم الفلاحة والحصيدة يعطي الفلاح المحصول من الانتاج للمرابي، ظل هالوظع هالحال لحد ال 43-44 والله العليم، لما صارت الحرب العالمية الثانية الفلاح خفّ عليه الضغط، مهي بريطانيا التهت بالحرب، بقت بريطانيا مستلمة شغل ضرب السوق للفلاحين، وقت ما يجي موسم الفلاحة تملي الاسواق بمالطحين ورخيص بتحكي عن 50 كيلو الزيرو يعني نخب اول ب

---

[66] الموسوعة الفلسطينية، ص504

[67] من مقالة خليل أبو رجيلي، الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل، ص 138. تاريخ www.wafainfo.ps الزيارة : 2015/11/7.

35 قرش، فإنت إبشو بدك تبيعه؟؟ ولشو اصلا تزرع، قنطار القمح ب 3ليرات، وقنطار الذرة 100 رطل اقل من 100 قرش، يعني قولي ب 70 قرش، مضيفا أن إقبال الفلاحين على الزراعة في هذه الظروف كانت فقط خوفا على الأرض: الناس صارت يا عمي تزرع خوف للارض تخرب هاللي بدوش ويلا بقدرش يزرع ويفلح يعطيها لجاره لابن عيلته يفلحها، وبريطانيا بالأول والاخير كانت بتسعى لانها تخلي الفلاح والمزارع عالحديدة معوش اشي، عشان يقدر يتخلّى عن الارض لما الارض بتجيبش همها لشو بدهم يزرعوها ويفلحوها، فبصير سهل عليهم يشتروا ويبيعوا هاظ كلو مخططات استعمارية عشان يسهلوا بيع الاراضي لليهود، والبركة في السماسرة والجواسيس اللي بقوا يبيعوا الاراضي بأبخس الاثمان عشان نفوسهم مريضة وضعيفة ويركضوا ورا شوية مصاري مش عارفين لوين بدهم يوصلو البريطان واليهود، وهينا لا ورانا ولا قدامنا".[68]

يتضح من خلال حديث المبحوثين أن هناك شريحة أخرى طفت على سطح الحياة المهنية في فلسطين ما قبل حرب النكبة، فاتجهت هذه الشريحة إلى العمل بالمحاجر والتي كانت قريبة من مدنهم وقراهم.

فيقول لنا الحاج أبو ابراهيم:

"انا مدرستش تركتها واشتغلت في معامل الشيد، كانت عنابة مشهورة بمعامل الشيد وهاللي بقدر من الزلام وحابب يشتغل يروح يشغّلوه، ، صرت اعرف أبني، بقيت اجيب اجرة الفلاح بعشر خمستعشر مرة ويلا العامل العادي يعطوه 50 قرش اجرة مياومة، انا كنت اساوي 150 قرش يعني قد ثلاث عمال، انا بقيت صنايعي مش عامل اجيب مصاري منيح، ابوي بقى يحط واحد يزرع ويفلح بس انا بقيت في المحاجر".[69]

في الوقت الذي نفى أغلبية المبحوثين من الجيل الأول وجود موظفين باستثناء الاساتذة والناطور، فالأساتذة كان أغلبهم من خارج إطار القرى، أما الناطور فهو من القرية ذاتها وحدّثنا أبو حافظ عن وظيفة الناطور:

"الناطور كان من البلد، يعني هاظ ناطور لأهل البلد بجيب احتياجاتها طبعا مسؤول عنه المختار، بجيب الدويات للمدرسة، بعبي بطارية الراديو اللي للمختار من الرملة ما ان اجى ضيف ويلا حدا يوخذه ويعرفه عالبلد، يوديه عالمضافة، يعملوه فطور، عشا حسب وقت زيارة هالضيف، اجرته كانت قمح أو ذرة اخر السنة مفيش مصاري هلقيت تيجي مثلا للمؤذن وخطيب المسجد بقى برضو يوخذ قمح او ذرة اخر السنة الحلاق تروح تحلق عنده يوخذ قمح منك ميوخذش مصاري، يعني بوفّر لقمته بشغله، وأغلب الصنايعية اللي كانوا يشتغلوا ويقدموا خدمات للناس بقوا يوخذوا أجرهم قمح، أو ذرة".[70]

---

[68] أبو ابراهيم، 83 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.
[69] أبو جهاد، 85 عام،(قرية عنابة)، تاريخ المقابلة: 2014/5/9.
[70] أبو حافظ، 85 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.

بعد أن استعرضنا طبيعة الحياة الاجتماعية، والعملية للفلسطينيين قبل حرب النكبة، سنتطرق لطبيعة الحياة السياسية، لما لها من دور في إيضاح طبيعة العلاقة بين الفلاحين والانتداب البريطاني الذي مارس سلطاته على فلسطين، وأثر ذلك في صقل الهوية الوطنية الفلسطينية.

الحياة السياسية: تميّزت الحياة السياسية في فلسطين قبل حرب النكبة بالعداء الشديد لبريطانيا إذ كان القرويون ممثلين بالمخاتير ولجان الإصلاح، والخلايا والأحزاب والحركات الثورية على دراية بنيّة بريطانيا غير معلنة، وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يصمدوا في وجه المخططات التي كان تحيكها ضد القرويين لتفريغهم من قراهم، خاصة في التركيز على تدمير البنية الأساسية لهم في العيش وهي الزراعة، والعمل على إكسادها كما أوضحنا سالفا، تشكّلت لجان الإصلاح في القرى الفلسطينية لحل المشاكل البسيطة التي كانت تنشأ بين الناس، والذي يظهر نوعا من الهوية القبائلية، والعائلية التي تتحولق حول العائلة والقبيلة، في الوقت الذي تُحال فيه المشاكل الأكبر إلى مركز الشرطة والذي بدوره يحولهم إلى المحكمة للبت في القضية.

يحدّثنا الحاج أبو حافظ عن علاقة القرويين بالإنجليز قائلا:

> ليش نحبهم الانجليز، مكناش نحبهم طبعا، وعد بلفور مين اللي عمله مش بريطانيا؟ احنا العرب بقينا بدنا المانيا مهو المثل بقولك عدو عدوي صديقي، بقت بيت نبالا الخط الاول قدام الانجليز واليهود، بقى في كبابين نقولهن، بقوا يروحوا الانجليز واليهود يودوا امدادات لهذه الكبابين، الحركة الوطنية اعترضت طريقها ومخلتهاش تمرق، ودمروا دبابات وقافلة لليهود فجروها تفجير، انجنوا الانجليز طوقوا البلد وطلعوا جميع اهل البلد بدهم يعرفوا مين اللي بالحركة الوطنية مين مشترك فيها، بس الناس بقتش تحكي من الاصل، وهذه الحركة مسؤولة عن جميع الثوريين اللي من القرى، كانوا اهالي القرى يشكلوا حراسات ونجدات، بقوا يقلولهم فزعات، يحرسوا البلد، وإذا بلد احتاجت مساعدة يروحولها، كان عنا نجدات للعباسية، سلمة، كفر عانة، والناس بقت تبعت تموين واكل للحركة الوطنية عشان يظلوا صامدين. بقى الواحد يبيع صيغة مرته عشان يشتري قطعة سلاح يحامي فيها عن البلد.[71]

يتّضح من حديث الحاج أبو حافظ أن القرويين أنفسهم قاموا بتشكيل حركات وطنية تعمل على الحفاظ على القرى من الهجمات التي كان يشنّها الاحتلال الصهيوني، وهنا يظهر الوعي بالمخططات التي كانت الحركة الصهيونية تحيكها ضد القرى الفلسطينية، كما وتشكّلت علاقة وطيدة وتلاحم قوي بين أهالي القرى الفلسطينية، وهذا يدلّ على الخطر الذي هدّد الهوية الوطنية الفلسطينية، والذي سعى الفلسطينيون جاهدين لحمايتها والحفاظ عليها.

[71] أبو حافظ، 85 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.

عبّرت الحاجة سميحة عن استيائها من حديث الناس عن عدم قتال أهل اللد فتقول:

بقولولي الناس اللدادوة محاربوش، زهقت وانا ساكتة قلتلهم وقفوا اساسا زي اللد فش حد عمل زينا قلتلهم ابوي بيجي الصبح منصحاش عليه الصبح الا البارودة جنبه، قام اخوي صار يلعب بالبارودة، ابوي صحي عليه قالوه ولك الحبة ببيت النار، هم ماكنوش يحاربو ويلا مالهم كانوا يحاربوا، قولولي اني بلد حاربت قد اللد، اللد مارق ترين بين البرية وبين البلدية عنا طريق سكة حديد مرق ترين الثوار اللي كانوا يحاربوا ضربوا راس الترين قلب الترين باللي فيه 40 فرجون، هدول اللي بكونوا ورا الترين قتلتلهم حاربوا ويلا لأ يخوي؟ عنا بقى واحد عاجز يمكن متصدقهوش كان يعرف من وين الحرب تطلع، باقي فارر وهو مش عاجز، بقى هو يعرف اللي بحاربه من وين يضربوا، بعدين الثوار في اللد يطلعوا يحاربوا في يافا، يقتلوا اليهودي ويشهد عليي ربي يا بنيتي، يجيبوا هاليهود اثنين وحياة عمرك شو يعملوا فيهم يجيبوهم بالسيارات ويجروهم بكل اللد، واحنا نتفرج كنا صغار.[72]

وقد أكّد عارف العارف في كتابه نكبة فلسطين والفردوس المفقود وجود مقاتلين في داخل المدينة فيقول: "كان فيها عند بدء النضال زهاء خمسة وسبعون مقاتلا تابعون لفرق الجهاد المقدس يقودهم الشيخ حسن سلامة وهو المسؤول عن إدارة دفة القتال في ذلك القطاع، و 250 من رجال الحرس البلدي، و 350 بدو متطوعون، وكان هنالك زهاء 650 من أبناء المدينة ينزلون إلى الميدان كلما دعت الحاجة إلى النجدة، وفي غير نظام، هذا كان قبل زوال الانتداب"[73] كما وتحدّث عن الأسلحة التي كانت بحوزة المقاتلين فقال: "وكان هؤلاء مزودين بالأسلحة التالية: 11 مصفحة 3 مدافع مورتر ومدفعان كبيران و4 مدافع مقاومة للدبابات ومدفعان صاروخيان و25 برم 7 ستن و150 بندقية اعتيادية شروا معظمها بأموالهم وبأثمن باهظة و9 مسدسات و4 هوشكس وكان لديهم 180 صندوق ذخيرة انكليزية وقليل من القنابل والألغام. وكثيرا ما اشتبك المجاهدون في قتال مع اليهود وكان النصر حليفهم."[74]

كما أظهرت رواية أم عمر تواجد اليهود في الوقت الذي تواجد فيه الإنجليز، مبيّنة طبيعة العلاقة العدائية التي سادت بينهم وبين الفلسطينيين، وكيف كان أهالي القرى الفلسطينية يتصدّون لهم من خلال الثوار، وهذا يدل على وجود وعي للحفاظ على الهوية الفلسطينية، فقالت أم عمر:

"الانجليز واليهود فش الهم امان، بقالنا جارة اسمها ام يعقوب، لما يصير مناوشات يجيبو سلك شوك ويسيجوا على القبانيات، اقولها يا ام يعقوب ليش بتسووا هيك، تقول بيجي يوم يا اسماء بتعرفي، اقول ليس بتسكروا علينا هيك؟ تقول بيجي يوم وبتعرفي، بقوا يتعدوا عالمسلمين، يعجبوا علينا والله يخشوا عالعيلة يطخوهم كلهم ويطلعوا، بقى فيه ثوار في البلد يخلوا العربايات تاعت اليهود والانجليز مارقة يضربوها، بقوا يلبدوا في الشجر بقيت انا واختي نودي اكل لابوي في البيارة، وقت يلاقينا الانجليز

[72] الحاجة سميحة، 72 عام،(مدينة اللد)، تاريخ المقابلة: 2014/5/18.
[73] عارف العارف. **نكبة فلسطين والفردوس المفقود**، الجزء الثالث، دار الهدى، ص602.
[74] المصدر السابق. ص602.

يقول وين رايح رايح تودي اكل للثوار، اقوله ثوار بعينك، الله يهدّهم الجهتين كان الانجليز ويلا اليهود هم السبب في خراب بيوتنا".

وراحت تغني ما كانت نساء فلسطين يرددنه في حرب ال 48:

زمور الخطر في القدس صاحي
يا عبد القادر في القسطل راح[75]
يا عبد القادر لنها دامتلك
جيوش الهاغاناه كان ختمتلك

وغنت للثوار:

يا بطل.. يا فدائي يا بطل
يا مئايس* عن حياتك للوطن
يا نمرود يا فدائي يا نمرود
يا مئايس* عن حياتك عالحدود
ع المينا يا فدائي ع المينا
الله يجازي اللي باعوا أراضينا[76]

نلاحظ من حديث أم عمر أن هناك تحصينات أمنية كانت سلطات الانتداب واليهود تنتهجها لتوخّي الخطر من الفلسطينيين، والعمل على عزلهم في أماكنهم، في الوقت الذي كانت تُمعن فيه بالتعدّي عليهم وسلبهم حريتهم، كما أشارت إلى الحركة الوطنية التي كانت بقيادة الثوار، وهذا يدلّ على المقاومة التي أبداها أهالي القرى والمدن الفلسطينية للحفاظ على أرضهم، كما تحدّثت عن شخصية ثورية كانت لها دور بارز في معركة القسطل، واللافت للنظر أن حديث المبحوثين من الجيل الأول وخاصة النساء، حول القضايا السياسية كانت من خلال الأغاني والهتافات التي تتداولت بينهن.

لم يقف الفلسطينيون أمام التهديدات التي لحقت بهم في ظل الهجمات التي كانت تمارسها العصابات الصهيونية مكتوفي الأيدي، فكانت المقاومة الشعبية والمتمثلة بالثوار تقف في خط الدفاع عن المدن والقرى الفلسطينية، والتي كانت تنتهج العديد من الأساليب في ظل نُدرة الأسلحة وشحّها بين أيدي الثوار، والتي كانت تتوفّر بصعوبة وخطورة، فكانت رواية الحاج أبو خليل كالتالي:

إحنا طلعنا من الخيرية في شهر نيسان سنة ال 48،[77] بقت الحرب قايمة قيامتها، واليهود معجبين في كل القرى والمدن اللي حوالينا، يعني احنا جنبنا العباسية وسلمة، وصارت احداث كثير بقينا

[75] تقصد الحاجة أن عمر هنا عبد القادر الحسيني وهو واحد من أبرز القادة العسكريين الوطنيين الفلسطينيين، والذي استشهد في معركة القسطل.

- تقصد الحاجة أم عمر بكلمة مئايس: لا يبالي بحياته من أجل وطنه فيذهب للحدود.

[76] أم عمر، 80 عام،(قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2013/7/4

[77] سقطت الخيرية في أيدي الصهيونيين بتاريخ 1948/4/28 وأقاموا على أرضها بعد سنتين مستعمرة "كفار همسابيم" التي سكنها صهيونيون مهاجرون من العراق. بحسب الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثاني، ص 387.

نسمع هي ضربوا العباسية، هي استحلوا سلمة، الثوار صارت تحفر خنادق بالارض حوالين البلد، ويعملوا كمائن لليهود، يعملوا حراسات ليلية حوالين البلد خوف لليهود يهجموا، بس بتقدريش تقاربي الذخيرة اللي مع الثوار باللي مع اليهود، الواحد بقى يبيع ذهبات مرته عشان يشتريلو خرطوشة، والسلاح بقى ممنوع من على زمن الانجليز، اللي بقوا يلاقوا عندو فشكة ولو فاضية يطخوه، قوة اليهود بقت اكبر، وغير الجواسيس اللي كانوا يتعاملوا مع اليهود يوزّوا (يخبروا) عن الثوار لليهود، واللي يزقطوه عالمطرح يرشوه، بعدين لما سقطت كل القرى اللي حوالينا طلعوا الثوار، مهم اصلا بقوا مطلعين عيالهم ونسوانهم تحت الزتون بعيد عن البلد، فطلعوا فش قدامهم خيار ثاني، اليهود استحكموا في البلد، والناس طلعت.[78]

أم عليان تناولت آلية احتلال قرية رنتية، وردة فعل أهلها، ومن أهم الآليات التي اتبعها الصهاينة في تهجير الفلسطينيين آلية الحصار من ثلاث جهات وترك الجهة الرابعة مفتوحة، مع إحداث حالات من الهلع والتخويف بينهم، الأمر الذي يجعلهم ينتقلون لمكان آخر للنجاة من التهديد الواقع عليهم، مؤكدة على وجود ثوار كباقي المبحوثين من القرى الأخرى الذين اتفقوا على ذلك، وهذا يدل على وجود تهديد حقيقي يجعل من الدفاع أمر طبيعي لرفع الخطر الواقع عليهم، بعد أن كانوا ينعمون بالأمن والاستقرار في أرضهم، فكانت روايتها كالتالي:

ملاعين اليهود يحشرونا في هالبلد من ثلاث شقات، ويدشرولنا شقة فاضية، ويبلشوا في هالناس خبط وضرب، الواحد شو بدو يعمل بدو يبعد عن القتل، صرنا نطلع ونروح تحت الشجر والزتون، بقى فيه ثوار ويلا، بس يا حسرتي عليهم هو بقى معهم سلاح، نتفة فشك، والواحد يبيع حيلته وسيلته تيقدر يشتري سلاح، يبيع صيغة مرته الواحد، واللي يبقى معه مصاري يشتري، واللي معوش يستقرض، واللي يزقطوه الانجليز ومعه سلاح يعدموه قدام جميع الخلايق، بقوا الثوار يتصدوا لليهود بس اليهود مدعومين من الانجليز بقوا يحاموا عليهم، وبقى معهم سلاح مش زينا.[79]

يظهر من خلال المقابلات التي أوردناها سالفا مدى ارتباط الفلسطيني بأرضه، ويتّضح ذلك جليا في المقاومة التي كان يبديها الثوار ضد الحركة الاستعمارية الاستيطانية، والتي تمثّلت بالانجليز واليهود، فلم تكن عملية الهجرة مجرّدة من المقاومة، وهذا يدلّ على أن حرب النكبة لا تقتصر على الهجرة القسرية التي فُرضت على الفلسطينين ، وإنما على وجود هوية اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، عاشها الفلسطيني بكل وجوده، وحاول الحفاظ عليها بشتى الوسائل، فحرب النكبة هي التي شكّلت لدى اللاجئ الرومانسية والحنين للأرض والوطن، وهي ذاتها التي جعلته يقف في وجه الاستعمار والحركة الصهيونية الاستيطانية، وبالرغم من محدودية الإمكانيات التي كان يتمتع بها الثوار الفلسطينين فإنهم لم يستسلموا إلى أن نفذت ذخيرتهم، ولم يجدوا سبيلا إلا النجاة بأرواحهم.

3.2 حكاية حرب النكبة "الرواية"حسب الجيل الأول:

[78] أبو خليل، 75 عام،(قرية الخيرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.
[79] أم عليان، 72 عام،(قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

تمثّلت رواية المبحوثين عند سؤالهم عن تجربة الهجرة والاقتلاع، بالحديث عن عوامل الخروج من القرية، لنسألهم عن الجهات المتآمرة والداعمة التي حثتهم على الهجرة والخروج؟ ثم حديثهم عن رحلة اللجوء التي عاشوها حتى لحظة وصولهم لمخيم الجلزون، لذا سيتم تسليط الضوء على هذه النقاط الثلاثة.

1.3.2 عوامل الخروج:

أم عمر تحدثت عن سياسة العصابات الصهيونية أثناء حرب النكبة وتفريغ القرى، فتقول:

> قبل ما نطلع اجو يهود الهاغاناة بقينا ساكنين في دارنا طابقين يجو في الليل يكسروا البواب ويدبحوا العيلة بحالها، بقى ابوي شو يعمل يجي بالليل بعد المغرب ويقول يلا يا سارة ويطلعنا برة مثل هان والسوق يحطوا صحاحير وننام بالبيارة تحت الشجر، يجوا بالليل هذول الهاغاناة يكسروا الباب ويحطوا الزيت السكر والرز والعدس القمح ويكوموا ويكبوا فوقه الكاز والزيت، ويطلعوا من القهر، احنا نروح الصبح وقت هم يروحوا نلاقي الدار خربانة كل شي مكبكب، ابوي بقى عامل حبل بقى الدار طابقين وقت يخشوا اليهود علينا اذا لاقوا رجال يطخوهم كلهم ميخلوش حدا، بقى ابوي وقت يجوا اليهود ينط في بين الشجر، كل حياتنا رماح برماح. في وحدة بقت بدها تجوز ابنها، اسمها ام محمد الجرجاوية خطبت لابنها وبدها تجوزه، خشوا عليهم اليهود بالليل حطوا فيهم قتلة وضربوهم حطوهم بالسيارة واخذوهم، اهله حطوا خبر لحكومة الانجليز، الانجليز قالوا لا اليهود بعملوهاش، اجوا الانجليز صاروا يدوروا قعدوا 3-4 ايام تلاقوهم في بلد اسمها ابو سويرح عالبحر قالولهم ابحشوا قبوركم بايديكم، وخلوهم بحشوهن وطخوا كل واحد عجورته، والله عريس مخيط كل اواعي بدها تجوزه امه، كل عمر اليهود وهم يجروا ورانا، هسة بقت اليهود اليوم تدخلت اميركا، احنا عارفين انهم ورا كل شي.[80]

يتّضح من حديث أم عمر أن هناك خطّة ممنهجة اتبعتها العصابات الصهيونية لترهب الفلسطينين الذين أدركوها مرة بعد مرة، وأصبحوا يقومون باحتياطاتهم للنجاة بحياتهم، وهذا يدلّ على أن الفلسطينين لم يتركوا أرضهم من اللحظة الأولى التي هاجمتهم فيها العصابات الصهيونية، بل حاولوا الصمود، إلا أن تصاعد إرهابها وتهديدها للفلسطينيين أجبرهم على الهجرة، كما نلاحظ وجود حماية من الانتداب البريطاني آنذاك والذي شكّل درعا واقيا للصهاينة، بل ودعم إرهابهم وسانده.

في حين شكّلت الهجمات الصهيونية عاملا مركزيا في هجرة الفلسطينيين من جهة، في الوقت الذي لعبت الإشاعات دورا كبيرا في ترويع الناس وتخويفهم من جهة آخرى، فقد نجحت العصابات الصهيونية في بث الخوف في نفوس

[80] أم عمر، 80 عام،(قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.

القرويين على أعراضهم وشرفهم، ليخرجوا من قراهم آملين بالعودة إليها بعد هدوء الأوضاع للحفاظ على نسائهم وبناتهم من الاغتصاب والتنكيل، حدثتنا أم عليان:

> طلعنا اليهود صاروا يقولوا هييم مسوين في دير ياسين، وهيو دير ياسين، ودير ياسين شردوا هالناس، والله التشربال اللي بكربلوا فيه الشعير، بكن (كانوا) صارن حاصدات الشعير يا ستي، الغربال والتشربال والهاذه اللي بذروا فيها انها ظلين في الطرحة، شردوا الناس مظلش حدا في رنتية. طلعنا ع دار خال امي مهي من المزيرعة، اطلعنا عليهم وقعدنا الا هم صبحوا يقولوا هي اليهود استحلوا رنتية.[81]

تضافرت عدة عوامل أسهمت في تهجير الفلسطينيين من مدنهم وقراهم، فكانت الاعتداءات المباشرة التي يتعرّض لها الفلسطينيين من العصابات الصهيونية، وقتلهم والتنكيل بهم، دافعاً لخروجهم، تحت وطأة التهديدات المستمرة التي كانت توجّه إليهم، كما كان للإشاعات دور كبير في بث الخوف في نفوس الفلسطينين، فخرجوا للحفاظ على أعراضهم وشرفهم.

2.3.2 الجهات المتآمرة والداعمة:

كان حديث المبحوثين من الجيل الأول تفصيلي بشكل دقيق نابع عن تجربتهم الشخصية، كما أنهم أشاروا إلى استشعار مخططات بريطانيا غير المعلنة ووقوفهم في وجه تلك المخططات بالرغم من بساطة إمكانياتهم التسلحيّة فيحدثنا الحاج أبو حافظ:

> طبعا اللي خلانا نطلع الحرب العالمية اللي صارت بين بريطانيا واللي كانوا معها ضد الدولة العثمانية، ولما خسرت الدولة العثمانية واحتلت بريطانيا فلسطين وبعض الدول العربية صارت تخطط لانها تتخلص من اليهود اللي في أوروبا، فقالت احسن اشي نجيبهم عفلسطين ويلا هم اليهود اجو لحالهم، ويلا اليهود لحالهم بقدروا يحتلوا فلسطين، طبعا بريطانيا ساعدت اليهود بكل شي، فتحتلهم باب الهجرة، واعطتهم سلاح ودبابات ودربتهم احسن تدريب، ولما شافوا انه عودها قوي صاروا الانجليز كل يوم يعملوا مشكلة، يطوقوا البلد كلها، يشنقوا اي واحد ويهدوا بيته اذا لاقوا معه فشكة حتى لو فاضية، الانجليز عملوا كبانيات او كبابين بقينا نقلهن لليهود، وبلشت المناوشات، واليهود صاروا يهاجموا القرى والمدن بالدبابات والرشاشات والطيارات صارت تقصف على بيت نبالا، دير طريف، قولية، الحديثة، المزيرعة، كل القرى اللي حوالينا، وبريطانيا كانت تساندهم، وتمنهم طلعونا وفرغوا كل القرى والمدن الفلسطينية وحطوا اليهود محلنا، وبقولك فلسطين بقى فش فيها حدا، احنا بقينا فيها وبنظل لليوم ولبكرة نقول لولادنا وولاد ولادنا انه احنا اصلنا من بيت نبالا.[82]

---

[81] أم عليان، 72 عام،(قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[82] أبو حافظ، 85 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.

يتّضح من حديث الحاج أبو حافظ وعيه بتاريخ فلسطين، وكيف وقعت تحت الانتداب البريطاني، ومن ثم تحت الاحتلال الصهيوني، فقد احتلت جيوش الحلفاء فلسطين بزعم تحريرها وضمان استقلالها، ولم تكن الصفة الاستعمارية لهذا الاحتلال واضحة، إذ لم يلتزم الحلفاء بالعمل على استقلال فلسطين وإنشاء حكومة وطنية يختارها شعب فلسطين العربي، ويرجع عدم التزامهم لتطلعهم للحلول محل الاحتلال العثماني، واقتسام مناطق نفوذه فيما بينهم، وتهيئة فلسطين العربية لتكون دولة الحركة الصهيونية الموعودة، وقرروا وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني لتحقيق أهدافهم في خدمة الصهيونية مستندين إلى نص في ميثاق عصبة الأمم يقدم الاستعمار التقليدي في " زي جديد " فقد عملوا على إضفاء الشرعية على وعد بلفور الذي كان يفتقر إليها ووضعه موضع التنفيذ.[83]

فقد فتحت بريطانيا أمام حركة الهجرة الصهيونية إلى فلسطين آفاقا جديدة، وذلك بعد أن أدمج وعد بلفور بصك الانتداب البريطاني على فلسطين، والذي نصت المادة السادسة منه على أن الإدارة البريطانية سوف تلتزم بتسهيل الهجرة اليهودية بشروط مناسبة، وسوف تشجع –بالتعاون مع الوكالة اليهودية– استيطان اليهود في الأراضي بما في ذلك الأراضي الحكومية والأراضي الخالية وغير اللازمة للاستعمال العام، وقد توالت الهجرات إلى فلسطين بشكل كبير وذلك بتسهيلات كانت تصدرها السلطات البريطانية على شكل قوانين وأنظمة.[84]

هنا نرى أن بريطانيا كانت هي المسؤولة عما جرى من وجهة نظر الحاج أبو حافظ، والتي مهّدت وسهّلت للصهاينة هجرتهم إلى فلسطين، وعملت على حمايتهم إلى أن أصبحوا قادرين على شن هجمات وحدهم، خاصة بعد أن تم تزويدهم بالأسلحة والمعدات العسكرية الثقيلة.

أما أم عمر فقد عبّرت عن مسؤولية ما جرى بمقطع من أغنية كانت النسوة يتناقلنها وفيها تحميل القيادة الأردنية مسؤولية ما حلّ بفلسطين:

"لما اطلعنا من الرملة
وكل واحد حامل حملة
يا عبد الله شو هالعملة
لمن بعت فلسطين
اللاجئين اللاجئين

[83] **الموسوعة الفلسطينية**، الملجد 1، ص 309-311
[84] **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد 4، ص 518.

يا حرّي ع اللاجئين
ولما اطلعنا من بيرزيت
قلنا يا خراب البيت
يا عبد الله شو سويت
لمن بعت فلسطين"

وتقول أيضا:

"رحل كلوب الخاين يا دخيل الله
ما خلا ولا غارة يا دخيل الله
حتى شباب فلسطين يا دخيل الله
مع طلاب الوزارة يا دخيل الله".[85]

في الوقت الذي حمّل فيه الحاج أبو حافظ المسؤولية للسياسة البريطانية، كانت أم عمر تنظر لما جرى على أنه تقصير من الحكومة الأردنية وقيادة جيشها المتمثّلة بالقائد كلوب، وهو ضابط بريطاني عُرف بقيادته الجيش العربي الأردني بين العامين 1939-1956، إذ رأت المبحوثة في مقطع الأغنية التي سردتها في حديثها على أن ما جرى لفلسطين هو بيع نتيجة تقاعس الحكومة الأردنية في الدفاع عن فلسطين.

3.3.2 مسار الرحلة إلى المخيم:

يظهر أن الجيل الأول وبحكم تجربته كان متمكنا من سرد طريق الرحلة بتفاصيلها فروت الحاجة أم عليان تفاصيل رحلتها قائلة:

بعد ما استحلوا الملاعين رنتية[86] قبينا (خرجنا) ع دير بلوط[87] وبعدها على كفر الديك[88]، وبعدين مشينا في هالواد توصلنا دير السودان[89] واحنا زغنونين ورا امي مفرّع زي بنت ابني هاذ، مش حاطط ع راسي ولا بعرف اللي بحطوا ع الروس مناديل حتى وطلعنا، اليهود صاروا يطخّوا من المزيرعة، شب طول القنطرة، حامل كيس شعير مهم السعة (أي لم يقوموا بالحصاد) الناس قمح محصدوش، والله بعيد عنك واجت فيه رصاصة الا هو قالب، سووا شوية حجار ودفنوه، يا ويلي دشروه، اليهود اللي طخوه، معيي(دليل على الكثرة) طخوا ناس مش واحد، أبوي بقى متجوز على امي أبوي طلع عأخوانه في دير السودان قبلنا، جاب سيارة قبل اسبوع ما طلعنا حمل الطوايل وحمل الكراسي، قبل ما احنا نطلع باسبوع، انا امي ظلّت عند دار خالها في المزيرعة، فش سيارات وبقينا حافيين بي يا ستي والله ما عنا اشي بقينا حافيين، وبقينا نظل في القلة من وين بدنا نوكل، اتعرفوا علينا اهل كفر الديك وعملولنا غدا

[85] أم عمر، 80 عام،(قرية وداي حنين)، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.
[86] قرية عربية تقع على بعد 18 كم شرقي يافا وتبعد نحو كيلو متر واحد إلى الغرب من خط سكة حديد اللد- حيفا ونحو كيلو إلى الشرق من طريق اللد- حيفا الرئيس المعبدة وتصلها دروب ممهدة بقرى العباسية والمزيرعة وقولة والطيرة. من الموسوعة الفلسطينية، المجلد 2، ص 479.
[87] قرية من قرى الضفة الغربية على بعد 20 كم وإلى الغرب من مدينة سلفيت ويربطها بها شارع معبد.
[88] قرية من قرى الضفة الغربية وتتبع محافظة سلفيت.
[89] قرية فلسطينية تقع في الضفة الغربية وتبعد عن مدينة رام الله 18 كم.

واستقبلونا فيه معرفة يجيبوا زيت، يجيبوا التين، العنب يبيعوا هناك في رنتية وبعدين وقت قالوا فيه مخيم حملنا حالنا وجينا زينا زي هالناس.[90]

نلاحظ أن اللاجئين الفلسطينيين من عينة المبحوثين قد تنقّلوا في محطات مختلفة حتى وصلوا إلى مخيم الجلزون، كما أنهم خرجوا على دفعات، فالنساء والأطفال سبقت الرجال الذين ظلّوا في القرية كحالة قرية رنتية لحين إلى أن لحقوا بعائلاتهم، كما أنهم أخرجوا بعض الحاجيات الأساسية إلى قرى قريبة منهم، ويوجد لديهم فيها أقارب، ولم تخلو رحلتهم من الاضطهاد والتهديد الذي رافقهم حتى وهم فارّين من الموت، فقد كانت العصابات الصهيونية تطاردهم، كما تميز أهالي القرى التي مرّ بها اللاجئين باستقبالهم ومد يد العون لهم، ويرجع ذلك إلى طبيعة العلاقات التجارية التي كانت سائدة فيما بينهم، فكانوا يعرضون غلال محاصيلهم للبيع في القرى الفلسطينية، وظلّ اللاجئين الفلسطينيين مشتتين إلى أن أعلن عن وجود مخيم الجلزون، فتوافدوا إليه.

قال أبو فادي:

أمي ما حملت أي شيء معها نهائيا ما جابوا معهم ولا اشي، قالوا يومين أسبوع وبنرجع، احنا أول ما اطلعنا جينا على دير طريف، بعد ما صارت النكبة هذه كلنا طلعنا طلعة واحدة، رحنا ع شقبة، وبعدين رحنا على بيرزيت، سكنا في تحت الشجر اجت الشتوية سيدي راح دور على دار في عيلة ابو جمل بقلولهم وقعدنا هناك مبخلاش الامر بتعرفي لاجئين وجينا عبلادهم بقوا يقولوا ويتمسخروا على اللاجئين وجهك وجه لاجئ، بعدين صارت سيارات تيجي وتلف وتحكي يا ناس فيه مخيم اسمه الجلزون والوكالة هناك بتأمن اللاجئ واللي بضل وما بروح ما الو اشي، اجينا على المخيم خيام، بقى فيه زيتون وشجر بس مقلعينه عشان ينصبوا الخيم.[91]

يظهر من حديث أبو فادي أن اللاجئين قد انقسموا إلى شريحتين، الشريحة الأولى كأم عليان التي حملت عائلتها شيئاً من أغراضهم وحاجياتهم، والشريحة الثانية كأبو فادي التي لم تحمل عائلته أي شيء، وهنا يظلّ السؤال عالقاً، بناءاً على ماذا لم يحمل اللاجئون أمتعتهم وأغراضهم؟، ومن قال لهم أن هجرتهم ستكون قصيرة؟كما قال أبو فادي "قالوا يومين أسبوع وبنرجع"، كما يتّضح أن أهالي القرى قد تعاونوا مع اللاجئين بعد أن كانوا يقطنون تحت أشجار الزيتون، وفي المغر والكهوف، وأسكنوهم فيما بينهم، أو أعطوهم جزء من البيت، إلاّ أنّ هناك بعض التصرّفات كانت تسيء للاجئين، وتعمل على تهميشهم، ظل اللاجئون في آخر محطة وجدوا فيها حفاوة واستقبال ومصادر للعيش إلى أن تأسس مخيم الجلزون، لتعلن وكالة الغوث وفي سيارات متجولة عن توفّره ليأوي اللاجئين، وحينها ترك اللاجئون تلك المناطق واتّجهوا نحو المخيم.

4.2 الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة حسب الجيل الأول:

[90] أم عليان، 72 عام،(قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[91] أبو فادي، 70 عام،(قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/8.

تستيقظ الهوية حسب دراج حين يشعر صاحبها بتهديد خارجي، فمن دون هذا التهديد تظل الهوية غافية لا معنى لها إلا مقارنة بهوية أخرى خارجية ومهدّدة، فالإنسان قبل التهديد يعيش مع ذاته أو مع آخرين يقاسمهم العيش المشترك وغايات متماثلة، فهوية الانسان قبل التهديد هي: اسمه، وعائلته، وبيئته، وعمله، وكل ما يدمجه بغيره ويمايزه منهم أيضا، فالهوية في هذه الحالة شكلانية تتضمن عناصر مستقرة، أو شبه مستقرة فلا اختبار ولا مواجهة، لذا فإن التحدي الخارجي هو الذي يقرر طبيعة الهوية، ويعاين قدرتها على المواجهة الفاعلة، أو عجزها عن المجابهة حتى لو حاولت ذلك، فخصوصية القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني في موضوع الهوية يتأتى من خلال معرفته ووعيه للظلم الذي مارسه الاحتلال الصهيوني، ليشعر بالظلم والتهميش والجوع.[92] وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التصارع مع المشروع الاستعماري الصهيوني قد سرّع تنمية الشعور بالفلسطنة، وليس هو الذي ولّد هذه الهوية، لذا يمكننا اعتبار الهوية هي: الأرض، الناس، الحكاية، فالأرض تحوّلت كفاعل أساسي في الذاكرة الجمعية الفلسطينية باعتبارها المرجعية الجغرافية والثقافية والتاريخية، إضافة لاعتبارها وحدة القياس الاجتماعية والاقتصادية التي كان يقوم عليها المجتمع الفلسطيني الذي تم تدمير بناه مع النكبة،[93] أما الناس فهم اللاجئون الذين عاشوا التجربة، النكبة و اللجوء، والحكاية فتتمثل بكل ما آلت إليه الظروف التي تراكمت حتى وصلوا للمخيم المكان المؤقت/ الدائم للجوء، وكيف تشكّلت على إثره هوية وطنية فلسطينية.

تميّزت رواية المبحوثين حول المكان والارتباط بالعودة بالطابع الرومانسي، والحنين الطاغي على لغتهم وتعبيراتهم، فكانت المشاعر المختلطة تجتذبهم من واقعهم لترجعهم إلى بلادهم، ليعيشوا حالة من التناقض وعدم الرضا عمّا آلت إليه أوضاعهم في مخيمات اللجوء، مؤكدين على أن المخيم ما هو إلا محطة انتظار لحين العودة لمسقط رأسهم، وأنه مهما تطوّر اللاجئ خارج وطنه فإن عقدة النقص تظل تلاحقه بعيدا عن أرضه الذي عاش فيها بأمان واستقرار، فكانت رواية المبحوثين كالتالي:

أبو إبراهيم:

> فقدنا الأرض وفقدنا العرض طبعا الواحد بدون هذول الاشياء بقدرش يعيش الارض والوطن راح شو ظللنا للحياة، بنعيش حياة مملة وروتينية قاتلة، خذيها قاعدة الانسان اللي مالوش ارض ومالوش وطن

---

[92] فيصل دراج، **قضايا فلسطينية**، رام الله: المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطسنية، 2008، 9-11.

[93] أباهر، السقا. (2013). **الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة**، وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1)، قاعات منتزه بلدية البيرة.

مالوش عيشة، لانه ببقى حاسس بنقص، ومهما الواحد يغنى ويتطور خارج وطنه وخارج اضه مبعوضوش عن يوم من ايام راحة البال والامان، كان عايش في قصر ولا فيلا، جوا المخيم ويلا براة المخيم، نفس الاشي انت ملكش اشي.[94]

أبو محمد:

شو بتشعري يا عمي هو واحد لحاله، يعني انا شعوري لحتى الان وبكرة يعني لو تعطيني من هان للخليح وتقوليلي ارجع عبلدك بقولك انا والله بديش من هان للخليج، تعطيني مليون ليرة ذهب، بديش المليون ليرة، بدي اروح هناك اموت انا، يا عمي اللي عاش هناك والله لو تدفعيلو مليون دينار كل شبر ما بقبل.[95]

أبو حافظ:

دائما الواحد بيفقد وطنه، وطني هو خارطة في عقلي، بيت نبالا هين وهان (اشار الى عقله وقلبه) احنا يا سيدي افتقدنا العزة والكرامة، صرنا محتاجين بعد ما كانت عنا اراضي كثيرة وكنا نزرعها ومكتفيين من خيراتها، ما كناش نستنى الوكالة تجيبلنا تموين، كان عنا اكتفاء ذاتي من كل شي، من الزراعة: القمح، السمسم، والزيت، والخضرة والفاكهة من كل الشغلات، بقى عنا اكتفاء بالمواشي: عنا الجمال والابقار والاغنام، اليوم فش قاعدين بهالمخيم قديش صارلنا فش لا ورانا ولا قدامنا، والواحد بظل لاجئ طالما بعيد عن ارضه ووطنه.[96]

أم عليان:

الواحد بتحسّر شايفة هالذياق اللي الواحد عايش فيه، ملناش اشي في الدنيا هي احنا محشورين في هالدار، فش النا نتفة ارضيات الواحد يزرع فيها، اما ايام البلاد يا ستي بقينا نزرع شو ما بدك تلاقي، هلقيت لو اشتهيتي تزرعيلك لمونة فش مطرح، الزتون انحرمنا منه صرنا نشتري الزيت شرية بعد ما بقى زيتنا في ايدينا شايفة، بعدين انقلّت قيمتنا واتمرمطنا ويلا مالنا، اللي بطلع من داره بنقل مقداره، الله يجازيهم اليهود والعرب، والا احنا باقيين عايشين هالعيشة هاذ؟! لا والله بقينا في جنة بحق وحقيق بقيناش مصدّقين اللي بصير معقول اللي قاعد بصير، بقين النسوان يغنين ويقولن، وتقولها بحسرة وتنهيدة:

واحنا نزلنا بين قصرا وبين جوريش
بالله يا دنيا علينا لا تجوريش
بعد العلالي ننزل في الهيش
وبعد لمزعفر نوكل جريش

[94] أبو ابراهيم، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.
[95] أبو محمد، 85 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/18.
[96] أبو حافظ، 85 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.

وتضيف:

لا يا بلادنا يام العنب والتين ليش احنا رحلنا وغيرنا لمكين
لا يا بلادنا يم العنب لسمر ليش احنا رحلنا وغيرنا توطن
لا يا بلادنا ياللي جفيتينا تريدي الغرب واحنا ما تريدينا[97]

يمكننا إجمال ما رواه المبحوثون أعلاه بعدة محاور والتي ارتكزت بشكل أساسي على الأرض، فالأرض كانت الوطن بالنسبة لهم، والتي ارتبطت بمفهوم الكرامة التي سلبت حين فقدوا أرضهم وأصبحوا لاجئين، وحينها تولّد لديهم الشعور بالنقص والحاجة، خاصة بعدما افتقدوا الأرض التي كانت تمثّل مصدرا للاكتفاء الذاتي، والاعتماد على المعونات التي تقدّمها وكالة الغوث، كما أجمع أغلب المبحوثين بأن اللجوء حالة لصيقة بالفرد مهما تنقّل ، وليست لصيقة بالمكان كالمخيم والذي يعتبر مكان للاجئين، فاللاجئ يظلّ لاجئا طالما أنه ليس في أرضه ولا يعيش بحرّية وتحت التهديد الذي يجعل من كيانه واستقراره مهددين، نلاحظ أيضا حجم المعاناة التي ألمت بالمبحوثين فالوضع الذي وصلوا إليه في المخيمات، خاصة في ظل انعدام المساحات الزراعية التي كانت توفّر لهم مكاناً للزراعة، ليجدوا أنفسهم محصورين في أماكن لا تكاد تتسع للسكن جعلهم يتحسّرون على أرضهم التي فقدوها، وأخيراً الأغاني التي كانت ترددها النسوة تدل على حجم الخسارة والفقدان الذي مُني به اللاجئون، والمقارنة بين الوطن وحياة اللجوء.

أخيرا فإن تجربة التهجير الجماعي والمنفى غير المستقر، والرغبة في العودة إلى منطقة محددة قد جعلت من الحس الوطني أي الارتباط العاطفي بالوطن أو حتى بمكان الولادة المحددة قاسما مشتركا بين الفلسطينيين.[98]

5.2 الهوية ما بعد حرب النكبة حسب الجيل الأول:

1.5.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى(1987م):

شكّلت الانتفاضة الفلسطينية الأولى محورا رئيسيا في حياة الفلسطينيين، فيها أثبتوا أنهم متواجدون وجاهزون للتضحية بأرواحهم للدفاع عن وجودهم، وقد اشتعلت شرارة الانتفاضة في(8 كانون الأول 1987)، إذ تضافرت عدة عوامل سياسية واقتصادية أحكمت الخناق على الشعب الفلسطيني، إلا أن عملية دهس العمال الفلسطينيين المتواجدين داخل سيارتهم المتوقفة في محطة وقود من قبل شاحنة صهيونية يقودها صهيوني من مدينة أسدود، والتي أودت بحياة أربعة عمال، وجرح آخرين، أججت نار الغضب داخل الفلسطينين، وفي ظل التضييقات التي عانى منها العمال الفلسطينين

[97] أم عليان، 72 عام، (قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[98] يزيد صايغ. (2003). **الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993 الكفاح المسلح والبحث عن الدولة**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ص85.

والتمييز في الأجرة عدا عن سوء المعاملة، انتفض الشارع الفلسطيني مطالبا للثأر لهؤلاء العمال وانطلقت المظاهرات والمسيرات العفوية في قطاع غزة وبالتحديد في منطقة جباليا وهي مسقط رأس العمال الذين دهسوا، لتمتد وتنتقل إلى "الضفة الغربية"، إذ عُرفت بانتفاضة الحجارة لاستخدام المنتفضين الحجارة كسلاح ضد الاحتلال الصهيوني ورشقهم له وتصديهم لآلته وترسانته العسكرية.

لقد كان للانتفاضة الفلسطينية الأولى صدى واسع في الساحة الدولية، فقد أصبحت على رأس النزاعات الإقليمية في العالم، وكذلك أضافت عناوين جديدة إلى الملفات الدولية وعلى رأسها أن مسألة حقوق الإنسان تعني بالضرورة حقّه بكيان مستقل ووطن خال من قوات احتلالية تصوّب النار باتجاه أطفاله.

أما آثار الانتفاضة فلسطينيا فقد عبّرت عن فهم ووعي عميق لمتطلبات المرحلة النضالية، فقد امتنع آلاف العمال الفلسطنيين عن الذهاب للعمل في المصانع الاسرائيلية، مما انعكس على الاقتصاد الإسرائيلي، عدا عن حملات المقاطعة للمنتجات الإسرائيلية والتي كانت صورة جديدة للمقاومة الشعبية ضد الاحتلال.[99]

تحدّث أبناء الجيل الأول عن المخيم فترة الانتفاضة متناولين الآثار الاجتماعية والتكافل الذي ساد أجواء المخيم في حينها، فيما تناول آخرون السياسة القمعية التي كانت تمارسها القوات الصهيونية ضد أبناء المخيم، والأثر الذي أحدثته في نفوس أبناء المخيم، إلا أن الملاحظ أنهم تحدّثوا عنها باختصار وأعتقد أن ذلك يعود لقرب الفترة التي وقعت فيها الانتفاضة، وأرجعوا كافة المعلومات إلى أنها متداولة، كرواية أبو خليل قال:

صارت انتي غشيمة، استشهدوا شباب كثير بس قديش العدد والله ما بعرف، بقوا اليهود يطوقوا المخيم ويمنعوا التجول.[100]

هنا نلاحظ أن أبو خليل لديه حكم مسبق بمعرفتي حول الانتفاضة وما حدث فيها، وهذا ما جعله يتحدّث باختصار شديد حول آثار الانتفاضة، متناولا أسلوب من الأساليب التي ابتعتها قوات الاحتلال في قمع اللاجئين، وذلك بمنع السكان من التجوّل، وإرغامهم على البقاء في منازلهم، وهذا يعني عدم تمكنهم من الوصول لحاجياتهم اليومية، إلا أن المثير للانتباه أن غالبية من تم مقابلتهم من أبناء الجيل الأول لم يتحدّثوا حول الانتفاضة بإسهاب كما تحدّثوا عن النكبة، وقد يعود ذلك إلى أنهم كانوا متضررين بالدرجة الأولى من آثار النكبة التي عاشوها، وكانوا في خضّم التجربة، بخلاف الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي لم ترتكز على أبناء الجيل الأول بشكل رئيسي، وإنما ارتكزت على فئة الشباب والفتية.

---

[99] استرجع بتاريخ: 2015/9/17.www.wafainfo.ps

[100] أبو خليل، 75 عام، (قرية الخيرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

أما رواية أم عليان:

" اليهود وسخين كندرة واحد اردني بتسوا عندي كل اليهود انا، اليهود الله يجلعهم ينطقشوا في الانتفاضة الاولى، والله يا ستي نشفوا ريقي، نشفوا دمي، الزلام ما يستجروش يطلعوا، بقينا نوخذ إبني نغسله كلى، بقوا اليهود يصرخوا فيي انا اللي قاعد قدامك اجريي يصيرن ينتفضن تحتي، ارجع يا خواجا بدنا نوخذوا ارجع عطول حسوسهم، والله معيي طخوّا اليهود والله في نص الجلزون طخوه، واحد من دار شعبان اللحام، وواحد من قولية، والله معيي، وابن الجرو مصطفى هاظ نقروه في رام الله لقّتي جابوه من الجبال من دون سيارة والحال مايل دمهم ع كفهم، جابوا لا سيارة ولا شي، يجي 12 ويلا 13 راحوا بالانتفاضة، بعدين صار علينا اربعين يوم منع تجول".[101]

نلاحظ أن أبناء الجيل الأول تحدّثوا حول تجاربهم الشخصية كأم عليان التي فضّلت الحكم الأردني على وجود الاحتلال الصهيوني الذي مارس قمعه وإرهابه على الفلسطينيين، واللافت للانتباه أيضا في رواياتهم تركيزهم الواضح على سياسة قوات الاحتلال في استهداف الشبان الفلسطينيين وقتلهم بالرصاص والتنكيل بهم، وكذلك سياسة منع التجوال، وقد تكون هذه السياستان التي ركّز عليها المبحوثون هي الأكثر تأثيرا بهم.

2.5.2 اتفاقية أوسلو (1993م):

اختلف أبناء الجيل الأول في تقييم اتفاقية أوسلو وأثرها على القضية الفلسطينية، وقد يعود ذلك إلى الاتجاهات السياسية (الأحزاب) التي يتبعها كل فرد من المبحوثين، فانطواء الأفراد تحت لواء منظمة التحرير جعلت من آرائهم آراءً مؤيدة لاتفاقية أوسلو، والتي رأت فيها فرصة جيدة للشباب الفلسطيني من خلال فرص العمل التي وفّرتها لهم من خلال الدوائر الحكومية التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، مما خفّف من البطالة في صفوف الشباب، عدا عن الاستقرار الذي شعروا به، وهنا أود أن أقول أن هذا الشعور هو شعور مؤقت، فاتفاقية أوسلو لم تأت للفلسطينيين باستقرار دائم وعادل، والدليل على ذلك انتفاضة الأقصى عام 2000، أما من جانب آخر فقد ذهب أغلبية المبحوثين إلى الأثر الكارثي التي خلّفته اتفاقية أوسلو على القضية الفلسطينية بشكل عام، وعلى قضية اللاجئين بشكل خاص، وقد غلب على هؤلاء الأفراد أنهم لا ينطون تحت لواء الأحزاب السياسية التي تحتويها الساحة الفلسطينية، خاصة المبحوثين من

[101] أم عليان، 72 عام،(قرية رنتية)، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

أبناء الجيل الأول، فقد تحدّثوا حول الانعكاسات التي خلّفتها اتفاقية أوسلو على الأرض بشكل واقعي، مؤكدين أن هذه الاتفاقيات لن تُجدي نفعاً في ثنيهم عن حقهم في العودة إلى أراضيهم، فكانت روايتهم كالآتي:

أبو حافظ:

أنا بشوف تأثير اتفاقية اوسلو كان تأثير ايجابي، صرنا نحكم حالنا من حالنا، بطل لليهود حكم علينا، بطلنا نشوف مضايقات من الاحتلال زي قبل، كنا يوم يوم تصير مشاكل بينا وبين اليهود، اليوم بتشعر باستقرار، وظفت هالشباب في مؤسساتها واوجدتلهم فرص عمل، يعني انا بشوفها منيحة".[102]

أبو ابراهيم:

"اتفاق اوسلو للاسف جريمة بحقنا احنا الفلسطينية، قسّم فلسطين، وصرنا بدل ما نطالب بأراضي ال 48 صرنا نطالب بحدود ال 67، واليهود بأكدلك مش معطينهم اشي، بس احنا لليوم ولبكرة عنا امل انه نرجع عبلادنا لو مش بهاظ الزمن ولو مش بزمننا برجعوا ولادنا وولاد ولادنا."[103]

نستطيع أن نلخّص هوية اللاجئين من أبناء الجيل الأول "بأنها متشظّية وعانت تهديدا نتيجة ظهور وتواجد هوية "وطنية" أخرى كالصهيونية، التي تنافست معها الوطنية الفلسطينية الناشئة، وقد استمرت هذه السياسات الهوياتية الفلسطينية الجديدة تتأرجح إلى وقت النكبة، التي كانت حدثا مؤسساً في ميلاد الوطنية الفلسطينية، وفي الوعي الوطني الفلسطيني، ولم تزل، ومن بعدها الحدث الثاني وهو هزيمة 1967، ثم تلاها صعود تيار "الفلسطنة" الذي تحوّل نحو وطننة الهوية الفلسطينية، حيث أن المخيال الوطني يحتاج عادة إلى وطننة الفضاء الاجتماعي، (أدلجة وطنية، مأسسة وطنية، ثنائيات استنهاض التراث والتقليد، و "مرجعيات القانون الدولي بمرحلة متأخرة" وإلى التغيّرات الهوياتية، وتفعيل الذاكرة الجمعية حول أماكن الذاكرة، حيث حولت الأرض كفاعل أساسي في الذاكرة الجمعية الفلسطينية باعتبارها المرجعية الجغرافية والثقافية والتاريخية، إضافة لاعتبارها وحدة القياس الاجتماعية، والاقتصادية التي كان يقوم عليها المجتمع الفلسطيني الذي تم تدمير بناه مع النكبة، فالهوية الاجتماعية الجديدة قامت على فكرة العودة إلى المكان الأول ما قبل الاقتلاع/ النكبة للقرية والبلد الأصلي، ولعبت دورا هائلا مؤسسا لجيل كامل، واستحضر التراث ورموزه والتقاليد، بدءا من التعامل مع اللباس والمأكل الفلسطيني كهوبة تدلل على الاستمرارية الاجتماعية".[104]

6.2 الهوية ما قبل حرب النكبة حسب الجيل الثاني:

[102] أبو حافظ، 85 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.
[103] أبو ابراهيم، 83 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/7/8
[104] اباهر السقا، **الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة.** 44-45.

تمكّن أغلبية المبحوثين من إعطاء معلومات سردية ومروية عن آبائهم وأجدادهم، عدا عن الجانب الشخصي والاهتمام في البحث لمعرفة المزيد حول المدن والقرى الفلسطينية المدمّرة، فقد كانت روايات الجيل الثاني أقل تفصيلا وأكثر تحليلا، كما غلب عليها الطابع الروائي بحكم الامتداد العائلي للعائلة الممتدة والتي تجمع الآباء والأبناء والأجداد في ذات المنزل، إذ يسهّل عملية انتقال الرواية وإحيائها.

لامس أبناء الجيل الثاني العديد من جوانب الحياة الفلسطينية قبل حرب النكبة، إلا أنهم لم يكونوا بذات الاستفاضة والاسترسال كأبناء الجيل الأول الذين عاصروا الحدث وكانوا جزءا لا يتجزأ منه، وغلبت على روايتهم طابع السرد، واستخدام عبارات "كما سمعت، وكما قيل لنا من أجدادنا".

عبّر أغلب المبحوثين عن طبيعة المعيشة لدى أجدادهم وآبائهم في فلسطين قبل حلول حرب النكبة بالبساطة واقتصارها على الزراعة، في الوقت ذاته تطرّقوا إلى الجانب المهني ووجود فئة من المزارعين الذين يتجهون للعمل كعمّال في المدن المجاورة وقت انتهاء الحصاد أو تعسّره، مشيرين إلى أن الزراعة والأرض لم تكن كافية لسد احتياجاتهم، عدا عن المحاصيل التي تحتاج إلى عناية وأموال لم تكن بحوزتهم فيتجهون للعمل لتأمين المحصول للموسم القادم من بذار وأشتال للأرض وأعادوا تدهور أوضاع الفلاحين إلى السياسة الاستعمارية البريطانية، قال أحمد حول طبيعة المعيشة:

> أنا مهتم بالقرية من جانب أكاديمي من خلال التاريخ الشفوي والمصادر، قرية الدوايمة قرية من أكبر القرى الموجودة في مدينة الخليل، تشتهر كباقي القرى الفلسطينية بالزراعة، وجزء منهم بشتغل في حيفا ويافا عامل وهذا يعني تطور العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، طبعا هذا العامل كان يريد أن يؤمن دخل الارض طبعا هذا كان جزء من السياسة الاستعمارية.[105]

أما فيما يخصّ طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الفلسطينيين والبريطانيين خلال انتدابهم على فلسطين، فقد تحدّث أحمد حول الممارسات التي كانت تمارسها السلطات البريطانية ضد الفلسطينيين، مشيراً للاضطهاد الذي تعرّض له الفلسطينيين عام 1936 فقال:

> الحركة السياسية كانت جزء منهم مؤيدين للمفتي، والروايات وصلتنا إنه كانوا في ال 36 يتعرضوا يوميا للقمع والاضطهاد، مداهمات في الليل يعيثوا فساد يخربوا البيوت، نفس الاشياء اللي بعملوها اليهود وكمان كانوا يمارسوا الاعتقال الاداري.[106]

---

[105] أحمد، 54 عام،(قرية الدوايمة)، تاريخ المقابلة: 2014/6/29.
[106] أحمد، 54 عام، (قرية الدوايمة)، تاريخ المقابلة: 2014/6/29.

تناول رمضان قيمة الأرض عند الفلاح الفلسطيني، والتي توارثها من خلال الرواية التي وصلته من أبائه وأجداده، موضحا آلية زراعتها، وكيفية تعاون جميع العائلة في هذه الأرض، كما تناول دور المرأة في تلك الفترة، فقال:

أجدادنا طبعا كانوا مزارعين، الأرض كان إلها قيمة كبيرة عند الفلاحين، كان الواحد منهم يتباهى قديش عنده أراضي، يزرعوها حسب الموسم، وكانوا الناس متعاونين وكل اهل الدار يشتغلوا بالأرض كبيرهم وصغيرهم، حتى إنه المرأة كان إلها دور أكبر كونها بتشتغل بالدار وبالأرض وعليها مسؤوليات متعددة، من خبيز وطبيخ وتربية الاولاد وتعتني بالجاجات والغنمات والبقرات، يعني كانت الحياة ممتعة عحسب ما بحرّفوا سيادنا، فيه تعاون بين الجيران كمان.[107]

تناول وليد طبيعة المعيشة التي كان آباؤه وأجداده ينعمون بها في أرضهم، حيث الاكتفاء الذاتي من كافة المحاصيل التي كانت تُزرع، بالإضافة للتكافل الاجتماعي بين أهالي القرى والمدن الفلسطينية، إذ اجتمعت كل هذه المقومات لتجعل من الأرض التي فقدوها جنة، يسعون للعودة إليها، فقال:

هم عايشين حياة الفلاح الفلسطيني، في عنده ارض تزرع، وفيه وفرة بالانتاج، وفيه يسر بالحياة كان فيه كد وتعب وبنفس الوقت كان فيه رخاء وانتاجية عالية، كانت بلد زراعية بامتياز فيها بيارات البرتقال وكافة المزروعات مثل القمح والذرة، بيحدثونا عن كم كانت تنتج الارض، وكان فيه ماء أيضا، كان الفلاح يملك حياة متكاملة ويملك الاكتفاء الذاتي، الانسان يأكل مما يزرع ويعتمد على ذاته اعتماد كامل، الحياة فيها البساطة والتآلف الاجتماعي وفيها كل مقومات السعادة، فهي بالنسبة لهم جنة.[108]

تطرّقت أمينة بالإضافة للحياة العملية، وطبيعة المعيشة لطبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت تسود قريتها، والتي كانت متمثّلة بالشق وهو مكان يجتمع فيه الرجال كل وحامولته، مشيرة إلى افتقاد هذه العلاقات بين الناس خاصة في الوقت الذي سيطرت فيه التكنولوجيا على حياة الإنسان، وعملت على عزله عن محيطه الإجتماعي، كما ذكرت اللباس الخاص بالقرية من رجال ونساء، فقالت:

نمط المعيشة في واد حنين ريفي تشتهر ببيارات البرتقال والليمون وكانوا يزرعوا القمح بالفدادين الكبيرة جدا كانوا يعتمدوا على المواشي، كانوا يربوا الابقار ويعتمدوا عليها بالاساس في البيارات، العلاقة بين الناس أكتر من هاي الايام كان فيه ود في العلاقات في الافراح والاتراح، كان في الكرم يربط بين الناس اكتر من اليوم، الناس يتسامروا في الشق هو عبارة عن بيت شعر مفروش وفيه قهوة سادة، وكان اكل الرجال وشربهم كلو في الشق، عيب الواحد يوكل في داره، وكان دائما عامر بالضيوف وعامر

[107] رمضان، 63 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[108] وليد، 54 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/20.

بالمأكولات، وبالليل يقعدوا فيه كل حامولة يتسامروا ويسهروا ويحكوا حواديت، لانه فش لا تلفزيون ولا اشي يلهيهم، كانوا الرجال يلبسوا القمباز والروزا، والنسوان الثوب الفلسطيني.[109]

يمكننا استخلاص العديد من الملاحظات بعد أن استعرضنا رواية المبحوثين حول ما وصل إليهم من حياة الفلسطينيين قبل حرب النكبة، فقد شكّلت الأرض أساس الرواية التي تناولها كل مبحوث من المبحوثين بصورة مختلفة، فالأرض كمصدر رزق للفلاح كانت ظاهرة وجليّة، واستهداف بريطانيا للفلاح الفلسطيني من خلال الضغط عليه بهدف التخلّي عن أرضه، في ظل عدم مقدرة الفلاحين على تأمين احتياجات الأرض من بذار، وأشتال، وغيرها من الأمور، كانت نقطة وصل بين الجيل الأول والجيل الثاني، وهذا يدل على حجم الرواية التي وصلت إليهم، وطبيعة العلاقة التي كانت بينهم، الأرض كمصدر أمان واكتفاء ذاتي، هي أيضا ظهرت عند أبناء الجيل الأول، وهذا يدلل على جسور الرواية ومتانتها، أما فيما يخصّ العلاقات الاجتماعية فأغلب أبناء الجيل الأول يفتقد تلك العلاقات التي كانت تسود حياتهم، وهذا ما أكّده أبناء الجيل الثاني في روايتهم.

7.2 حكاية حرب النكبة "الرواية" حسب الجيل الثاني:

تشرّب أبناء الجيل الثاني حكاية حرب النكبة، ورواية أجدادهم، فاستطاعوا أن يحدثونا عن ما وصل إليهم من معاناة أجدادهم خلال حرب النكبة، وكيف أجبرتهم العصابات الصهيونية على الخروج، لتصبح رواية الجيل الأول ليست روايتهم وحدهم، بل أصبحت رواية جماعية يشترك فيها جيلين معا، ليتناقلاها للجيل الثالث والرابع وعلى امتداد الأجيال فكانت روايتهم كالتالي:

1.7.2عوامل الخروج:

وليد:

الكبار بحدّثوا عن ذكرياتهم القديمة مانسيوهاش هم عايشين في المخيم ولكن بأرواحهم ووجدانهم الداخلي عايشين في بلادهم كل حديثهم عن ايام الصبا وايام الشباب احنا مواليد المخيم بس كبارنا عيشونا البلاد من كثر حديثهم وحنينهم وذكرياتهم عشناها معهم، طبعا بعرف كيف طلعوا اهلي من البلد هاذ حديث يومي تقريبا امي بتحدّثنا كيف طلعوا وحملوا اغراضهم بشكل سريع اول هجرة كانت من العباسية للد، وكانوا يعودوا للبلد لحليب البقرة للحصاد لأخذ المونة عأساس هجرتهم كانت مؤقتة أيام وراجعين، وكان فيه مجازر طبعا صارت في العباسية، العصابات الصهيونية هاجمت البلد كثير، وصار معارك بينها وبين مقاتلين من داخل البلد بإمكانيات بسيطة ومحدودة جدا في مواجهة عصابات مسلحة تسليح عالي وقوي، وكانوا بيحدثونا كثير كيف انه جنود الانتداب البريطاني كانوا يطبوا مع العصابات الصهيونية ويأزروهم ويدعموهم ووقت يوقعوا

[109] أمينة، 52 عام، (قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2014/6/22.

بمأزق ينقذوهم، صار في مواجهات كثيرة، صار فيه قتل، وحيل كثيرة لإيقاع ناس كثير ضحية عبوات ناسفة وقنابل تنفجر فيهم، فكان فيه ممارسات ارهابية كثيرة مورست بحق الفلسطينيين.[110]

رمضان:

العباسية بتوقع في منطقة الوسط منطقة مواجهات، وكانت الهاغاناة بقيادة اسحاق رابين نشطة جدا كانت تسعى دائما لتهجير الناس، وكان رئيس الهاغاناة لديه مخطط لتفريغ المنطقة من سكانها غير مكتوب ويعطي اوامره بالاشارة الي قادة القوات المسلحة، فكانوا يفتعلوا مشاكل مع القرى، وللاسف القرى كانت مسلحة بأسلحة بدائية اسلحة عتيقة جدا حصل عليها القرويين من ايام الحرب العالمية الثانية، بخلاف القوات الاسرائيلية الي كانت مسلحة تسلح جيد عندها 119 الف جندي بما فيها شتيرن والهاغاناة، عنا المفتي استطاع ان يجمع 5 الالاف جندي وكل بلد كانت تنشط لتعمل مليشيا داخلية، جمعوا الناس فلوس ليشتروا سلاح تعثرت الامور والزلمة اللي راح يشتري السلاح انحشر في دمشق وما رجع، كانوا اليهود يدخلوا عالبلد فجروا بيوت فجروا مقاهي الغلبة طبعا كانت لليهود بسبب قوتهم وعتادهم.[111]

نلاحظ أن عوامل الخروج لدى أبناء الجيل الثاني قد ارتكزت وبشكل رئيسي على الهجمات الصهيونية على القرى والمدن الفلسطينية، والتي أدّت إلى هجرة الفلسطينيين، والتي تمّت بمؤازرة القوات البريطانية، التي وقفت بجانب القوات الصهيونية، التي كانت على كفاءة عالية من التسليح، بخلاف الفلاحين الفلسطينيين، وممن انخرط في صفوف الثوار والذين كانوا يعانون من قلّة الأسلحة بل وتعطّلها.

في الوقت ذاته لم تكن تلك الهجرة في مخيّلة الفلسطينيين نهائية فلم يتزودوا بأي شيء من حاجياتهم، وتركوها في البيوت كالأبقار التي كان أصحابها يرجعون إليها للعناية بها، والاستفادة من حليبها، وهذا يرجع إلى طبيعة القرية والمدينة التي تلقّت تلك الهجمات، فقرية العباسية وكما نلاحظ من خلال حديث المبحوثين أعلاه أنها تعرّضت لمجزرة، بخلاف بعض القرى التي سمعت عن تلك المجزرة، وهذا لا يعني بالضرورة أن الإشاعات وكما تحدّث عنها أبناء الجيل الأول ليست صحيحة، فقد ساهمت في دبّ الرعب في قلوب الفلسطينيين، وخوفهم على أطفالهم ونسائهم، ليخرجوا من القرى للنجاة بحياتهم وأعراضهم، من الجدير بالذكر أن أجيال اللاجئين الفلسطينيين في هذه الدراسة وعلى اختلافها تعرف التفاصيل التي أدت لخروج الفلسطينيين وتهجيرهم، والمسؤول عن الطرد والمجازر التي ارتكبت بحقهم.

إذن يمكننا القول أن رواية الجيل الأول قد انتقلت للجيل الثاني، وهذا يعود لطبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة بالأسرة الفلسطينية، إذ يغلب عليها طابع العائلة الممتدة، مما يسهّل من انتقال الرواية لهم.

2.7.2 الجهات المتآمرة والداعمة:

[110] وليد، 54 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/20.
[111] رمضان، 62 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

اختلف المبحوثون من أبناء الجيل الثاني حول الجهات المتآمرة والداعمة، فمنهم من رأى أن بريطانيا وحدها تتحمّل مسؤولية ما جرى للفلسطنيين، أما آخرون فرأوا أن الدول العربية هي من تتحمّل المسؤولية وذلك بسبب تقاعسها في نجدة الفلسطنيين، في حين كان عبد العزيز قد جمع تلك الجهات وحمّلها المسؤولية، وذلك بحسب الرواية التي سمعها من آبائه وأجداده، وكانت روايته بالشكل التالي:

> الرواية اللي اذكرها من الكبار وقت كانوا يحدّثونا، مع بداية الصراع بين الفلسطينيين والحركة الصهيونية، وتبيّن ملامح المؤامرة على الشعب الفلسطيني من قبل بريطانيا، وللأسف كمان الشرق الشيوعي وهذا لازم يوضّح، لانه اهلنا ما بعرفو شيوعي ومش شيوعي، يعني حياة أبوي كان يحكي اللي ذبحنا السلاح التشيكي تشيكوسلوفاكيا كانت جزء من المعسكر الاشتراكي، وكانوا يتدفقوا من هذا المعسكر كما يتدفقوا من المسكر الغربي، وكانت الحركة الوطنية ملاحقة ومحاصرة منذ 1936، وكانت الاعدامات والملاحقات تتوالى، وقامت الحركة الوطنية بالواجب الملقى على عاتقها في ذلك الوقت بالرغم من قلة الامكانيات نفس رواية كل القرى جاءت الجيوش العربية للاسف كلها كانت خاضعة للانتداب البريطاني ومسؤوليها انجليز، جاءوا لمحاصرة المجاهدين العرب والفلسطينين الذين تدفقوا بالالاف من مصر وسوريا والاردن، وكان اغلبهم من الاخوان المسلمين وهذا مثبت في كتاب حرب ال 48 للدكتور احمد العلمي، جاءت هذه الجيوش لقطع الطريق على العرب والفلسطينين، وعقد هدنة مع الاحتلال، وهي اكبر خيانة في التاريخ، واعيد المتطوعين العرب الى بلدانهم وخاصة في مصر الى السجون وليس الى ساحات التكريم، جاء الجيش العربي الاردني وجمعوا وجهاء البلد وقالولهم ستحدث هنا معركة عنيفة بينا وبين اليهود، وما بدنا يموت اطفال ونساء، فالأفضل تطلعوا واحنا رح نحسم الحرب وترجعوا، وكل أهل البلد ما طلعوا ضلوا تحت الشجر، وكان كمان شبان من البلد يشتغل مع الجيش الاردني، وبهذا بيأكد انه الناس ما هربوا مثل الرواية، وبعدها اجى القائد الموجود وقالهم احنا اسفين اجتنا اوامر بالانسحاب، والدي كان موجود مع شباب البلد اللي كانوا موجودين، وكان عندو اكثر من بندقية، واعطاها للشباب اللي ضلو، واجت طيارة ما مست الجيش الاردني، وضربت عالاربع جهات، وتم الانسحاب من الجيش الاردني، وأهل البلد لما عرفوا انه فيه قصف واستمر القصف حتى بعد الانسحاب ما قدروا يرجعوا، والناس وقتها هاموا على وجوههم، وبلشت عملية اللجوء.[112]

يتّضح من حديث عبد العزيز أن هناك خلفية ثقافية صبغت روايته التي حدّثنا إياها، والتي اختلطت برواية والده الذي كان شاهدا على حرب النكبة، فكانت روايته تحليلية تستند لما تلقّاه من رواية والده، وتستند أيضا للتاريخ المكتوب. نلاحظ أن عبد العزيز قد أشار في حديثه إلى تعليمات عربية من دولة عربية (الأردن) بخروج الفلسطنيين من مدنهم وقراهم، لحين تلقّيهم أنباء لعودتهم إليها، إلا أن الجيش الأردني انسحب بتعليمات بريطانية من المكان، لتتولى القوات البريطانية دورها في قصف القرى الفلسطينية، وهذا يعني مساندة القوات البريطانية للقوات الصهيونية، والعمل على احتلال فلسطين.

[112] عبد العزيز، 51 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2014/6/29.

تشابهت رواية أبناء الجيل الثاني مع رواية أبناء الجيل الأول، وهذا يعني أن الرواية تتناقل بين الأجيال، مما يعني وجود هوية وطنية عززتها الرواية داخل مكان مؤقت للجوء.

3.7.2 مسار الرحلة إلى المخيم:

أبناء الجيل الثاني كان حديثهم عن ما عاشه أهلهم ووصل إليهم عبر الرواية التي انتقلت لهم ليس كاملا بالصورة التي شهدناها في رواية أبناء الجيل الأول، ويتضح أن بعض أبناء الجيل الثاني اتجه إلى خارج حدود فلسطين، ليأتي إليها وينخرط في صفوف اللاجئين في المخيم بعد العام 1967، كوضع أمينة فتقول:

> أنا أهلي وقت طلعوا من وادي حنين راحو على الأردن، يعني تقريبا من ال 48 لل 67 ما كنا ساكنين في مخيم، بعدها سكنّا في مخيم البقعة، وأنا اجيت هون عمخيم الجلزون عام 1984.[113]

أما أماني فقد تحدّثت عن القرى التي اجتازها آباؤها وأجدادها خلال هجرتهم من قريتهم فقالت:

> راحوا اول اشي في القرى القريبة على بيت نبالا من جهة الجنوب الغربي يعني رنتيس وقبية قعدوا ايام او اسابيع، مش اشهر، وبعدين اهل ابوي شكلهم بعديها تشتتوا ناس راحوا على رام الله ناس على بيتيلو ناس عالامعري ناس عالبيرة، اهل ابوي قعدوا بكوبر أكمن يوم، بس اهل امي قعدوا في جفنا بعرفش اكم سنة يمكن 3 سنين.[114]

نلاحظ أنّ أبناء الجيل الثاني قد تمكّنوا من سرد مسار رحلة آبائهم باقتضاب واختصار، فاكتفوا بذكر أسماء بعض القرى التي مرّوا بها، وهذا يعود لانعدام التجربة "تجربة الهجرة"، والتي انعكست على روايتهم فاختفت منها التفاصيل التي تطرّق لها أبناء الجيل الأول، وتجسيدهم للمشهد بشكل كامل كما عاشه، فكانت روايتهم ترتكز على الرواية التي انتقلت إليهم من أجدادهم وآبائهم.

8.2 الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة حسب الجيل الثاني:

كان الجيل الثاني يوصّف حالة اللجوء الذي تشرّبها من أجداده وآبائه، واستغرابه الشديد من بكائهم عند الحديث عن الوطن وأيام البلاد، أو حتى عند رؤية البلاد في زيارات كانوا يقومون بها، ليستشعروا حالة اللجوء بمعزل عن المكان، فهم وإن كانوا داخل أسوار المخيم أو خارجه فهم خارج منظومة أرضهم التي حُرموا منها، مؤكدين أن اللجوء يتغذى وينمو

---

[113] أمينة، 52 عام،(قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2014/6/22.
[114] أماني، 48 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/8/30.

يوما بعد يوم في ظل وجود الاحتلال الصهيوني الذي يعزز ارتباط الفلسطيني بأرضه وحقه في أي بقعة من بقاع الأرض، مشيرين إلى أن المخيم قد يكون بيئة محفّزة ولكن ليست بيئة شرطية لتنامي هوية وطنية فلسطينية تسعى لنيل حقوقها والعودة لأرضها، وذلك بفعل التضييقات والأزمات الخانقة التي يعاني منها المخيم، فكانت رواياتهم على النحو التالي:

أحمد:

> الهوية مهمة بالارتباط بالمكان، وهذا ما يميّز الفلسطيني لأن المكان نفسه يعطي هويته، اللاجئ الفلسطيني بتشوفيه وين مكان في أوروبا في أميركا في الدول العربية بيعكس وجوده وقضيته، كثير حملات دعم وتذكير للناس بالقضية الفلسطينية وحملات توعية بتطلع من الشتات وهم مش عايشين بالمخيم، لهيك الهوية هي شيء فطري بكتسبه اللاجئ كونه مش بأرضه، المكان ما بحدّ من الانتماء الوطني، ولكن بقدر اقولك انه المخيم يمكن بعزز وبساعد على الاستمرارية في إنه الناس ما تنسى وطبعا وجود الاحتلال الاسرائيلي كل يوم بشوف الولاد فيه قتل وفيه صاحبه انسجن وهذاك انجرح هاي الممارسات بتخليهم دائما مرتبطين بقضيتهم وبطالبوا بحق العودة.[115]

أشار أحمد إلى أن الهوية هي شيء فطري يكتسبه اللاجئ كونه ليس بأرضه، في حين تناول بعض العوامل المساعدة للحفاظ على الهوية الوطنية، فالمكان قد يكون عامل معزز للحفاظ على الهوية الوطنية، وهنا يقصد المخيم، وبنيته التحتية، والمشاكل التي تعتريه، والتي قد تكون أحد الحوافز لاستمرارية الارتباط بالأرض والتمسّك بحق العودة، إلا أنه ليس محوراً مركزياً، أما العامل الثاني يتمثّل بوجود الاحتلال الصهيوني والممارسات التي يقوم بها لتكون شاهد حيّ على الحقوق الفلسطينية بالعيش بحرّية، والعودة لمدنهم وقراهم الفلسطينية التي هُجّروا منها خلال حرب النكبة.

عاشت إحدى المبحوثات حالة اللجوء بطريقة مختلفة عن باقي المبحوثين، فقد ذاقته في الشتات، لتنتقل بعدها لتعيشه في كنف الوطن وداخل المخيم، فقالت أمينة:

> أنا عشت في مخيمين للجوء "خارج الوطن وداخل الوطن" اللجوء في الشتات الغربة أقوى وأقسى والحنين أكثر كفلسطينيين كانوا ينظروا لنا نظرة دونية ويحسسوك إنك صاحبة الذنب، وفي تهميش النا، مثلا في يوم كان فيه يوم الارض خرجوا البنات ليعبروا عن شعورهم كيف بدي احكيلك كأنها صرخة الم اول مرة بنطلع نعبر عن اللي جوانا حسينا انه احنا بسجن وطلعنا، ووقتها انقتل منا بنات، وكانت ردة الفعل قوية جدا، كنا طلاب لا يقل عن 40 الف طالب وطالبة طلعنا لانه كانوا الناس مضغوطين فكانت منفس وحيد لنعبّر فيه عن اللي احنا فيه، طبعا كنا عايشين احنا في وحدات من الاسبست اللي بتكون مخلوطة بالزفتة بعيد عنك، الحنين للوطن في الجلزون ما زال موجود، بس وجودك في وطنك بتحسي اخف وابرد شوي، وانتي بوطنك بتحسي اخف مما تكوني انتي بالشتات.[116]

---

[115] أحمد، 54 عام،(قرية الدوايمة)، تاريخ المقابلة: 2014/6/29.

[116] أمينة، 52 عام، (قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2014/6/22.

نرى أن أمينة تريد أن تقول لنا أن اللجوء في الشتات هو أكثر إيلاماً، وذلك كون اللاجئين ليسوا وحدهم، فهناك طبقات إجتماعية أخرى غيرهم، ينظرون للاجئين نظرة دونية، بخلاف اللجوء داخل الوطن كالمخيمات، فجميع اللاجئين سوياً شعورهم موحّد، وينتظرون العودة لأرضهم. فالملاحظ أن اللجوء خارج الوطن يشكّل تهديداً مضاعفاً للاجئ، فهو خارج حدود وطنه، يعاني من تمييز في التعامل، ونظرة دونية تلاحقه وتلقي عليه اللوم كونه لاجئ، عدا عن اللجوء ذاته والذي نتج عن التهديد الذي تعرّض له آباؤه وأجداده، ليصبح لاجئاً.

اتفق رمضان مع رواية أمينة بالمعاناة التي يعيشها اللاجئون في الشتات، إلا أنه تحدّث حول التغيّرات التي طرأت على صورة المخيم في أذهان الناس، والتي تبدّلت من صورة إيجابية لصورة سلبية، بالتزامن مع دخول السلطة الفلسطينية، فيما تحدّث رمضان حول المكان "المخيم" وآلية تشكّل هوية من حيثيات المكان، والذي كان يعاني من النقص خاصةً في بداياته، فالشعور بالنقص، مقابل أبناء القرى المجاورة ولّد لديهم إحساساً بالبحث عن أرض لهم، يقتاتون منها، ويتفيئون بفيئها، فقال:

> المخيم زمان كان قبل عودة السلطة كان مركز النضال ومركز الثقافة والمثقفين، وكنا نعتز انه الواحد من المخيم، الآن بختلف الوضع بعد 1994، في السلطة النظرة للمخيمات أصبحت تأخذ نظرة أخرى، كانت زمان نظرة احترام وتقدير واعجاب واكبار بالمخيمات بنضالها وصبرها، اليوم للأسف في حالة الشعب الفلسطيني ينظر لاهل المخيمات على أنهم دون[117]، اليوم وقت الواحد يقعد مع ناس بتحس انه النظرة للمخيمات نظرة فيها هم وكل السوء موجود في المخيمات وكأن السوء فقط جاي من المخيمات، مع انه هاي الظواهر السوء موجودة بالمدن قبل لتوصل للمخيمات، إلا انه احساسنا اليوم اختلف اصبحنا نشعر بالمهانة مش بالاعتزاز والفخر نتيجة لنظرة الاخر من الشعب الفلسطيني للمخيمات، كل ما يحكوا عن مشكلة سببها المخيمات، في الضفة الغربية يمكن احنا ما عنينا من كوننا لاجئين، اللاجئين اللي خارج الارض المحتلة كانوا يحسوا بالتمييز انه هاذ مش من هان انا عشت في بيروت اربع سنين درست الليسانس هناك، بس واحنا صغار كنا نتمنى يكون عنا شجرة برقوق زي اهل دورا، نتمنى يكون عنا شجرة زيتون زي اهل جفنا، نتمنى يكون عنا شجرة لوز زي اهل سردا، نتمنى يكون النا اشي قطعة ارض نقعد تحت الزيتونة نحكي هاي النا، هاذا الاحساس رافقنا واحنا أطفال، كنا نشعر بالنقص، لانه ملناش لا بيت ولا ارض ولا شجرات ولا حاجة ولا سنسلة ولا جدار دايما كانوا يحكوا انتو بتسرقوا الزتونات بتسرقوا البرقوقات، مزبوط احنا وصغار مش انه نسرق، بس كنا نظل بالجبل لانو فش اكل في الدار، فكنا نقتات من الأعشاب اللي تكون بالجبل مثل الجلثون وخس بري كنا نقتات لانو كنا جعانين، مكناش نحس بالشبع، الفقر سيء جدا والفقير بغير بلده بقدرش يسد رمقه، يمكن الواحد اذا جاع في بلده بقدر يزرع شيء ويطوله يزرع فول يزرع حمص لكن احنا وين بدنا

[117] دون: يقصد المبحوث بأن نظرة المجتمع لأبناء المخيمات نظرة دونية أي وضيعة وليست بالمستوى الذي يرقى له باقي أبناء المجتمع.

نسوي هاد الشي، اذا الوكالة اعطتنا طحين صار عنا خبز، حتى لو اعطتنا طحين مش بدنا نخبزه، وبنحتاج لحطب ونتش ليرضى الفرّان وكانت مهمة جلب الحطب للنساء.[118]

نلاحظ أن رمضان قد أخذ العامل الذي تناوله أحمد حول المكان الذي قد يعزز ويساهم في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، وهنا يظهر التهديد واضحاً في بدايات اللجوء للمخيمات، فكان الجوع والبرد، والنقص في كافة متطلبات الحياة دافعاً لتشكّل هوية وطنية فلسطينية واضحة، تسعى للعودة.

عبّر أبو مظفر عن تخوّفه من التوجّهات الحديثة التي تركّز على المخيم "المكان" في حديثها عن اللجوء، وأن مشكلة اللجوء ترتكز بشكل أساسي على هذا المخيم فقط، فقال:

المخيم عبارة عن مكان تأسيس المخيم هو مكان مؤقت، كلمة مخيم بالانجليزي "camp"،وهي كلمة مبلمرة وكلمة مخيم قد تعني معسكر جيش، معسكر لشركة صناعية، وقد تعني معسكر للاجئين، ووقت نصبت الصليب الأحمر الخيام قدمته لإيوائهم لفترة مؤقتة للاجئين والنازحين، بعودة هؤلاء اللاجئين أو بأي طريقة، وما زال انه اسم يطلق مخيم لاجئين معناها بحسو هذول الناس إنه في لاجئين ، ولازم عالاقل انه تنحل قضيتهم ويرجعوا، بس بدي احكي نقطة مهمة التركيز الاخير، إنه التركيز في السنوات الاخيرة بتركز على المخيم، وهذا الموضوع خطير، مع انه معظم اللاجئين في الضفة الغربية مش سكان مخيمات، معظمهم ساكنين في القرى والمدن، اللاجئين اللي ساكنين في المخيمات الثلث، فكلمة اللاجئين والمخيمات مفهومها غامض، يعني في النهاية لو هذول الناس اعطيناهم ارض وبينانلهم هي عملناالهم توطين، لهيك بصير عنا مفهوم غامض، يعني تركيز حل مشكلة اللاجئين في المخيمات، يعني غالبية اللاجئين ساكنين في رام الله، اغنى عائلات رام الله ساكنين مثل الطريفي، الفار، طنوس، هذول لاجئين، اللجوء قضية مش مكان الاعلام بركز على المكان يمثل اللاجئين خطير وممكن يكون موجّه لطمس قضية اللجوء والعمل على التوطين، لانه اذا بدي اركز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والصحية والبيئية ومشاكلها، بيجي حد يحلها يعني انحلت قضية اللاجئين؟، فضروري نلاحظ هذه الفكرة، إنه ما نركز على المخيم وننسى اللاجئين اللي خارجه، فاللجوء ما إله حدود مكانية.[119]

اختلف أبو مظفر كلياً في نظرته للجوء وتعليقه بالمكان فقط، وهنا يعني أنه يختلف عن أقرانه من المبحوثين، فقد عبّر عن تخوّفه من حصر اللجوء داخل أماكن محددة ولصقها في المخيمات، وأعاد السبب إلى أن هذا يعني طمس الهوية الفلسطينية، فالمخيم واللجوء يتغاضى عن اللاجئين في الشتات، كما تخوّف من أن تكون هذه الفكرة ما هي إلا موجة لطمس قضية اللجوء، والعمل على التوطين.

[118] رمضان، 62 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[119] أبو مظفر، 67 عام، (قرية عنابة)، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.

نستخلص مما سبق من حديث المبحوثين حول الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة العديد من الاستنتاجات، فأبناء الجيل الثاني تحدّثوا عن اللجوء داخل المخيم وصورة الهوية الوطنية الفلسطينية بوعي تحليلي أعمق مما تناوله أبناء الجيل الأول الذي تناوله بحسّ عاطفي، فقد شكّلت لهم الأرض الأصلية في مدنهم وقراهم العنصر البارز في حديثهم، وشعورهم الجيّاش تجاه مدنهم وقراهم والحنين الطاغي إليها، ومفاضلتهم إياها عن واقع مكان اللجوء "المخيم"، في الوقت التي كانت هذه الأرض ذاتها غاية المبحوثين من أبناء الجيل الثاني بعاطفة الحنين والإدراك، إذ تشكّلت هوية جامعة لدى اللاجئين على اختلاف مواقعهم وأماكنهم، وقد اختلفت العوامل التي أرجعها المبحوثون لتشكّل هوية وطنية، فقد تنوّعت بين الشتات الذي أشار إليه المبحوثين بأنه أكثر قسوة، وآخرون إلى المكان ذاته والشعور بالتهديد خاصة في مراحل اللجوء الأولى، إلا أنهم وفي نهاية المطاف أشاروا إلى أن اللجوء لا ينحصر بحدود مكانية.

9.2 الهوية ما بعد حرب النكبة حسب الجيل الثاني:

1.9.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987م) :

أضاف المبحوثون من أبناء الجيل الثاني إضافة نوعية حول الانتفاضة الفلسطينية الأولى، والتي غابت في تفاصيلها وحيثياتها، وآثارها من حديث أبناء الجيل الأول من عينة المبحوثين، فاختلفت المحاور التي سلّط كل من المبحوثين روايته حولها، فكانت على النحو التالي:

أمينة:

> تكافل الناس كان كبير كبير، الحراك الوطني كان عالي، وترتيباته عالية، انضباط الناس للحراك الوطني كان عالي، بتحسي مبدوش جهد امني لحتى يزبط مسارها، الشعار عالحائط مجرد حائط والناس تنضبط فيه، اليوم في اضراب، الناس تنضبط فيه، بدو يغير ويكتب اشي جديد نتفة بوية يمحى القديم ويكتب الجديد، صححوا كتير مسارات لا ارادي، اليهود طبعا كانوا يعجبوا، البيت اللي بفتوه يعني يحطوا السكر عالكاز شو يعملوا الاشيا اللي بتزبطش يحطوا الكاز عالمواد الغذائية، او الملح عشان ما تستفيدي منه، ويدخلوا عالناس ويضربوهم يمنعوا التجول، ويطلعوا الناس عالساحة تحت المطر تحت التلج، يضربوا الكبار في السن، النساء، دور المرأة الفلسطينية في الانتفاضة كانوا النساء وقت ما يقدروا الرجال يجيبوا اشي يجيبوا من برة المخيم، النساء تخلّص اهل البيت والشباب من ايدين اليهود ويحموهم، تطلع مظاهرة تكون النساء مع الرجال، بعطوهم دفعة ليكونوا بهمة قوية، الانتفاضة كان الها دور والغرب ما تحرك الا لما شاف اليهود بخطر، حسوا انه لازم يعملوا اشي ووعود سياسية وتدخل قوى عظمى، مثلا عملوا اوسلو هي بداية نهاية الانتفاضة، اعتقد العرب انه كانوا يحاولوا يحصلوا على شيء عالارض ومن بعدها ينطلقوا بس اليهود ما بتنضبط بكلمتها وما بتنفذ الا لمصالحها.[120]

[120] أمينة، 52 عام، (قرية وادي حنين)، تاريخ المقابلة: 2014/6/22.

أظهرت أمينة عدّة محاور، فحجم التنظيم والتخطيط لإيصال الرسائل للناس من قبل الشباب المنتفض والذي كان يعتمد على كتابة الشعارات على الجدران، والتي كانت كفيلة بتوحيد الصفوف والانضباط لما هو مكتوب، من جانب آخر تناولت سياسة الجيش الصهيوني في قمع اللاجئين داخل المخيم، فاقتحام المنازل والعبث بمحتوياتها، وإتلاف المواد الغذائية، كما عملت على فرض حظر التجوال على السكان، ومنعهم من الخروج من منازلهم، وكانت الفترة تطول وتقصر تبعاً لأوامر عسكرية تعلنها دوريات الاحتلال التي كانت تجوب الحارات، أشارات أمينة أيضاً لدور النساء الفلسطينيات في الانتفاضة، والذي تمثّل في مشاركتهن بالمظاهرات، ومساندة الرجال والوقوف إلى جانبهم، وتأمين احتياجاتهم التي يصعُب على الرجال الوصول إليها، فتتكفّل المرأة هذه المهمة، كما أنها كانت تقف في وجه جنود الاحتلال لتخليص الرجال والأطفال من أيديهم عند اعتقالهم. أشادت أمينة بدور الانتفاضة على الساحة الدولية والتي دقّت ناقوس الخطر الذي يباغت الكيان الصهيوني، وكيفية إخماد الانتفاضة بعقد اتفاقية أوسلو.

أما أماني فقالت :

> كل شي كان افضل من اليوم كان في ترابط اكثر، كان في النساء الهم مساهمة في الانتفاضة، الكبير الصغير الصبايا والشباب، بعرفش بس نمط الحياة تغير، يمكن هو التقدم، قبل الانتفاضة الاولى كان فيه عمليات اللي كان يقوم فيها فدائية مرة في تل ابيب مرة في ايلات مرة في حيفا مرة في القدس، اللي يقوموا فيها هم المنظمين داخل المنظمة، بس بالانتفاضة الناس كلها حست بالمسؤولية نتيجة الاضرابات واغلاق المحلات والاضرابات صارت شعبية وعامة عجميع الناس، الانتفاضة الأولى كانت شعبية وتلقائية اكثر بعدين صارت تتحرك بتوجّهات معينة اما الانتفاضة الثانية حققت اشياء في السنة الاولى بس الناس ملّت لانه المعاناة زادت بسبب اغلاقات الطرق، والناس ما صدقوا انها تخلّص لترجع لحياتها بشكل طبيعي.[121]

كان التكافل الاجتماعي السمة الأساسية التي كانت حاضرة في الانتفاضة الفلسطينية الأولى حسب أماني، فالترابط بين أهالي المخيم كان واضحاً، عدا عن دور النساء ووقوفهن بجانب الرجال، أما حول أسلوب المقاومة فكانت العمليات الفدائية التي يتولاها القائمون بمهام منظمة التحرير، ولم تقتصر على جهة معينة بل كانت شعبية وتلقائية، وكان الترابط ظاهراً في الخضوع لأوامر الإغلاقات والاضرابات التي كانت تُنظّم. أجرت أماني مقارنة سريعة بين الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وانتفاضة الأقصى عام 2000، إذ أشارت إلى عدم تقبّل الناس للانتفاضة الثانية، والتي لم تحقق أهدافها.

وقال رمضان:

> المخيمات لانها بتعيش حالة فقر فش اشي يخافوا عليه، فش حرص ومراقبة من الاب، فش بيت اصلا يقعدوه فيه، شو الولاد كانوا يسوه بتسلوا مع الاحتلال وبراجم عليه بشوفها بطولة شب سجورت، هو قنعان انه هاذ احتلال بقهر بهاليهودي براجم عليه بالشوارع، وبنكل فيه عالحواجز، وبنسجن ابوه وبشفوش فترة طويلة بحكم ظالم، الانتفاضة خلقت حالة عنّا إنه احنا قادرين نوقف ندّ قدام هاذ الجندي، بنقدر نقهره،

[121] أماني، 48 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/8/30.

خلقت فينا شعور انه احنا قادرين نواجهه، الشعب الفلسطيني وجد انه لازم يعتمد على نفسه في وجه الاحتلال، هذه من اهم الامور اللي خلقت حالة ثورية عند الناس، وهذه هي اللي ادت انه يصير في كتائب ابو علي مصطفى، وكتائب القسام وشهداء الاقصى، اللي ادت متل ما انتي شايفة اللي خلت غزة توقف بوجه الاحتلال اكثر من مرة وقت تعرّضت لهجوم من قبل الاحتلال. اذا بدي اقارن بين الانتفاضة الاولى وانتفاضة الاقصى في الاولى كان الكل مشارك فيها كان فيه سلطة واحدة سلطة الاحتلال في مواجهة الجميع، أما انتفاضة الاقصى2001 المعادلة اختلفت صار فيه قوات جديدة في البلد غير قوات الاحتلال، هذه على مزاج المسؤولين اذا بدهم يكملوا فيها او لا، ووقت ما بدهم يكملوا فيها لا بد من كل الناس اللي بدهم يواجههوا ينقعموا فأصبح اللي بدو ينتفض ويقاوم بدو ينقمع من الاحتلال ومن الاجهزة الامنية ويواجه سلطتين، فليس بمقدوره ذلك، اختلف شكل الانتفاضة من انتفاضة شعبية واسعة، الى انتفاضة على مقاس وامزجة الحاكم.[122]

أضاف رمضان من خلال روايته المكاسب التي حقّقها الشعب الفلسطيني من خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى، إذ من خلالها استطاع الشعب الفلسطيني إثبات وجوده، وأنه قادر على المواجهة مع الاحتلال الصهيوني، والتي تمثّلت بالمقاومة الشعبية التي قامت على إلقاء الحجارة من قبل الأطفال والشبّان الفلسطينيين، مقابل أسلحة قوت الاحتلال الفتّاكة، كما كان من نتائج الانتفاضة أيضا بروز الأحزاب السياسية على الساحة الوطنية الفلسطينية، بعدما كانت منظمة التحرير هي المحرّك لها، والغريب أن المبحوثين بشكل تلقائي يقومون بإجراء مقابلة ما بين الانتفاضة الأولى والانتفاضة الثانية، فقد أشار رمضان أن الانتفاضة الأولى كانت واضحة الأهداف ومحددة، بخلاف الانتفاضة الثانية التي كانت عائمة، ومسيّسة أكثر من كونها انتفاضة ذات أهداف ومطالب واضحة، وضد عدو موحّد.

وقالت صبحية:

الانتفاضة الاولى: كان الها ايجابيات، فعلا هي اللي حركت العالم ونبهتهم لقضيتنا، يعني في عالم بعرفوش وين بتوقع فلسطين، يعني اختي راحت عالسعودية بسألوها انتي من وين حكتلهم من فلسطين حكولها وين قلتلهم انا من الاقصى الاسراء والمعراج، معرفوهاش، مخيم الجلزون كانوا يسمّوه مخيم الصمود في الانتفاضة، كان كتير في منع تجول، 40 يوم امنع عنا التجول وكان اول يوم برمضان. الانتفاضة أظهرت انه في شعب لاجئ اجبر على ترك ارضه وتعاطف الدول معنا. كانوا الشباب اخوتنا يمنعونا نسكر باب الدار، لانه الشباب الفدائية وقت يمرقوا ويكونوا هاربين من اليهود يدخلوا عأي دار، ياما تخبوا شباب عنا في الانتفاضة، وكان النا اخ جريح كنا نخبي من اليهود عند جيراننا بالليل والصبح نرجعه.[123]

اتفقت صبحية مع كل من أمينة وأماني في روايتها حول الإنتفاضة الأولى، فتمحور حديثها حول أهمية الإنتفاضة على الساحة الدولية للشعب الفلسطيني، فهي التي حملت صوت الشعب الفلسطيني إلى العالم، كما تحدّثت حول سياسة

[122] رمضان، 62 عام،(قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[123] صبحية، 50 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/15.

الاحتلال في فرض حظر التجوال، والتكافل الاجتماعي الذي كان طاغياً، فحماية الشبّان وتأمينهم كانت مهمّة أي أسرة يلجأون إليها، وهذا يعني مدى الوحدة التي كانت متواجدة بين أبناء المخيم.

يظهر أن تفاعل الجيل الثاني مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى كان أقوى من تفاعل الجيل الأول الذي اقتصر على سرد الحدث، وإن كان قد لحقه الأذى بفعل الممارسات الصهيونية، إلا أن أبناء الجيل الثاني كانوا مشاركين فاعلين في الانتفاضة، ومدركين لآثارها، فكانوا هم ممن عاشوا تجربة الانتفاضة، تماماً كما كان أبناء الجيل الأول قد عاشوا تجربة حرب النكبة، إلا أن الفارق بينهما مدى فاعلية كل منهما خلال فترة وقوع الحدث، ويظهر أيضا أن التفاعل الشعبي لم يقتصر على الشباب دون الإناث، بل كان دور النساء واضحا جدا في قدرتهن على تخليص الشباب من أيدي الجيش وكنّ أيضا بمثابة برج مراقبة للشباب وتأمين الطريق لهم، وتأمين الحجارة أيضا، ودخلت العائلة الفلسطينية بأكملها في هذه الهبّة الشعبية، فكان تأمين الشبّاب وحمايتهم تتم عبر منازل أهالي المخيم، فيقوموا بحمايتهم والتستّر على وجودهم لحين زوال الخطر، كل هذا التلاحم الشعبي أفرز نوعا من الافتخار والاعتزاز بالهوية الفلسطينية، التي استطاعت أن تهزم الجندي الذي لا يُقهر، وأن تذيقه خسائر ولو بسيطة بالحجر الذي قامت عليه هذه الانتفاضة.

نلاحظ من جميع مما سبق أن الانتفاضة عملت على خلق هوية وطنية موحّدة، والتي تشكّلت من خلال التهديد الذي تعرّض له الفلسطينيون على يد القوات الصهيونية، والتي أتت بصورة هبّة شعبية محدّدة الأهداف.

2.9.2 اتفاقية أوسلو (1993م):

أجمع كافة المبحوثين من أبناء الجيل الثاني أن اتفاقية أوسلو قد أضرّت بالقضية الفلسطينية، وبالهوية الفلسطينية، فهذه الخطوة لا تتناسب والمشروع الوطني الفلسطيني الجمعي المتمثل بحق العودة، فكانت آراؤهم على النحو التالي:

أماني:

> ولا مرة خدمت قضية اللاجئين، بشكل عام الناس استقبلت اوسلو بفرح، وفي ناس احتفلوا وانبسطوا واللي ضد اوسلو تذمّروا واستاءوا من فرح الناس فيها حتى.[124]

رمضان:

> كوارث، انا عشان اعطيك رأيي بدي اعطيكي مثال احنا في ال 2014 مش قادرين ننفذ ولا اشي من اللي اتفقوا عليه في 93، ولا شيء تنفذ، الاحتلال بكتب ع ورق، وكل الاتفاقيات شفوية ما بلزموا حالهم بشي، بعد 21 سنة ماذا نفذ مما اتفق عليه، وانا بدي اسأل اللي وقع، ماذا نفذ الا الجانب الامني، المشكلة

[124] أماني، 48 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2014/8/30.

الشعب الفلسطيني ما بقرأ يعني هذه الاتفاقية ضد حق العودة، وقت اجت اوسلو قطاع كبير رحّب، صار اللي يراجم عالدورية يروح يحط عليها غصن زيتون، اصبحت اجهزة قمعية، كل الناس اللي كانت تقاوم صارت تشتغل في الاجهزة الامنية.[125]

أبو مظفر:

أوسلو أجت وعملت على تمييع القضية، يعني صار في عندك تخيير إما نرجع أو نتعوض، بس في اشي اهم من اي اتفاقية او قرار حتى لو كان دولي، وهو ارادة الشعب، واحنا بنشوف انه الشعب الفلسطيني حتى لو تم تمييع القضية فهو متمسك بأرضه، ومؤمن بحق العودة، لهيك بتشوفي الاجيال الصغيرة كلها بتكون تراجم عالجيش بأبسط اشياء اللي هو الحجر، هذا الجيل عارف انو مسقط رأسه مش المخيم، اسألي اي ولد من وين انت؟ بحكيلك انا من عنابة، انا من السافرية، يعني ارادة الشعب اقوى من الاتفاقيات، بالرغم من انها أضرّت بالفلسطينين، والحروب اللي بعملوها اليهود كل فترة والثانية بتخلّي الفلسطينين يطالبوا بالجديد وينسوا القديم، يعني بال 48 كانوا يطالبوا بالعودة لفلسطين، وبال 67 صاروا يطالبوا بالضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء، وهلأ بطالبوا بدولة بما تبقى من الضفة الغربية وغزة، واليهود اصلا قالوا انه لن تقوم دولة إلا في غزة، وبوسعوا عليهم جزء من سيناء، وهذه خطة ممنهجة من زمان. [126]

نلاحظ من خلال رواية المبحوثين من أبناء الجيل الثاني الفرق الواضح مقارنة بالجيل الأول، إذ غلبت على روايته الطابع التحليلي والتعمّق في الآثار التي نتجت عن اتفاقية أوسلو على أرض الواقع، بالإضافة لإجماع كافة المبحوثين من أبناء الجيل الثاني على مساوئ اتفاقية أوسلو، مستعرضين آثارها السلبية على القضية الفلسطينية، بصورة نقدية، والتي كانت نتيجة ملامسة الآثار التي تمخّضت عن الاتفاقية، مؤكدين في الوقت ذاته أن الشعب الفلسطيني متمسّك بهويته الوطنية الفلسطينية، ومتمسّك بحق العودة رغماً عن كل الاتفاقيات التي أُبرمت.

نستخلص من روايات الجيل الثاني أن الهوية الفلسطينية قد تبلورت إلى قضية جماعية، بفعل انتقال الرواية من الأجداد إلى أبنائهم، مع بروز الجانب التحليلي السياسي الذي غلب على روايتهم، فتعاملوا مع حرب النكبة وما تلاها من أحداث كرواية سياسية، فالذاكرة الفردية وغياب التمثيل السياسي، أدى إلى خلق إطار جمعي أو جماعي، والذي يطلق عليه "السمة الاجتماعية للتذكر الفردي" وهي السمة التي تحدّد الأطر المرجعية للتذكر الفردي سواء انتمى عالم التذكر هذا إلى الماضي على اتساعه أو التاريخ أو التراث أو الذاكرة المقدسة فهي تؤسس لهوية اجتماعية وتضمن سيرورة المجتمع وتصنع له هويته.[127]

10.2 الهوية ما قبل حرب النكبة حسب الجيل الثالث:

[125] رمضان، 62 عام، (قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[126] أبو مظفر، 67 عام، (قرية عنابة)، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.
[127] عبد الرحيم الشيخ. **الهوية الثقافية الفلسطينية "المثال" و "التمثيل" و "التماثل".** 110.

اقتصر حديث أبناء الجيل الثالث حول طبيعة المعيشة القروية على معلومات بسيطة جدا، مع تباين الروايات بين أبناء الجيل الواحد تبعا للعديد من الأسباب التي ساهمت في إثراء معلومات البعض دون الآخر من المبحوثين، كوجود الأجداد والاستماع إلى حديثهم، وكذلك التربية الأسرية التي تسعى إلى ترسيخ وجود فلسطين التاريخية في أذهان الأجيال الصغيرة، لم يتمكّن المبحوثون من الجيل الثالث من الحديث حول العديد من جوانب الحياة الأخرى كما تناولها الجيل الأول والثاني، إلا أن المختلف لديهم كان في تناولهم لحرب النكبة كحدث مستمر، ينعكس بشكل يومي على حياتهم ومخيلتهم فالمكان وإن كان بعيدا، فإنه يظلّ حقاً من حقوقهم ولن يتنازلوا عنه، وكانت رواياتهم حول فلسطين قبل حرب النكبة على النحو التالي:

تحدّثت نرمين حول ما وصل لها عن بيت نبالا قبل حرب النكبة فتقول:

> ما بعرف عن حياة البلد كثير أصلا، لاني مش كثير عشت مع ستي وسيدي، ماتوا وأنا صغيرة، بس بعرف بالمدرسة كانوا دائما يورجونا اياها وكانوا يحثونا نروح عليها، كمان بعرف انه سيدي كان يرعى الغنم وإلخ.. وأديش كانوا يفتخروا إنه عندهم أراضي وكيف كانوا يحكولنا عنها بشغف عأساس هاي الكم هم بالنسبة إلهم انهم إزا ما عاشوا ورجعوا انه احنا راجعين إلها.[128]

نلاحظ أن رواية نرمين تناولت الأرض بشكل بسيط جدا، وافتخار أجدادهم بامتلاكها قبل وقوع حرب النكبة، والأمل الذي زرعوه في أحفادهم بالعودة لتلك الأرض مهما طال الزمن.

أما رواية شريف والذي تناول فيها أهمية رواية النكبة من الأجداد وتناقلها من الآباء إلى الأبناء والأحفاد:

> الذاكرة والتاريخ بدأنا نفتقد لها بغياب جدودنا كانوا هم يحكولنا طبعا كان ايجابياتها كانت ترسخ بوعينا مسألة النكبة مش هاي بلادنا، رواية سيدي حمل والدته من اللد لمنطقة بيرزيت وبعدها توفّت، أنا قدرت إني أكتسب هذا المشهد كيف ابني ممكن يعلق بذاكرته هون سوال كبير حول مسألة الانتماء لفلسطين، الصورة والمكان تؤثر بالإنسان وكيف بتعامل مع الشيء، تصبح الذاكرة مختلفة حتى الرواية مختلفة، مثلا ايام رمضان وقت تحكيلنا اياها ستي في اللد وايام اللد غير عن ابوي لما يرويلنا اياها لانه ما كان واعي، لكن فكرة الهوية المظلة العامة لا تختلف لفلسطين للد للنكبة للصراع للاحتلال، وجود الاحتلال هو يغذي الذاكرة، بقدر احكيلك حول طبيعة معيشتهم انهم كانوا يعيشوا على الزراعة على البيادر والحصيدة، انا مرة سألتهم سؤال كيف كانوا يخزنوا اللحمة، طلعوا كانوا يحطوها بزير بالأرض ويعبّوها كلها لحمة ليفرغوها من الهوا ويحطوا اللية على وجهها لأنها بتسيح وبتتمدد، هاي الاشياء كانت تستوقفني كيف يحافظوا على المأكولات على الطبيخ كان عندهم طرق خاصة يحافظوا من خلالها عليها، سيدي كان عنده مصنع طوب كان ملاّك، وكانوا يقولوه المدير كونه جميل، بعرف متلا عن الزي كان العباية للنساء، والبنطلون والقميص ومنهم القنباز

[128] نرمين، 21 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2014/6/28.

والدماية، عن المدارس بفترض فيه ولكن لم يخطر ببالي أسأل، هاي المعلومة مش عندي ما خطر ببالي أسأل.[129]

أشار شريف لطبيعة المعيشة التي كان يحياها أجداده في مدينتهم اللد قبل حرب النكبة، والتي كانت تعتمد على الزراعة، في الوقت ذاته تحدّث عن أن آلية انتقال الرواية من جيل عاش التجربة لجيل آخر تكون أكثر استمرارية ومصداقية، كونها تحمل وجع الراوي، وآلامه التي تنبثق أثناء حديثه، إلا أنه أكّد على أن وجود الاحتلال يغذي الذاكرة، وبالتالي يجعل من حرب النكبة حدثا مستمرا، مشددا على ضرورة انتقال الرواية بين الأجيال، وضرورة اهتمام المؤسسات ومراكز البحوث بهذا الجانب. أظهر شريف دور الفرد في الحصول على الرواية، فكان يتساءل حول العديد من الأمور والتي كان يلقى لها جواباً، في حين غابت عنه بعض الجوانب ليسأل عنها.

رواية نورة فكانت حول طبيعة معيشتهم:

حياتهم تعتمد على الزراعة وكانوا النسوان يساعدوهم، يحصدوا وينقلوا هذه الثمار وهذه الاشياء، وكل حياتهم بسيطة عالنار يطبخوا، وطبخاتهم محدودة وبسيطة، الأعراس ما كان العريس والعروس بعرفوا بعض.[130]

تناولت نورة طبيعة حياتهم الزراعية بسطحية وبساطة، مشيرةً إلى دور النساء في الحياة اليومية، والمهمات التي كانت تُلقى على عاتقها، بالإضافة إلى تطرّقها للأعراس والتي ركّزت على الزواج التقليدي، والذي كان سائداً، نظراً لعدم اختلاط النساء بالرجال.

تعمّقت ربى في حديثها حول الزفاف والمراسيم المتّبعة لإتمامه فكانت روايتها:

كانت تقعد اسبوع مش يوم أو يومين، وتحضيراتها وفق العادات والتقاليد، الخطبة والطلبة حتى الناس لما تهجّرت تغلبت لما بدها تجوز ابنها كل واحد يمشي على عاداتها، بتذكروا اهلنا من زمان التعاون كان ميزة، الكل يعاون اهل العريس، احنا عنا في بلدنا كل شي عأهل العريس، بساعدوهم في التمويل، النقوط يمكن كانوا يعملوا بالجامع، الزفة عالخيل، جهاز العروس ينزلوا عاللد او عالرملة، وهني يخيطنّو، كان في خياطات في البلد، ملان أغاني يغنوها بالعرس، الحنة الها اغاني والعرس اله اغاني، السامر عند الرجال الها اغاني، والجميل انه كانت تتناسب مع الشخص. البدّاعة هي اللي بتطلع الاغاني من عندها، اي مناسبة بتطلعلها اغاني من عندها، صح في شكل ونمط معين ولكن الكلمات بتبدع هي من عندها، يعني بدي اعطيكي من فترة قريبة انه مثلا:

يا ماخذة الفدائي ولا يهمك ميتين شب مسلح في دار عمك
يا ماخذة الفدائي يا حلالك ميتين شب مسلح في دار خالك
وبعد الهجرة حولوها الناس وصاروا يقولوا:
يا ماخذة النبالي ولا يهمك ميتين شب مسلح في دار عمك
يا ماخذة النبالي ويا حلالك ميتين شب مسلح في دار خالك

[129] شريف، 36 عام، (مدينة اللد)، تاريخ المقابلة: 2014/7/20.
[130] نورة، 21 عام، (قرية البرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

مثلا فيه اغاني عرفتها من نوال الله يرحمها، حكتلي انه وقت يتقاتلوا ويتطاوشوا اهل بيت نبالا في بعض ايام العهد العثماني، ويروحوا يشكوا على بعض يصيروا يقولوا :

نزلنا عالسرايا في الوقايا نسند حظ اهالينا في الشكايا

ولما يتقاتلوا اهل بيت نبالا يقولوا:

لمون يما لمون حامل على امه تعاريف ولما طردناهم وصلناهم دير طريف".[131]

نلاحظ أن التكافل الاجتماعي كان حاضراً في العديد من المناسبات، ففي الحصاد كانت العائلة الواحدة بكل أفرادها تتعاون لإتمام الحصاد، أما في مراسيم الزفاف كما كانوا يتجمّعون لفترة سبعة أيام أو أكثر ابتهاجاً بالمناسبة، وكانت النساء يجتمعن ويبدعن في الأغاني المخصصة للزفاف، وكذلك الرجال الذين كانوا يرددون وراء السامر، وهو الذي يقول الغناء والسمر، ليطرب الحاضرين، وقد تحدّثت ربى أيضاً عن بعض ما وصلها حول المراسيم التي تسبق الزفاف، كالمهر، وجهاز العروس، وغيرها من المستلزمات، ويظهر أن اعتمادهم كان على المدن لإتمام هذه الأمور، اللافت للنظر أن الأغاني التي كانت تغنّيها النسوة في يوم الزفاف كان يعبّر عن افتخار العائلة بزواج ابنتهم من شاب فدائي، وهذا دليل على وجود مقاومة، إلا أنه وبعد الهجرة والوصول للمخيمات، وإقامة حفلات الزفاف، تغيّرت كلمة الفدائي لتصبح بالرجوع للقرية التي هُجّروا منها، هنا تظهر الهوية الجديدة التي انبثقت عن نتاج الهجرة، وكيف أصبح اللاجئ يبحث عن مسمى جديد ليحتمي به، فذهب للمظلة الأكبر من ذاته، واحتمى بأهل قريته.

أضافت ربى طريقة الخلافات والنزاعات التي كانت تتم بين أهالي قرية بيت نبالا، والتي كانت تنتهي بالوصول إلى السرايا زمن الحكم العثماني، وتقديم الشكوى، وقد تصل إلى الطرد إلى قريتهم دير طريف، ونستدل على قرب تلك القريتين من بعضهما البعض.

نستنتج ما سبق عدم إلمام المبحوثين بطبيعة الحياة قبل حرب النكبة، وعلّلوا ذلك لعدم وجودهم مع أجدادهم في المنزل ذاته، الأمر الذي يجعلنا نفهم أهمية العائلة الممتدة التي كانت سائدة في المجتمع الفلسطيني، ونفهم لماذا وصلت رواية الجيل الأول للجيل الثاني بسهولة، كما أن فقدان الأجداد ووفاتهم شكّل عائقاً آخراً أمام وصول الرواية للجيل الثالث، إلا أننا نتساءل هنا عن دور الجيل الثاني من نقل الرواية، وأين هو القصور؟، وعلى من تقع المسؤولية؟ هل أنها مسؤولية الجيل الثاني وحدهم بمعزل عن الجيل الثالث الذي لا بدّ له من أن يطرح أسئلته هو الآخر؟. لا بد من الإشارة إلى أنّ

[131] ربى، 42 عام،(قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.

بعض المبحوثين من أبناء الجيل الثالث استطاعوا أن يتناولوا الحياة ما قبل حرب النكبة، إلا أنّ هناك بعض الأسباب التي لعبت دوراً هاماً في تمكّنهم من ذلك، وأبرزها المستوى التعليمي، والاهتمام الشخصي بالقضية الفلسطينية بشكل عام، وقضية اللاجئين بشكل خاص.

في الختام إن أردنا أن نُجري مقارنة بين رواية الجيل الثالث، ورواية الجيلين الأول والثاني، فإننا نجد بعض الاختلاف، من حيث التمّكن في السرد، والإلمام بالمعلومات، وهذا يعود لاستمرارية الرواية والشرخ الذي اعترى مسيرتها، نتيجة فقدان الرواة، وضرورة التركيز على دور الجيل الثاني في نقل الرواية بين الأجيال، وحثّ الأجيال المتلاحقة على التساؤل حول ما حدث للفلسطينيين، وكيف كانت حياتهم قبل وقوع حرب النكبة، وما هي النتائج التي ترتّبت على وقوعها؟.

11.2 حكاية حرب النكبة "الرواية" حسب الجيل الثالث:

1.11.2 عوامل الخروج:

حمّل غالبية أبناء الجيل الثالث مشاعر اللوم والسخط على أجدادهم الذين وباعتقادهم أنهم تركوا مدنهم وقراهم وهربوا في ظل جهل وتعتيم كان يُخيّم عليهم، وقلة إدراكهم بأن ما يحصل ما هو إلا عمل منظم ومخطط من قبل الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية، وقد ركّز أغلب المبحوثون على أن خروج أجدادهم كان بفعل تهديد وقع عليهم، فالمجازر التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية، والأعمال العدوانية التي كانوا يمارسونها بحق الفلسطينيين والنساء والأطفال في مدنهم وقراهم، أرغمتهم على الخروج بحثاً عن النجاة من الموت، فيما راح آخرون إلى الحديث عن دور الاشاعات في بثّ الخوف في نفوس الفلسطينيين، وخروجهم تحت وطأة الخوف على أطفالهم ونسائهم من الاغتصاب، فكانت روايتهم كالتالي:

شريف:

> مسألة الخروج نحن كجيل عنا لوم كيف خرجوا وتركوا ولكن نحن نأخذ الرواية منهم وكذلك من برنامج التاريخ الشفوي والحديث حول التاريخ لفلسطين وقضايا اللاجئين وموضوع النكبة كان هناك عمل منظم ومخطط من قبل الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية من أجل تهجير السكان الهدف منها عملية نزوح للسكان الفلسطينيين من اجل احلال اليهود، وقت تركوا اللد الروايات تشير الى أنه كانوا يريدوا إحداث مجازر من أشهر المجازر مجزرة جامع دهمش ورواية أخرى لا بد من التحقق منها اذكر في بعض المهرجانات في مخيم الدهيشة كان هناك عملية التهويل للاعمال الصهيونية وكان الحديث يدور حول المخاتير ولكن لا نستطيع ان

نظلم جهة معينة كوننا نتحدث عن تأريخ وهذا كان يسوى انه المؤسسات والجهات المسؤولة انه تبحث فيه.[132]

نورة:

هجموا على البلد وطلّعوا اشاعات إنه رح يقتلوا النسوان ويغتصبوا البنات، وطبعا حملوا مفاتيح البيوت لحتى يرجعوا، اولها بلشوا اشاعات تمس الشرف لانه بعرفوا العرب عندهم الشرف اهم من كل شي، بعدين صاروا ينفذوا للي ما طلع، طلعوا عشوائي الناس وأخذوا المفاتيح عأمل يرجعوا،طبعا مسؤولية اللي صار بتتحملها الدول العربية لانهم ما ساعدونا وكانوا يحابوا بريطانيا.[133]

سديل:

قبل ليطلعوا كان فيه مؤشرات، اليهود يعملوا عمليات عشان الناس يحملوا اغراضهم واولادهم ونسوانهم، فيه ناس بحكوا انه صاروا يعملوا اشاعات بس انا بشوف إشاعة ولا هجموا عليهم نفس الفكرة الناس رح تضطر تطلع.[134]

ربى:

انا بدي احكيلك على الجانب الشعبي، الناس كانت خايفة يصير نكبة خاصة بعد ثورة البراق، عشان هيك في ثورة البراق هاجمو المستوطنات فيه مستوطنات فرغوها بشكل كامل، بس تدخل الجيش البريطاني والضغط اللي كان عليهم والقمع المتزايد هو اللي وصلنا لهالوضع، كمان شغلة الناس كانت تحاول تدافع عن حالها، يعني يبيعوا البقرة، يبيع ذهبات المرة يشتريلو قطعة سلاح، يروحوا يتدربوا هيك بالجبل، تدريبهم كان كثير بسيط، في بعض الشباب التحقوا بالجهاد المقدس، الناس العاديين قدروا يقفوا قدام المشروع الصهيوني الي حد ما يعني في حرب ال 48 خاصة في المرحلة الاولى خط المواصلات اللي رايح عالقدس سكروا الناس وانخنقوا المستوطنين خنق، لولا صارت الهدنة، وصارت المؤامرة علينا وانفتحت الطريق، كمان شغلة شباب كانوا يقاوموا في العباسية وانقتلوا، وناس في رنتية، وانقتلوا، في روايات عن شباب من العباسية كانت رايحة تجيب اكل وانقتلت، كان وراهم الجيش الاردني، فالناس صارت تتناقل ليش انسحب الجيش الاردني اتخذوا على منطقة وارتشوا.[135]

نلاحظ مما سبق من روايات المبحوثين من الجيل الثالث حول عوامل الخروج، تركيزهم العالي على وجود خطر، والذي كان متمثّلا بالمجازر التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية، وهذا ما أجمع عليه أبناء الجيل الأول والثاني، إذ تحدّثوا

[132] شريف، 36 عام، (مدينة اللد)، تاريخ المقابلة:2017/7/20.
[133] نورة، 21 عام، (قرية البرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.
[134] نورة، 21 عام، (قرية البرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.
[135] ربى، 42 عام،(قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.

حول وجود مجازر تمّت بحقّ الفلسطينيين، وكذلك الترويع الذي كان ينتشر من خلال الإشاعات التي كانت تحدّدها الحركة الصهيونية لدبّ الرعب في قلوبهم.

يتحدّث صالح عبد الجواد في مقالته "المذابح الإسرائيلية خلال حرب 1948 وخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين" حول مقاربتين لتفسير الرحيل، والذي يوحّد بينهم وقع الخوف والرعب من الإسرائيليين كقاسم مشترك: الأولى تعزو الرحيل لهول الفظائع والجرائم (براديم الطرد)، أما الثانية: فتعزوه لخوف غير عقلاني نجم عن دعاية مبالغ فيها حول الفظائع الصهيونية (براديم الهروب)، وعليه يقول أن المذابح كانت السبب الرئيسي للرحيل، فبراديم الطرد يقول أن الفلسطينيون رحلوا ليس لأنهم شعب جبان في عقله وسواس الإشاعات المضخمة، بل لأن عشرات المذابح ارتكبت في إطار حرب نفسية ضارية، فالمذابح ظاهرة عامة تعرضت لها قرى ومدن وتجمعات بدوية التي تتّفق الوثائق العسكرية الاسرائيلية (التي بدأ يتم بنزع صفة السرية عنها) مع روايات الناجين في تأكيد ما قاله أرييه يتسحاقي: "ما من قرية احتلها الجيش الاسرائيلي وبقي فيها إلا وفاحت رائحة المذبحة".[136]

2.11.2 الجهات المتآمرة والداعمة:

اختلف المبحوثون في تحديد الجهات التي تتحمّل مسؤولية النكبة التي حلّت بهم وبأجدادهم، فمنهم من صنّفها بأنها مؤامرة دولية وراح آخرون إلى اعتبارها مؤامرة عربية، في حين اعتبرها آخرون أنها خطة صهيونية يتحمل الجانب الصهيوني مسؤوليتها، أشار بعض المبحوثين إلى جهل اللاجئين وتطور الصهاينة وعدم تكافؤ القدرات الأمر الذي جعل من عملية التهجير أمرا واقعياً، فكانت روايتهم على النحو التالي:

أماني:

> المسؤولية في ناس بقولوا مؤامرة دولية، وفي ناس بقولوا الدول العربية، بالنسبة الي بحكي انه هي اسباب مجتمعة مع بعض، في مؤامرة عالمية، وتنفيذ وعد بلفور، وفي الجهل والفقر، يعني في ناس لما احنا كنا نلوم الكبار بالعمر ليش تطلعوا وليش تردوا عليهم كان دافعتو عن البلد، فكانوا يقولوا انه ما كان عندهم سلاح ابدا لانو الفترة اللي كانت قبل الانجليز كانوا يجو ويفتشوا البيوت واللي يلاقوه عنده قطعة سلاح يقتلوه، وكمان الاشي اللي نشروه حول الاغتصاب وانتهاك الشرف، فهم بدهم يحافظوا على شرفهم فطلعوا.[137]

أعادت أماني في روايتها مسؤولية ما جرى لأجدادها لعدّة أسباب اجتمعت معاً لتشكّل عوامل طاردة للشعب الفلسطيني، فكانت المؤامرة الدولية والعربية حاضرة في روايتها، عدا عن الخوف الذي تملّك أهالي القرى والمدن الفلسطينية نتيجة الإشاعات التي كانت تبثّها العصابات الصهيونية بهدف ترويعهم، وأجبارهم على الخروج.

---

[136] صالح عبد الجواد. **المذابح الإسرائيلية خلال حرب 1948 وخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين**. سلسلة كي لا ننسى جرائم اسرائيل (ع2).من موقع www.pal-monitor.org

[137] أماني، 48 عام،(قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2013/8/30.

نرمين:

المسؤولية بتحملها الجانب الصهيوني فقط لأنه وضع الحرب بكون غير إحنا هلأ بنشوف كيف أهلنا بخافوا علينا، الناس كانت حاسة انه فيه مؤشرات للنكبة بلشوا يجوا اليهود ويشوفوهم بينهم بس ما كانوا يعرفوا انهم يرح يتهجروا فكروهم سيّاح.[138]

حمّلت نرمين الجانب الصهيوني مسؤولية ما جرى، كما أشارت إلى استشعار الفلسطينيين بخطر يداهمهم إلا أنهم لم يكونوا على دراية بأن مجيء اليهود لمدنهم وقراهم ستؤدي إلى استحلالهم للأرض وهجرة أصحابها عنها.

ربى:

كلمة جهل الناس بديش استعملها صدقيني موضوع جهل الناس فيه اشي اعلى من الجهل، المشروع الصهيوني ضخم مش بسيط، بتدعمه قوى عالمية رهيبة احتلت قارات، يعني احنا مش اسرائيل احتلتنا، احنا احتلتنا اميركا يعني مثل ما قلتلك نفسك واربطي اوباما بعيطلي ع 3 جنود والعالم كل يوم مش بس عنا بديش يتعاطف معنا في كل العالم في بلده في اميركا نفسها بموت مئات الناس وحضرته بعيطلي على هذول،المشروع الصهيوني هو مشروع اميركا ومشروع بريطانيا، بدناش نقول جهل الناس، المشروع الصهيوني مشروع عالمي على مستوى دول، اكثر من اي مشروع ثاني،دعمته كل القوى المتنافسة أميركا، فرنسا، بريطانيا، روسيا، ثاني اشي الدول العربية لما احنا انتكبنا كانت معظمها تحت الاحتلال، يعني الدول العربية كان وضعها سيء، اكم دولة كانت شكليا خارج الاحتلال، ملك مصر الملك فاروق في مصر كان ميعرفش يتحرك بدون اوامر وكان فيها احتلال بريطاني، الملك السعودي فش هالقوة العسكرية ولا هالعزيمة وكان فيه اتصالات اميريكية، الاردن اصلا انبنت عأساس قبول المشروع الصهيوني، الجزائر كانت مذبوحة منطقة المغرب العربي كل همها كان في الجزائر احنا نكبتنا مش من اليوم حصيلتها تتوجت في ال 48، احنا نكبتنا من 1840 يوم اتفاقية لندن يوم ضربوا محمد علي باشا ومشروع النهضة، وبعدين جروا الدولة العثمانية وخلصوا عليها، كمان القيادات العربية كانت قيادات مأمورة متخاذلة جدا ولا تصلح اصلا، وكمان مشكلة الثقافة في عنا مشاكل من ثورة ال 36 افرزت مشاكل أدت إلى تفتت المجتمع، القوى والاحزاب والعائلات الفلسطينية انشغلوا بمطامعهم وفتنوا بين الناس، وصار في عنا شق ونفسية الناس تعبت، الناس قعدت من ال 36-39 استنفذت على المستوى الخارجي من قبل بريطانيا واستنفذت من قبل الثوار نتيجة الصراع الداخلي، صار في عمليات قتل لناس ابرياء وسلب حتى ابوي بخرفني عن واحد من عمامه، بقولي بقى جدع جدع انقتل، بقولوا مين قتله، بقولي قتلوه الحرامية، وانا احكي معه طلعوا قتلوه الثوار، هم كانوا وصل فيهم هاد الحكي حكاه سميح حمودة، انه بدهم مش جميعهم بس فئة كبيرة منهم، إنه واحد بدهم يدفع خاوة، لما اجو يقشطوا بعرفوش مين هو، ابوي لليوم بعيط عليه، لانه كاين مميز وسقورت، لما شافوا وهجموا عليه خلص بدهم يتركوا ويروحوا، من كثر ما دماغه ناشف كيف بدهم يقشطوه ويهربوا ويعلموا عليه، إلا بده يقاتلهم، وواحد منهم قتلوا، هون احنا المشكلة انه ما بنحاسب الثوار شو يعني اذا ثوار وفدائية، وكمان فيه

[138] نرمين، 21 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2014/6/28.

ثوار باعوا اراضي لليهود، ما حد بحاسبهم بفكرهم انه بقاتلوا وبرجعوها بأي حق، في خلل كان في إعطاء الأمور حقها.[139]

اتفقت ربى مع أماني بأن ما حصل ما هو إلا نتيجة مؤامرة دولية تدعمها القوى العظمى، مشيرة إلى وضع الدول العربية التي لم يسمح لها بالدفاع عن فلسطين، لأنها بالأساس كانت ترزح تحت الاحتلال بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا يعني أن ربى حمّلت الدول الأوروبية العظمى مسؤولية ما جرى، ومحاباتها للكيان الصهيوني والعمل على دعمه لتشكيل وطن له.

أدهم:

اجدادي طلعوا من البلد كانوا الناس بسيطين، تفكيرهم بسيط، مؤهلهم التعليمي بسيط، حسب ما ذكر وسمعت منهم انهم خرجوا بناء على امل بالعودة، وكان الحديث انه اسبوع شهر زمان وبتعاودوا بترجعوا على بلادكم، انا بحمل المسؤولية للوعي كان يجب يكون فيه وعي اكبر من هيك انه الانسان بموت في ارضه ولا بطلع منها ولا بتخلى عنها هيك الاصل، طبعا الاسرائيليين كانوا دارسين هذا الحكي ووجودهم يعني قبل ال 48 وقدروا يستغلوا هذا الظرف ويستغلوا الوضع اللي كانوا عليه الناس في ال 48 وقدروا انه يضحكوا عليهم ويطلعوهم، طبعا بحمل المسؤولية للجهل والوعي، وطبعا اسرائيل كانوا متطورين عنا بالتعليم وبالتكنولوجيا طبعا كمان العرب بتحملوا لانه كان فيه تقصير من الدول العربية، الانتداب البريطاني كان قبل ال 48 وكان فيه اتفاقيات مع بريطانيا مثل سايكس بيكو، وهي اللي ساعدت الاسرائيليين على اساس انهم يستغلوا البلد ويقدروا يحتلوا مناطق ال 48 من فلسطين.[140]

كان الجهل العامل الأساسي والرئيسي في هجرة الفلسطنيين من مدنهم وقراهم، إذ اعتبر أدهم أن ما جرى هو تقصير وقع فيه أجداده حين هاجروا، وكان اللوم والسخط حاضرا في روايته، وهذا ما يميّز رواية أبناء الجيل الثالث الذين طالبوا وفي أكثر من مرة أجدادهم بالصمود، كما حمّل المسؤولية أيضاً للتطور التكنولوجي والعلمي، والذي لعب دوراً في الهجرة من خلال استثمار الأرض والمحاصيل والتضييق على الفلاحين الفلسطينيين، وإجبارهم على ترك الزراعة لكثرة تكاليفها، والمجهود الذي تحتاجه والذي كان مجهودا يدوياً، مقارنة مع الآلات الزراعية المتطورة التي كان يستخدمها المهاجرون اليهود آنذاك، كما نالت الدول العربية نصيبها في تحمّلها المسؤولية حسب رأي أدهم أيضاً.

نلاحظ مما سبق أن أبناء هذا الجيل قد كوّنوا صورة تجاه الجهات التي تتحمّل مسؤولية ما جرى للفلسطينيين خلال حرب النكبة عام 1948، وقد اختلفوا في نظرتهم عن أبناء الجيلين الأول والثاني، وذلك بحمل مشاعر اللوم والغضب على أجدادهم، بخلاف الجيل الثاني الذي كان مدركا لحجم الإمكانيات التي كانت بحوزة الفلسطنيين، والتي لم تكن تسعفهم للبقاء والصمود، فاضطروا للهجرة بحثا عن الأمان.

[139] ربى، 42عام،(قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.
[140] أدهم، 30 عام،(قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/25.

3.11.2 مسار الرحلة إلى المخيم:

استمرت الرواية في التناقل، من الأجداد إلى الآباء، ومن الآباء إلى الأبناء، حول وصول الجيل الأول للمكان الذي يسكنه حاليا ويعيش فيه أبناء الجيل الأول، والثاني، والثالث، ليكون مؤشرا آخر على حدث استمر وسيستمر، ألا وهو النكبة، فكانت روايتهم:

أدهم:

انا بعرف انهم طلعوا من العباسية واجو عاشوا في عين سينيا وعاشوا فيها لل 52، وكانوا هم وكمان عيلة لاجئين في هذيك القرية، وارادو انهم يعيشوا مع بقية اهل البلد فأجوا عمخيم الجلزون وكان اهل قرية العباسية ماخدين الحارة من جهة الجنوب من المخيم وجلسوا فيها.[141]

ربى:

احنا جينا عالجلزون بعد ال 67 طبعا لانه الناس ظلت بجانب الاشياء اللي بتحتاجها راحو قعدوا في القرى، راحو على عين يبرود، بعدين نقلوا على دورا القرع، في اواخر الخمسينيات اجو عالمخيم، وقعدوا بمنطقة قريبة من المي عشان بقى عندهم غنم طبعا مش نفس العدد لانو اللي طلع بكم غنمة ماتن مظلش الا غنمة او ثنتين، بس وحدة من الختياريات خرفتني إنه حتى وهم طالعين وتوصلوا رام الله والبيرة وهاي المناطق من شدة الحسرة كانن يغنن النسوان ويقولن:

فأرضك يا بيري ونصبنا الشوادر فأرضك يا بيري
وعالتقاديري واصبر يا لاجئ ع التقاديري
فأرضك رام الله نصبنا الشوادر فأرضك رام الله

ع وعد الله واصبر يا لاجئ ع وعد الله[142]

تميّزت رواية أبناء الجيل الثالث بأنها قامت على رواية الآباء والأجداد، وتمكّنوا من الحديث حول مسار الرحلة إلى المخيم، لكنها لم تكن بالدقة التي تحدّث فيها أبناء الجيل الأول، كما نلاحظ أن أبناء الجيل الثالث ركّزوا على الأماكن التي انتقلوا إليها كرام الله والبيرة، بخلاف الجيل الأول الذي ركّز على الأماكن التي انتقلوا منها، وهنا يتّضح لنا الارتباط المكاني بواقع التجربة، والارتباط السردي بواقع العيش، فأبناء الجيل الأول استطاعوا الحديث عن مسار الرحلة بشكل تفصيلي، في حين اقتصرت رواية الجيل الثاني والثالث على ما وصل إليهم من رواية أبائهم وأجدادهم، ومن الطريف أيضا أن أبناء الجيل الأول عملوا على تثبيت مسار الرحلة والمعاناة التي عاشوها من خلال الأغاني التي انتقلت بين الأجيال، ومن الملاحظ أيضا وصول اللاجئين للمدن كالبيرة ورام الله في حالة أهالي المبحوثين، ومن ثم انتقلوا إلى السكن في مخيم الجلزون، وهذا دليل على عدم وجود المخيم إلا بالتزامن مع وجود اللاجئين، والذي أُنشئ ليحتويهم.

12.2 الهوية وفكرة المكان والارتباط بالعودة حسب الجيل الثالث:

[141] أدهم، 30 عام،(قرية العباسية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/25.
[142] ربى، 42 عام، (قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.

تأرجحت أراء الجيل الثالث بين مؤيد لرؤية الجيل الثاني وبين معارض له، فمنهم من أكّد على أن اللجوء لا يرتبط بالمخيم كمكان، وذلك لأننا نرتبط بقضية وليس بمكان، مع الإشارة إلى البيئة التعزيزية التي يلعبها المخيم في نسج حالة من الحنين إلى وطن مسلوب يدعمه وبشكل رئيسي الوجود الصهيوني وممارساته القمعية والارهابية، في الوقت الذي رأى بعض المبحوثين من الجيل الثالث أن مفهوم اللجوء مشوش وأن المخيم يعمل على تهدئة حالة اللجوء، فكانت آراؤهم على النحو التالي:

نرمين:

بشعر باللجوء، مع اني عايشة بالمخيم طول عمري، بس فيه مظاهر تخليني دائما اشعر باللجوء، يمكن المخيم بعززها، ولو بأي مكان رح أشعر باللجوء لأني ما إلي شيء بالمكان اللي انا فيه، مثلا وجود المستوطنة هاي، مدارس الوكالة المصاب عطا بحسسك إنه أنت لسة لاجئ، الزبالة اللي كانت بالشوارع وقت حاولت الوكالة تقلّص خدماتها، المخيم بيزكرك بالقصة دائما، علاقة الناس ببعض صح مش هي نفسها وقت تهجروا ولكن قربها من بعض، احنا وقت كنا عايشين بمنطقة ثانية ما كان عندي مش عقصة اني لاجئ لا ما كان عندي اللي زرعه المخيم الاشي الوطني فييّ إنه انت هون لأنك تهجّرت.[143]

أدهم:

اه طبعا انا كلاجئ بشعر بوضعي اني عايش بمخيم مقتظ بالسكان بطالة عالية موجودة بين ابناء المخيم مساحة قليلة بعيش فيها عدد سكان كبير هذا الامر بيشكل للاجئ الفلسطيني عبء في حياته في متاعبه بتكون كبيرة نقص في التعليم نقص في الخدمات اذا بدنا نخلص من هم اللجوء بدنا نرجع على ارضنا، وين ما طلعت بتضلك لاجئ، في مميزات بتكون لابن البلد غير عن اللاجئ، ابن البلد عنده ارض، عنده مؤهل لحياته المستقبلية، اللاجئ بيكون عنده نقص في هذا الشيء.[144]

ربى:

اللجوء من حيث الالم والحرمان والضياع والتشتت ما عشته لانه كان فترة خروج امي من البلد، انا ما جيت بفترة حرمان، بس اللجوء نشأت عندي كقضية ولو عشت بأميركا رح اظل عايشتها كقضية، في ناس حرموا ويجب عودة حقوقهم الهم.[145]

سديل:

---

[143] نرمين، 21 عام، (قرية بيت نبالا)، تاريخ المقابلة: 2014/6/28.
[144] أدهم، 30 عام، (مدينة اللد)، تاريخ المقابلة: 2014/5/25.
[145] ربى، 42 عام، (قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.

ما بشعر باللجوء داخل المخيم، لانه طول عمرنا عايشين ولا عمرنا شفنا عنابة طول عمرنا هون تعودنا، ومفهوم اللجوء مفهوم مشوش أصلا، يعني المخيم بدو يخليني أحس اني لاجئة، ما انا لاجئة وين ما رحت لاني مش في بلدي.[146]

شريف:

المخيم يهدّي حالة اللجوء، مسألة اللجوء اذا كنت بمكان اخر ما بتتعامل مثل ما بتتعاملي مع الحلقات الضيقة، وبتتوسعي كل ما طلعتي برة، بالحارة بتقولي انا من دار فلان، تطلعي عالسوق بتقولي انا من اللد، برة الجلزون بتقولي انا من الجلزون، برة فلسطين أنا من فلسطين، مثلا بالسفر ولا مرة بقول أنا لاجئ، لكن وقت يكون هناك نقاش حول اللاجئين، فاللجوء غير مرتبط بالمكان أبدا، ولكن بيظل المخيم مكان مؤقت لحالة لجوء مؤقتة لحين العودة.[147]

نلاحظ مما سبق أن غياب أبناء الجيل الثالث عن المكان "فلسطين التاريخية" لم يشكّل عائقاً للارتباط بها، فقد تشكّل المكان الغائب فيزيائياً في أذهانهم من خلال وجود مكان آخر أتى بديلاً عنه، والذي عبّر بعض المبحوثين عن دور المخيم في تعزيز الهوية الوطنية، والارتباط بفلسطين بمدنها وقراها، إلا أنهم ركّزوا في الوقت ذاته أن اللجوء لا ينحصر داخل أسوار المخيم، ولا ينحصر في أي مكان آخر، فاللجوء يكون حاضراً في ظل غياب الوطن الأصلي، وهذا يدلّ على أن اللجوء أصبح قضية يتوارثها الأجيال، ولا يرتبط بالمكان كمكان للجوء، وينتفي بغياب هذا المكان.

هنا يمكننا القول أن الذاكرة المتخيلة للفلسطينين (ولكنها ليست خيالية بالمعنى الأسطوري) بمعنى أن الغياب الفيزيائي عن الأرض لم يشكّل عائقا في ارتباطهم بها، وذلك كون المكان لا يتحدد بالمخيم فقط، ليفرض هوية اللجوء على اللاجئين، وإنما يأتي دور الذاكرة الجماعية في صناعة هوية في أي مكان خارج إطار الأرض التي اقتلع منها اللاجئون الفلسطينيون، ويأتي هذا من خلال الانتماءات للجماعات المتخيلة، وهي جماعات لا تنتمي إليها مباشرة لكن الفرد يتخيل ذاته كجزء منها، ويولدها لنفسه، هذا ما أكّده أبناء الجيل الثالث بأن ارتباطهم بالعودة لن يتأثر وإن كانوا خارج أسوار المخيم، فاللاجئ يظل لاجئا إلا في أرضه، أي أن صفة اللجوء تنتفي فقط في حالة العودة للأرض الأصلية.[148]

13.2 الهوية ما بعد حرب النكبة حسب الجيل الثالث:

1.13.2 الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987م):

لم يلامس المبحوثون من أبناء الجيل الثالث آثار الانتفاضة وانعكاساتها على المخيم بنفس الدرجة، وذلك كونهم يختلفون في تشكّل حالة الوعي تبعا لوقت ولادتهم، فقد تنوّعت شريحة المبحوثون، فكانت الشريحة الأولى من عاصروا الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وقادرين على الحديث حولها بصفة شاهد، والقسم الآخر من وُلد في الفترة التي وقعت

[146] سديل، 23 عام،(قرية عنابة)، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[147] شريف، 30 عام،(مدينة اللد)، تاريخ المقابلة: 2014/7/20.
[148] اباهر السقا، **الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة**، 73.

فيها الانتفاضة، أو بعدها فكان يتحدّث بصفة الراوي الذي ينقل الرواية التي سمعها ممن عاصروا الحدث، إلاّ أنّ ذلك لم يشكّل عائقا لتلك الفئة من البحث والقراءة حول الانتفاضة كجزء من اهتمامهم بمعرفة القضية الفلسطينية، بخلاف الشريحة الأولى التي كان الوعي لديها متشكّل ومتبلور فكانوا أكثر قدرة على الحديث عن تلك المرحلة كونهم كانوا جزءا من التجربة، اتخذت الانتفاضة الأولى مصداقية أكبر عند أبناء هذا الجيل من الانتفاضة الثانية والذين أشاروا إلى انها موجّهة وجاءت بناءً على أجندة سياسية لا تخدم القضية الفلسطينية، وإنما لتفريغ الكبت الذي يعيشه الفلسطينيون لا أكثر.

أجمع المبحوثون على عدّة محاور مركزية مشتركة فيما بينهم، فكانت سياسة الاحتلال بفرض حظر التجوال، والتكافل والترابط الاجتماعي بين أبناء المخيم، وكذلك وسائل المقاومة والحماية التي ينتهجها الشباب في حماية المخيم، بالإضافة لدور المرأة الفلسطينية في الانتفاضة الفلسطينية، فيما ذكرت إحدى المبحوثات أثر الانتفاضة في نشأة صحوة دينية للمجتمع الفلسطيني، فكانت رواياتهم كالتالي:

ربى:

> مخيم الجلزون كان من انشط المخيمات في الانتفاضة، وكان يسمى قلعة الصمود، كان يذبح خط المواصلات اللي للمستوطنين هان، انعمل علينا حصار مرة 40 يوم، ومرة مش عارف قديش، وصاروا الناس يمررولنا اكل من برة، انقطعت الكهربا وانقطعت المي وتعاقبوا الناس، ولكن الانتفاضة كان الها اثر ايجابي، كيف ايجابي، الناس كانت ايد وحدة، مرة هجمت المستوطنين على دار يهجموا الشباب ويقولوا الله اكبر يهربوا المستوطنين ما يقدروا يدخلوه، كمان الشباب كانوا يعملوا حراسة بالشوارع، وكانوا الناس يتحركوا بالمخيم خاوة، ولعبت النساء دور مركزي ورئيسي، تخلص شباب من ايدين اليهود، واحد وقّع هويته تروح المرة تجيبها، والصبايا الصغار الممرضات يطاردن من هان لهان ينقذن جرحى وهيك، بشوف الفرق بين الانتفاضتين، انتفاضة الاقصى جزء منها موجه ضد السلطة، ومع وجود السلطة صار عنا مفاهيم الجديدة وتغير في المجتمع ما قدرت الانتفاضة تؤتي ثمارها، نوعية الردود والتدخلات اصلا احنا انتفاضتنا السابقة بلشت أول ست أشهر كانت تمام بعدين دخلت فيها الأحزاب وخربت، بس الأقصى من الأول دخلت فيها الأحزاب.[149]

معاذ:

[149] ربى، 42 عام، (قرية دير طريف)، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.

انا هذه الانتفاضة بصحهاش بس لاني بقرأ وبحب اعرف عن القضية الفلسطينية، كانت هبة شعبية عكس انتفاضة الاقصى اللي كانت انتفاضة مسلحة، الاولى بتقتصر على الحجارة والمناوشات والمظاهرات والاشتباكات عالحواجز، هاظ اللي بعرفوا.[150]

وفاء:

أنا كنت صغيرة نوعا ما يعني بالانتفاضة الثانية كنت أصحى وأوعى بس بقدر احكيلك حسب ما سمعت إنه كان فيه روح وطنية عميقة جدا، الها اثر عالمخيم بالترابط، وتقديم الشهداء وتفاخر الناس بإنه ابني سقط شهيد، كان الاضراب اضراب، ايديهم مع بعض، اعبروا في الدور، منع التجول ذقنا فيها الامرين، كانت قمة الصمود، فش كهربا، وفش مي، فش اكل، يغلقوا علينا البيوت، وكل هذا العذاب كانوا الشباب يتصدوا الهم كانت بجد كأنها جبهة وعلّوا بالهم لليهود، واستمروا فيها الشباب، الشعارات رهيبة في الليل، الصور والبوسترات والنداءات، كانت النساء تحضر حجار للرجال، ويحموا الشباب، وكأنهم برج مراقبة للشباب ويخبوهم في بيوتهم، كمان كانت بداية للصحوة الدينية، انتشر الحجاب، بطلنا نشوف رؤوس مكشوفة، وكانوا الشباب حسب ما كان النضال حسوا الناس انه فيه عودة، ولهيك عملوا اوسلو.[151]

غلبت على روايات المبحوثين كلمات تنمّ عن أنهم لم يعاصروا الانتفاضة، ولكنهم سمعوا عنها من آبائهم، أو قرأوا عنها وبحثوا حولها، وهذا يعني أن شريحة الجيل الثالث استطاعت أن تشكّل هوية وطنية من خلال رواية الانتفاضة، خاصة ممن لم يعاصرها، فقد تشابهت رواية أبناء الجيل الثاني وأبناء الجيل الثالث، مما يعني أن الرواية مستمرة وتعمل على تعزيز هوية وطنية جامعة.

يمكننا إجمال دور الانتفاضة الفلسطينية الأولى بتعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية، من خلال الظروف التي أحاطت بالشعب الفلسطيني، والتي اقتضت أن يتعلم فن المقاومة وممارستها في مختلف الأشكال المطلوبة، وذلك لصدّ الممارسات العدوانية التي كان يمارسها الاحتلال الصهيوني بحقهم، فعملت الجماهير المنتفضة على توسيع المشاركة الفعالة في توزيع المنشورات السياسية، وكتابة الشعارات الوطنية على الجدران، والمظاهرات، والاعتصامات، والاضرابات، وإقامة الحواجز، ورمي الحجارة، وإحراق الإطارات، وكل هذا كان يلقى تفاعلا من جموع الناس من الشباب، والنساء التي لم يتوانين في الوقوف جنباً إلى جنب مع الرجل، ليقمن بما لم يستطع الرجال القيام به، كتخليص الأطفال والشباب من أيدي الجنود حين اعتقالهم، كما وفّرت بيئة آمنة للشبّان الذين كانت تلاحقهم قوات الاحتلال، فتعمل النساء على تهريبهم وتوفير أماكن لهم داخل البيوت أو الحقول.[152]

2.13.2 اتفاقية أوسلو (1993م):

[150] معاذ، 22 عام، (قرية طيرة دندن)، تاريخ المقابلة: 2014/6/3.
[151] وفاء، 37 عام، (قرية أم الزينات)، تاريخ المقابلة: 2014/5/28.
[152] www.wafainfo.ps.2015/10/10 استرجع بتاريخ:

أظهر المبحوثون في روايتهم امتعاضهم من اتفاقية أوسلو، والذين أكّدوا أنّها أتت بآثار سلبية على القضية الفلسطينية وعملت على تشويه صورة الهوية الفلسطينية، وضرب قضية اللاجئين في الصميم، كونها عملت على إحداث شرخ في المطالب العادلة للفلسطينين، وتحقيق العودة لهم لأراضيهم التي هُجروا منها قسرا، موضّحين ردة فعل الناس آنذاك وآمالهم التي تحطّمت سريعا، فكانت آراؤهم كالتالي:

وفاء:

> أوسلو كان هدفها اذلال الشعب الفلسطيني، وتحقيق لمصالح اليهود أكثر من مصالحنا، أي اتفاق بيصير ما بين اليهود والعرب بيكون مبطّن ومن تحت الطاولة.[153]

معاذ:

> اخربت بيتنا، الناس أول شيء رحبوا بعودة القيادة لأنها كانت منفية بالأقطار العربية، وتوقعوا إنه الناس رح يشتغلوا من الداخل للتحرير، خصوصا إنه كانت القوات عالحدود، فرحّبوا بقيادة أبو عمار عأساس العودة، ولكن بعد أوسلو إتضحلهم إنه خربت الدنيا، بالنسبة لأوسلو والعودة الختايرة لليوم بحكوا بدي أرجع بس الناس الثانية صار عندهم ملل، وأمل العودة شيء صعب لأنه خصوصا أجت أوسلو أفسدت كل شيء.[154]

نورة:

> أوسلو لا تخدم القضية الفلسطينية، كل ما تجزء الإشي زاد سوء، وكل منابها الأوضاع بتزيد سوء البطالة زادت، والاستقرار داخل المخيم مش زي زمان.[155]

حملت رواية المبحوثين من أبناء الجيل الثالث حول اتفاقية أوسلو الكثير من الغضب عليها، ومن الملاحظ أيضا أنها لم تحظى بترحيب أي أحد من عينة المبحوثين، وكان التحليل بسيط وسطحي، بخلاف رواية المبحوثين من الجيل الثاني، فقد غلب عليها الطابع التحليلي النقدي، وإن اتفقت مع الجيل الثالث بمساوئ الاتفاقية، وآثارها السلبية التي تركتها على القضية الفلسطينية، وقضية اللاجئين خاصة فيما يتعلّق بحق العودة، أما أبناء الجيل الأول فكان بين مؤيد ومعارض، وأشرنا إلى دور الفصيل السياسي في إضفاء صفة الإيجابية أو السلبية على الاتفاقية.

---

[153] وفاء، 37 عام، (قرية أم الزينات)، تاريخ المقابلة: 2014/5/28.
[154] معاذ، 22 عام،(قرية طيرة دندن)، تاريخ المقابلة: 2014/6/3.
[155] نورة، 21 عام، (قرية البرية)، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

14.2 الخلاصة:

استطاعت الهوية الوطنية الفلسطينية أن تحافظ على استمراريتها في ذاكرة الأجيال، على الرغم من العديد من المتغيرات التي طرأت على المكان فكانت حرب النكبة من جهة، والتي انتقل على إثرها مَن عاصر الحرب إلى أماكن للجوء كالمخيمات الفلسطينية بشكل عام، ولمخيم الجلزون بشكل خاص في هذه الدراسة، ليلعب دوراً في توفير بيئة جمعية خصبة، لتناقل الرواية الفلسطينية التي توارثتها الأجيال على تعاقبها والتي اقتصرت على الجيلين الثاني والثالث في هذه الدراسة، معززة الهوية الوطنية الفلسطينية لديها، إلا أن هناك بعض العوامل التي حالت دون وصول الرواية إلى الجيل الثالث بشكل خاص بشأن حرب النكبة كما أوضحناها خلال الفصل، ولا بد من الإشارة إلى ضرورة العمل على تجنيد العديد من المراكز والمؤسسات التي تُعنى بالحفاظ على الرواية الفلسطينية من الإندثار، وتوثيقها مِمن تبقّى من أبناء الجيل الأول، والعمل على استمرارية تناقلها.

من جهة أخرى كانت الأحداث السياسية التي تمخّضت عن الشعور بالهوية الوطنية الفلسطينية، التي ولّدتها حرب النكبة، والضغوطات الصهيونية التي كانت تمارسها على الشعب الفلسطيني بشكل عام، وعلى أبناء المخيمات الفلسطينية بشكل خاص، وبالتحديد "مخيم الجلزون" عينة الدراسة" والتي أثّرت في رواية الأجيال الثلاثة التي اقتصرت عليها الدراسة، فكانت رواية الأجيال حول حدثين رئيسين وهما: الانتفاضة الفلسطينية الأولى، واتفاقية أوسلو، إذ كان لهما بالغ الأثر في تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية، والإجماع على إيجابية الانتفاضة وسوء أوسلو.

في الختام لا بد من التأكيد على أن المكان لم يشكّل عائقاً لتشكيل هوية وطنية فلسطينية، فلم تقتصر على فلسطين التاريخية التي أُجبر ساكنيها على الخروج منها لأماكن للجوء، والتي تمثّلت بمخيمات اللجوء في فلسطين، والدول العربية، أو اللاجئين في الشتات، ففي هذه الدراسة والتي تناولت "مخيم الجلزون" كحالة للدراسة لم يكن ذاته عاملاً مولّداً للهوية الوطنية الفلسطينية، فالرواية الفلسطينية استطاعت أن تنتقل بين أبناء المخيم من خلال المعاناة التي عايشها الأجداد ونقلوها للآباء والأبناء، فالهوية تشكّلت من خلال التهديد الواقع عليهم بمعزل عن المكان، ابتداءً من حرب النكبة، وصولاً للجوء للمخيمات الفلسطينية، والتراكمات التي أفرزتها المراحل السياسية على اللاجئين، كالانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987، واتفاقية أوسلو عام 1993.

الفصل الثالث

مخيم الجلزون ومؤسسات المجتمع المدني الرسمي وانعكاساتها على اللاجئين

3.1 المقدمة:

تعاقبت العديد من مؤسسات المجتمع المدني الرسمي في بسط سيطرتها على مخيم الجلزون، والتي سنتطرق للحديث عنها خلال هذا الفصل، مع ضرورة الإشارة إلى أننا سنتناول تلك المؤسسات وانعكاساتها على اللاجئين بغض النظر عن استمراريتها أو انقطاعها، بالاعتماد على رواية الناس وحكايتهم، ابتداءً من جيل الأجداد "الجيل الأول"، ومرورا بجيل الآباء "الجيل الثاني" وانتهاءا بجيل الأبناء أو الأحفاد "الجيل الثالث".

أتت هذه المؤسسات نتيجة لمخططات سياسية، وأحداث تاريخية، أو اندمجت كلاهما معا لتشكّل جملة من المتغيّرات التي أحدثتها على طبيعة المكان "المخيم" الذي نشأ بنشأتها، وتزامن وجودها بالتزامن مع الحاجة إلى مثل تلك المؤسسات في ظل انعدام كافة سبل العيش والبقاء التي كان يعانيها اللاجئون في بداية لجوئهم كوكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا"، والتي لا تزال على رأس عملها حتى يومنا هذا.

نظام الحكم الأردني (1948-1967) والتي تقاسم حيز الوجود مع وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين "الأونروا" لحين انسحابه من الضفة الغربية، وانتهاء ملامحه من الحيز المكاني للمخيم، لتظلّ تلك الفترة عالقة في أذهان من عاشوها من أبناء الجيل الأول، والثاني، لتصبح تاريخا مرويا للجيل الثالث.

الاحتلال الاسرائيلي (1967-1987) والذي ما زال يمارس هيمنته واحتلاله على الأراضي الفلسطينية، إلاّ أنّني سأخصص هذا الفصل للحديث عن فترة (1967-1987)، وذلك لأنني أدرس هنا طبيعة الحكم المباشر للاحتلال الاسرائيلي وآثاره على اللاجئين والمكان "المخيم".

أخيرا السلطة الفلسطينية (1993-2014) وتسليط الضوء على الآثار التي تركتها على اللاجئين والمكان "المخيم".

2.3 مؤسسات المجتمع المدني الرسمي

1.2.3 وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" (1951-2014) حسب الجيل الأول:

عملت وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" على فترة امتدادها بتقديم الخدمات للاجئين، ومن أجل تسهيل التعاطي مع تلك الخدمات التي سيتحدث عنها المبحوثون أنفسهم من الأجيال الثلاثة، فتم تقسيمها إلى: الجانب الخدماتي ويشتمل على: "المسكن، المأكل، المشرب، الملبس، والمرافق العامة" كما سيتم الحديث عن الجانب التعليمي، وأخيرا الجانب الصحي.

❖ **الجانب الخدماتي:**

- المسكن: مرّ المسكن في المخيمات (المأوى) بعدة مراحل عمرانية استجابة لعديد التطورات التي مست الشكل الخارجي للمسكن،[156] فكانت على النحو التالي:

1.1.2.3 المرحلة الأولى "الخيام" (1949–1955) حسب الجيل الأول:

حلّت الكارثة بالفلسطينين ليصبحوا بلا مأوى مشردين على وجه الأرض بعد أن أذاقتهم العصابات الصهيونية ويلات التهجير ومعاناة الوصول واللجوء لأماكن تأويهم، فمنهم من لجأ إلى الدول المحيطة كالأردن ولبنان وسوريا، ومنهم من لجأ إلى "الضفة الغربية" و"قطاع غزة"، ليستحوذوا على عطف واهتمام المجتمع الدولي والذي سارع بمنظماته الدولية لمدّ يد العون لأولئك اللاجئين، فكان في مقدمة هذه المنظمات الصليب الأحمر، حيث كان الأول في مساعدة اللاجئين الذين تجمعوا في المخيمات على الصعيد الإنساني، إذ أقام لهم تجمّعات سكنية مؤلفة من الخيام وزودهم بالمواد الغذائية، للتخفيف من جوعهم وتمكينهم من البقاء على قيد الحياة، وحمايتهم من برد الشتاء الذي أجبرهم على الاختباء في الكهوف والمغر خشية من الهلاك بردا، إلى أن تسلّمت وكالة الغوث الدولية مهامها بعد أن اتخذت الأمم المتحدة قرارها بإنشاء (الأونروا) عام 1951،[157] حيث تشكّلت أجهزة (الأونروا) المختلفة لمواجهة الوضع القائم آنذاك، فبدأت بتوزيع وحدت سكنية والتي كانت عبارة عن خيام تكبر وتصغر حسب عدد أفراد الأسرة، فمنها من كان يسمى بخيمة (زعموط) والقائمة على عمود واحد، وكانت تسكنها العائلات الصغيرة، ما دون الخمسة أفراد، ومنها ما كان يسمى خيمة (الجلمون) أو (الخيمة الكبيرة) والقائمة على ثلاثة أعمدة، وتسكنها الأسر الكبيرة ما فوق الخمسة أفراد،[158] وكانت الخيام مرتبة على شكل أسراب مستقيمة ومتوازية، يفصل الواحدة عن الأخرى عدة أمتار وكانت هذه الخيام تسلم من قبل مدير المخيم في مخيم الجلزون آنذاك، الذي يشرف على استبدال التالف منها، وكانت عملية نصب الخيام تتم بشكل عشوائي، مع مراعاة الناحية الشكلية والجمالية أحيانا، فينصبونها على شكل أسراب متوازية لتسهيل الحركة والمرور والمحافظة على بعض الخصوصيات قدر الإمكان.

تحدثت الحاجة أم عمر في نصب الخيام وانعدام خصوصية الفرد فقالت:

---

[156] أنور، حمام. **الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية**. رام الله: مركز الشتات واللاجئين الفلسطيني (شمل)، 1999، ص17.

[157] لكس تاكنبرغ.**وضع اللاجئين الفلسطينين في القانون الدولي**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003، ص 29.

[158] أبو العلا حسين، **المخيم قراءة تاريخية** (مجلة صامد الاقتصادي)، دار الكرمل للنشر والتوزيع، العدد 83، مارس، 1991، ص119..

شفنا تعفنا الله يتقلدهم العرب قبل اليهود، اي هو بتعرفي تتداري بالخيمة، بس اعطونا اياهم عشان نسكت وما نموت، يعني الوحدة تكون نايمة وتكشفت كل اشي فيها يبين مهي الخيمة تكون تلعب من الهوا، وكل حياتنا بقت بالاول عزارة وبهدلة، يعني اللي بدها تتحمم تحط شقفة قماش تسترها الله يستر علينا، كل الناس تعرف انه فلانة تحممت، والخيام بالاول ما كنوش قويات كانوا يرارو[159]، وبعد أن تنهّدت وجالت بأعينها وكأنها تحاول أن تقول لنا أن حجم المعاناة لا تصفها الكلمات.[160]

واصلت حديثها وأخبرتني:

ومن زود العز احنا اللاجئين مسخمين بنفرح (قالتها بتهكّم وسخرية) كانوا الناس يهنوا بعض لما الواحد يستلم خيمة، كنّا نغني للزعاميط ونقول:[161]

ع الزعاميطا بيهنوا بعض ع الزعاميطا
والشبابيكا بدال الأوض والشبابيكا
العنب واللوزا من بعد كروم العنب واللوزا
زيت الكاكوزا صرنا نتعشى زيت الكاكوزا
العنب والتينا من بعد كروم العنب والتينا
كرت التموينا صرنا نستنى كرت التموينا

يلاحظ من هذه الأغاني التي كانت متداولة بين النسوة واللاتي يغنينها عند استلام أحد من اللاجئين خيمة وخاصة الزعموط منها، حجم الحسرة والألم الذي يعتصر قلوبهن، ومدى العجز وسوء الأحوال الذي استشرى بهم، فيغنين تهكما وسخرية على الوضع الذي فُرض عليهم، ويتحسّرن على الأيام التي كان فيها اللاجئون مالكين لا محتاجين، ينعمون بخيرات بلادهم، ولا ينتظرون مساعدة من أحد.

يؤكد أبو ابراهيم أن عملية نصب الخيام كانت عشوائية ثم تطوّرت لتكون شبه منظّمة لتنشأ فيما بعد الحارات فيقول:

اللي يوصل من هاللاجئين عالمخيم هاظ الشارع الفوكاني بكى كلو تراب يجو هالناس، ويعطوهم الخيام بالقرعة، يعني هاظا لفلان وهاظا لفلان، فش تنقي "تختار" واسرب اسرب هالخيم زي ما تقولي صف الطابور في المدرسة ورا بعض يجوا عهالناس انتا روح على رقم واحد انتا روح ع (على) رقم اثنين انتا ع (على) رقم ثلاث، بس بكوا يراعوا عدد الاسرة يعني زي ما تكولي فيه شوادر كبار وفيه شوادر صغار، وبكوا يقعدوا عيلتين وثلاث اعيال مع بعض فش شوادر يكفي، يعني الشادر الصغير اسمه زعموط بكوا يعطوا فيهن اثنين ثلاث تنفار، أما الشادر الكبير بكوا يحطوا فيه عيلتين وثلاث اعيال، فش شوادر تكفي للعدد بكوش الناس مستحملين والوكالة تكول فش عنا شوادر،

[159] يرارو: شفافة ولا تستر من فيها.
[160] أم عمر، 80 عام، مقابلة بتاريخ: 2013/7/4
[161] أم عمر، 80 عام، مقابلة بتاريخ: 2013/7/4

تمنهم جابوا اخيم اللي تكعد كل عيلة لحالها، مهو يعني الواحد وعياله بعرفش يتدير وفيه حدا بحداه، صاروا الناس يتجمعوا انا من بيت نبالا اروح عند اهل بيت نبالا، وعنابة عند العنانبة، وهاظ عند جماعته وهاظ عند جماعته، يعني هاللي فش إلو حد يكعد مع هالناس.[162]

الخيام وموسم الشتاء فكان له وقفة أخرى في حديث المبحوثين، فكان للشتاء طعم خاص يمتزج بعجز اللاجئين عن فعل أي شيء أمام الظروف الجوية التي عصفت بخيامهم وأطاحتها أرضا، بعد أن اقتلعتها لتجعلهم في العراء تحت زخات المطر وكتل الثلوج، فتقول أم عليان عن الثلجة الكبيرة ومعاناة اللاجئين حينها:

بيي يا ستي بقت الخيام تطير من الريح والمطر، نبقى نايمين والله يشهد مبللين هالصغار نقعد نعصّر في الغطا يعني مش هالغطا مثل هالايام، شكفة بطانية ترنخ عهالصغار نعصرها من المي جابت سنتها مطر الناس اتغلبت والصغار مرضت، ووقت الثلجة الكبيرة الخيام بحملينش شو بدهن يحملن اللي بقى ميديرش بالو تطيح الخيمة فوقه، وبقو الناس يظلو بهالعصي تخبط عالخيمة عشان تطيح الثلج ومتهيليش الخيمة فوقه، والله ايدين الواحد يبقين حمر حمر من السكعة واحنا نكحف بالثلج بايدينا والله باكيين اغول يا وردي علينا شوفينا اليوم مش قادر هيني اخبط ع رجلي، والله بكيت اكحف الثلج بايدي.[163]

واجه اللاجئون داخل خيامهم قسوة الظروف الجوية، فكان لا بد من أن يقوموا بالعديد من الاحتياطات اللازمة لتوفير الأمن وبعض الاستقرار ليتمكنوا من مواصلة العيش، حدّثنا أبو محمد قائلا:

سكنا في الخيمة بنينا ذيالها حجار بطينة نليس هالعلي عن ذيالها داير ميدور، عشان ما تخشش المي، قعدنا اول سنة والثانية، بعدين غيرولنا الخيمة، جابولنا خيمة اكبر، قديش عيلتك 8 اعطونا خيمة 3 عمدان، في ليلة منمناش من مرة ولا انا ولا ابوي، أعطونا الوتاد بتاعت الحبل هلقد، مركنين الهوا يزقطها، اجى الهوا الا هي طارت وصارت هذيك الشكة هان مع الهوا، جارتنا هان الخيمة زعموط ما قال فيها الهوا الا هو قالعها من مطرحها هربت المرة والاغراضات ظلن في الخيمة مهي طارت خيمتها، ظلينا ماسكينها من المغرب والله لطلع الصبح، امي راكزة من شكة وابوي شادد من شكة ثانية، وانا كل شوي اشدها لعندي عشان تظل واقفة ومتميليش، وحفرت خندق في الخيمة عشان تطلع المي من الخيمة وتحوشش جواتها.[164]

2.1.2.3 المرحلة الثانية– مرحلة بيوت الوكالة (1955–1975) حسب الجيل الأول:

[162] أبو ابراهيم، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.
[163] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[164] أبو محمد، 85 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

باشرت وكالة الغوث في النصف الثاني من الخمسينيات بإنشاء وحدات سكنية للاجئين لتوفير المسكن المناسب للعيش بعد أن عانى اللاجئون في الخيام من عدم الوصول للحد الادنى من المعيشة على الصعيد الصحي والسكني فبدأت ببناء بيوت عرفت بغرف الوكالة،[165] وتحدّث لنا أبو حافظ عن هذه الفترة قائلا:

> بلشت الوكالة تبني غرف للناس، يبنوا مثلا مية ويلا خمسين يوزعوهن على صحابهن، طبعا هذه الغرف منها صغير ومنها كبيرة، اللي عيلته كبيرة يعطوه أوظة اربعة متر الا عشرين سم، واللي عيلته صغيرة بقوا يعطوه اوظة صغيرة ثلاثة متر إلا عشرين سم أو ثلاثة متر ونص، ما فش فيها حمام ولا اشي كانت الحمامات عمومية مهي فيه للنسوان وفيه للزلام وهاظ مكتوب عليه للنسوان وهاظ للزلام كانت الغرف مقسمة لحروف A,B,C ال A بقوا يعطوها للي عيلته من نفر لثلاث أنفار، والB للعيلته من 3-5، ومن 6-9 افراد بقوا يعطوه وحدة يسموها B+B واللي أزود عيلته من 9 تنفار أعطوه وحده اكثر من اوظتين سموها "B+B+C.[166]

أما عن آلية توزيع غرف الوكالة فيظهر من خلال مقابلات المبحوثين والمعلومات التي أدلوا بها أن اللاجئين لم يختاروا مكان سكنهم في الوحدات السكنية التي تم بناؤها، فقد لا يكون مكان الخيمة هي ذاته المكان الذي استلم فيه الفرد غرفة سكنية، فقد كان موظفو الوكالة يجرون قرعة حول الوحدة السكنية التي سيتم إعطاؤها لعائلة ما، يروي لنا أبو موسى عن تلك الفترة:

> فش واحد ظل محله قليل بقت الوكالة شو تعمل تخربش الناس تخلّطهم، يسألوا بعض عاد الناس بتعرفي الواحد بتعود ع محل مَقعد حتى لو شقا وتعتسة بس خلص تعود عهاظ المطرح، وين طلعت قرعتكم يا ام فلان كان تقول بالمطرح الفلاني ويلا جنب دار ابو فلان، اللي يحب مطرح ما طلعله خلص يقعد، فش تقولي يغير الوكالة بقت تطلع للواحد هالمطرح رظيت رظيت مرظيتش دبر حالك، بس الواسطة بقت موجودة بس قليل زبطت مع ناس.[167]

وفّرت الوحدات السكنية بعضا من التحسّن الذي لامسه اللاجئون داخلها، كما وفّرت هذه الوحدات نوعا من الخصوصية والمتكأ، بعد أن كان اللاجئون يجلسون القرفصاء داخل الخيام في ظل انعدام جدار أو حائط يسندون ظهورهم عليه، لكنّها ظلّت في الوقت ذاته تضييق بأهلها، فجميع أفراد العائلة كانوا يفترشون مساحة الغرفة بأكملها

---

[165] أنور، حمام. **الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية**، مصدر سبق ذكره.ص 18.
[166] أبو حافظ، 85 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.
[167] أبو موسى، 73 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/15.

للنوم، مع انعدام المطبخ والحمام، فكان المطبخ جزءاً من الغرفة وتقتصر محتوياته على قدر لتسخين الماء وبعض الأواني المعدنية القليلة، والحمام في الخارج، تحدّثت أم عليان حول التحسّن الملموس قائلة:

> على كل حال صارلنا اشي نسند ظهرنا عليه، صار الواحد يتدارى، صح فش حمام بس بظل احسن من الخيمة، بكينا نتحمم في الغرفة نفسها اللي ننام فيها، نوكل فيها، نسهر فيها، ذياق بس ادفى بالشتا بظل من الخيمة.[168]

في ظل الأزمة الخانقة التي كان يعيشها اللاجئون داخل الوحدات السكنية التي أصبحت لا تتسع يوما بعد يوم لساكنيها، وفي ظل الزيادة السكانية والطبيعية داخل الأسر، قيّدت الوكالة اللاجئين ومنعتهم من إجراء أي تعديل على الوحدات السكنية، إلا بطلب رسمي من إدارة المخيم والذي قد يُنفّذ وقد يرفض، وتعتبر الوكالة بأن أي تعديل يقوم به اللاجئون على الوحدة السكنية من بناء سقيفة جانبية أو تحسين وضع السقف أو الأرضية أو الشباك أو غيرها لا يدخل في ملكية الشخص، وإنما يدخل في إطار وضع الوحدة السكنية والأرض التي أجراه عليها مع الوقت.[169]

على الرغم من ذلك أجرى اللاجئون عمليات تحسينية على الوحدات السكنية، فقاموا بإرفاق الوحدة السكنية بسقيفة اعتبروها بمثابة مطبخ،[170] وكانت عملية البناء تتم عبر بناء سناسل من الطوب ومن ثم يتم تغطية هذه السناسل"الجدران" من الداخل بالتبن والتراب الذي يُخلط بالماء ليكون عجينة، لتغلق الفجوات المفتوحة التي قد تكون موجودة للوقاية من القوارض والزواحف إلا أن هذه السقايف لم تكن مريحة وآمنة فكانت صعبة التنظيف بالماء كون الطين يتحلل مع الماء، فكانت النساء يقمن بكنسه، كما كان يتم البناء بالخشب، و"الزينكو" الصفيح، هذا ما وضحته الحاجة أم عمر:

> الناس زهقت صارت بدها تتوسع لا فيه مطبخ ولا في اشي جواة هالغرفة، صاروا يعملوا سقايف من الطوب، سنسلة يصوّروها عن داير ميدور، ويعملوا عجينة من تبن وتراب ويسكروا هالفتحات عشان ما يخش فيران حيايا، بس بكينا انظف من بنات اليوم هالأرض تكون توج وج، إنكنسها بالنتفة بنفعش اندير مي مهي طين بس حراج تلاقي عليها اشي بكت المكانس احسن من اليوم مكانس اليوم زي اللي بضحك ع حاله عاد بقينا هذه السقيفة نطبخ فيها يعني زي عملناها مطبخ.[171]

---

[168] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[169] أنور، حمام. **الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية**، مصدر سبق ذكره، ص 19.
[170] أنور، حمام. **الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية**، مصدر سبق ذكره، ص 18..
[171] أم عمر، 80 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.

في الوقت الذي وفّرت فيه الوحدات السكنية بعض الخصوصية للاجئين،إلا أنها لم توفّر لهم القدر الكافي من الأمان فقد انتشرت الضباع والواوي بين هذه الوحدات، والتي أحدثت الرعب بين السكان، كما انتشرت الآفات كالبق والقمل، ويتضح أن الرواية الشعبية التي تتحدث عن الغولة أو الضبع كانت جزءا من الحقيقة[172] فقد روت لنا أم عليان:

> وقت بنينا صرنا نشوف الضبع، نسمع صوته، نظب الصغار مع الغياب، ويلا مهو الضبع بشم الصغير تبقي مرضعتيه تبقى ريحته حليب، نظبهم ونسكر الباب، عاد بنص الليل يجي الضبع ويبقى يُهمر، نسمع صوته، وفي الإخيم بس بقى أخف، بخاف لانه من الناس، يعني مرة حياة أبو علي حسّ عضبع واحنا في الخيام قام بس ظوا عليه شرد، بس في غرف الوكالة بقى العادي يبقين يكزدرن في الشارع هالواويات والضباع، هالطول يبقن.[173]

3.1.2.3 المرحلة الثالثة – مرحلة التوسع الأفقي– النهضة العمرانية والتوسعة (1975–1995) حسب الجيل الأول:

شهد اللاجئون في فترة ما بعد 1975 بحبوحة إقتصادية، إذ انتعش الاقتصاد انتعاشا ملحوظا، نتيجة لتوجه العديد من العمال إلى العمل داخل الخط الأخضر وبأجور جيدة، إضافة لاستيعاب دول الخليج لعدد كبير من خريجي المعاهد من أبناء المخيم،[174] كل هذه الأسباب إضافة للسبب الرئيسي وهو زيادة عدد أفراد الأسرة بدأ السكان يسعون للتوسع والبناء الأفقي من خلال الإضافة أو البناء الكامل، أو من خلال هدم الوحدات السكنية الصغيرة وبناء مساكن مغلقة توفر لهم الاستقرار النفسي والاجتماعي، ولعبت الحالة الاقتصادية دورا بارزا في هذه المرحلة، من خلال ملاحظة بعض البيوت والمساكن التي صممت بشكل جيد والجزء الآخر قام بالبناء دون أن يزيل البناء القديم.[175]

---

[172] غلبت على الأمهات الفلسطينيات في التراث الشعبي باستخدام قصص الغول والضبع لإخافة أطفالهن وإجبارهم على النوم، ويتضح من خلال روايات المبحوثين من الجيل الأول أن الضبع كان جزء من الموروث الذي عاشه اللاجئين حقا.

[173] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

[174] كان اللاجئون يتوجهون إلى الدراسة في المعاهد التابعة لوكالة الغوث وتشغيل اللاجئون، كمعهد المعلمين، والذي لا يزال حتى يومنا هذا، وكان الخريجون يتوجهون للعمل إلى دول الخليج من خلال عقود عمل، تتم بالتنسيق مع وكالة الغوث "الأونروا"، مما أدى إلى تحسّن الأوضاع الاقتصادية من خلال إرسال الأبناء الأموال لأهلهم.
أنظر: http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/316012.html استرجع بتاريخ: 2014/9/14.

[175] محمود، عقل. **عين بيت الماء، مخيم للاجئين الفلسطينيين**- الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية، القدس الشريف، الطبعة الأولى، ص 75.

في الوقت الذي شهدت فيه فترة التوسّع الافقي الكثير من الاعتداءات والتجاوزات سواء على الطرقات والممرات، والشوارع، حيث شرعت وكالة الغوث الدولية بوضع القيود على هذه العملية "عملية البناء" من خلال إلزام السكان بتقديم طلب للبناء، وهذا الطلب مرفق بمخطط هندسي، موضحا فيه حدود البناء ومطابقا للشروط التي وضعتها وكالة الغوث من الناحية الهندسية، والتي تتضمن الالتزام بحدود المسكن وعمل حفرة الامتصاص داخل حدود السكن وعدم الاعتداء على الشوارع والساحات العامة، والمحافظة على الارتداد مع الجيران، وعلى ضوء هذا الطلب الذي يتم تقديمه من قبل اللاجئ لمدير المخيم، والذي يقوم برفعه لجهة الاختصاص بوكالة الغوث "قسم الهندسة" وبعد الدراسة لهذا الطلب والكشف الميداني على موقع البناء يتم اعطاءه تصريح أو منعه، من خلال وقف طلبه، هذا ما وضّحه أبو مظفر في حديثه قائلا:

> أول ما صارت الناس تقدر تبني الوكالة عممت إنه ممنوع يبنوا طوابق، وكان فيه نموذج يعبي الفرد قبل ليبدأ في اجراءات البناء، يكون فيها أهم الاشياء اللي بتشتمل عليها، يعني في كل وحدة سكنية كان لازم يعمل حفرة امتصاص، وما يكون خارج على حدود الشارع، ولا متعدي على ساحة عامة، ما يتعدى على حدود جاره، بعبي الواحد الطلب والوكالة بتنظر فيه، برفعوا للمهندسين بدرسوا قديش الوحدة السكنية بتتحمل طبعا الأساسات كانت مش كثير قوية لهيك كانوا يخافوا يصير انهيارات وهيك اشي.[176]

4.1.2.3 المرحلة الرابعة: مرحلة التوسع الرأسي– التطور العمراني والإنفجار السكاني (1995–2014):

حملت تلك المرحلة تغيّرا ملموساً على صورة المخيم، فكان لتزايد السكان المستمر بالغ الأثر في استثمار أسطح المنازل والبناء عليها، على الرغم من منع وكالة الغوث الدولية لتلك الإجراءات، إلا أن السكان ولضيق المساحة ومحدوديتها، وقلة الأموال التي منعتهم من التوجّه للشراء خارج حدود المخيم، لم يكترثوا للقرارات الصادرة عن الوكالة، وفي مقابلة مع أبو مظفر أحد العاملين المتقاعدين في وكالة الغوث حدّثنا عن تلك الفترة قائلا:

> الناس بتزيد يوم عن يوم، فصار الواحد وقت ابنه يكبر يبدأ يفكر وين بدي أسكّن إبني؟ وين بدي أبنيلو، وكانت ماديات الناس مش هالقد، والي عنده وسعة قدام داره اعتبرها الو، مظلش محل، صارت الناس تبني فوق السطوح، اطلع عقدة واعمل غرفتين لابني اسكّنه فيهن بما اني ما عندي امكانية أشتريلو برة ولا حتى استأجرلو، فصارت الناس تتوسع بشكل عمودي يطلعوا طوابق، والشاطر اللي يطيّر برندته أكثر عشان يوخذ مساحة أكبر، واليوم شوفي المخيم الدار الواحدة في

[176] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28. موظف متقاعد من وكالة الغوث "الأونروا".

فوقتها أكثر من أربع خمس دور، الوكالة كانت تمنع الناس انها تبني أكثر من طابقين، بعدين خلص استسلمت يعني شو بدها تعمل لا بتقدر توفرلهم قطع أرض يبنوا عليها، ولا بتقدر تعطيهم مصاري.[177]

تحدّث لنا في هذا الموضوع أبو إبراهيم قائلا:

الوكالة بقت تمنع الناس انه تبني أكثر من طابقين، وفيه شروط عشان يحصل الشخص على الموافقة من الوكالة، مثلا ما تعتدي على الشارع العام، ما تعتدي على بيت جارك خصوصا انه الدور ملزقة ببعض يعني برضو عشان الخصوصية للناس، بس شو الناس بدها تعمل مضطرة تبني طابق واثنين وثلاث، انا بدي اجوز ابني وين احطو مفش مصاري اشتريلو قطعة ارض ببنيلو طابق فوقيي داري، وبضمن انه ما يتشحوط بالاجارات وهان وهان، اللي معهم مصاري طلعوا وبنوا وسكنوا براة المخيم بس اللي معوش بدو يظل قاعد هان.[178]

– المأكل (التغذية):

تولّى الصليب الأحمر بالاضافة إلى جمعية الكويكرز مهمة تقديم المساعدات الغذائية للاجئين قبل مجيء وكالة الغوث، إذ قدّم الصليب الأحمر الدولي أطعمة جاهزة للاجئين كالحليب، التمر، اللحم والطعام المطبوخ، إذ عبّر المبحوثون عن رضاهم على الخدمات التي كان يقدمها الصليب الأحمر، فتقول الحاجة أم عمر:

وقت اجينا هان عالمخيم كان الصليب الاحمر مكنتش لسة الوكالة جاية بقوا يفرقوا عهالناس حليب، ويوزعوا علينا طبيخ القدر ها كبره، وتروح توقف عالدور يعطوه للواحد نتفة طبيخ، كل شي بقى يعطونا اياه جاهز، البرغل، العدس، الفاصوليا، الحمص، الحليب، بس بقوا يطلعوا منيح، يجيبوا حلاوة، جبنة الكشكوان، ولحمة الكاويرما بقوا يعطونا مرات، بعدين صاروا يطلعولنا شوية رز، شوية عدس، شوية فاصوليا ناشفة، شوية طحين كل 15 يوم يطلعولنا خمسة كيلو، يعطونا سمنة وتمر وزيت زيتون، وبطانيات كمان، اذا توفّر كاز يعطونا وحطب عشان نوقد ونتدفا بالشتا، كانوا احسن من الوكالة مهو الواحد يحكي اللي ينجي عند ربه.[179]

بعد أن باشرت وكالة الغوث الدولية مهامها داخل المخيم اعتمد اللاجئ على المعونات الغذائية التي تقدمها وكالة الغوث ليقي نفسه شر الجوع وبأس الحرمان وكان مجبرا على تقبّلها على مساوئها وعلاّتها، إذ أكّد أغلب المبحوثون أن بعض المساعدات التي قُدّمت لهم كانت فاسدة ومنتهية الصلاحية، أو أنها كانت مليئة بالسوس والعفن، واضطر الناس

[177] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28. موظف متقاعد في وكالة الغوث "الأونروا".
[178] أبو إبراهيم، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.
[179] أم عمر، 80 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.

في ذلك الحين على تناولها من شدة الجوع وانعدام الخيارات، كما أنه جرى عليها تقليصات عديدة عما كانت تعطيهم إياه الصليب الأحمر، عبّر المبحوثين عن استيائهم من الخدمات التي كانت تقدّمها وكالة الغوث فأخبرتنا أم عليان:

> لما أجت الوكالة كل شي خرب، كل شي قلّصته تقولي بقيتي توخذي طحين منيح صار الطحين مسوّس ومدوّد، والتمر هاظ اذا طلعوا شوية تمر تلاقيه ملان سوس الواحد يقزّ يوكله زيت الزيتون بدّلوه صاروا يعطونا زيت شمن، اللحمة كل وين وين تيطلعوها، صاروا نتفة هالسكر هالرز، هالطحين، واذا فيه عدس يعطوه عدس، وهالزيتات، وهيّك ما انتي شايفة كل يوم بقطعوا بهالناس، اللي معتاز حتى بقطعوه.[180]

عملت وكالة الغوث الدولية على إنشاء مكانا يتجه إليه اللاجئون لتناول وجبة طعام، عرف باسم "المطعم" فكان يقدم وجبة طعام للاطفال، وطلبة المدارس، وكبار السن، خصّصت له في البداية خيمة كسائر مرافق الوكالة، ثم استبدلت وبنيت من الاسمنت فكان اللاجئون يتناولون فيه طعامهم أو يحملونه معهم إلى المنزل، كذلك قدمت وكالة الغوث وجبات من الحليب للأطفال فيما عرف بمركز الحليب في المخيم بشكل يومي، وكانت تقدم بشكل شهري مساعدات غذائية لكل عائلة حسب عدد أفرادها المسجلين لدى الوكالة، يحدّثنا الحاج أبو حافظ قائلا:

> كان في مركز تغذية، كانوا يحضروا فيه وجبات غذائية جاهزة لفئات من سنتين ل 5 سنوات: الطلاب، ومن 5-9 سنوات، وكذلك لكبار السن والعجزة، كانوا يقدموا 3-4 وجبات يوميا، وكان فيه رعاية خاصة للرضع تحت سن السنتين، كانوا تابعين لرعاية الطفل، أنا بحكيلك لأني اشتغلت في مخيم دير عمار في مركز التغذية هناك، ولما جيت هان عالجلزون بطلت من مركز التغذية وسلموني ادارة المخيم لحد ال 90 وقتها تقاعدت.[181]

بعد أن تمكّن اللاجئون من تخطّي المرحلة الأولى التي عاشوها في الخيام والاعتماد على ذاتهم في العديد من الجوانب كبنائهم وحدات سكنية أو تصليحها على حسابهم الشخصي لتوسعة الوحدات التي كانت قد سلمتهم إياها وكالة الغوث، والتي أظهرت جانبا من الاكتفاء الذاتي الذي تمتّع به اللاجئ لتبدأ وكالة الغوث بتقليصاتها المستمرة والتي تزداد يوما بعد يوم وعلى كافة أصعدتها الخدماتية وفيما يلي ما رواه المبحوثون أنفسهم:

أبو محمد:

---

[180] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

[181] أبو حافظ، 85 عام، تاريخ المقابلة: 28-6-2013، موظف متقاعد في وكالة الغوث .

في الأول بقوا يعطوا منيح 10 كيلو طحين والله بقى منيح ميشتريش الواحد طحين، يعني العشر تنفار ب مية كيلو، والله بقوا يطلعوا هو زي اليوم اعوذ بالله من اليوم، اتطلعي اول اشي سكر، رز، سميد اطلعوا خطرة، التمر هاظا غير بقى يجي تبرع من العراق، تقولي تبرعت لسنة، بقوا يطلعولنا تمر اشي مخيف تقولي النفر 2 كيلو، بقوا يسلموا المؤن في الساحة اللي فيها الدوار،الوكالة خدمتني في البداية بس كلو بثمنه أما هي الصحيح ولا خدمتني ولا بتعريفة صارلها 20–30 سنة ولا بتعريفة، من اول ما طلعنا سنتين فولصو بقوا يعطونا رطل و2 كيلو جاجه الواحد بدو يوكل بالشهر، بعدين قالوا اعطوهم 7 كيلو بعدين وصلوهن ل 10 كيلو، الهدف يا عمي تنصط اللاجئين بنتفة هالمساعدات اللي بتعطيهم اياهم، كلها مؤامرة.[182]

– المشرب "الحصول على الماء":

اعتمد الناس في البداية على عيون الماء الطبيعية في مخيم الجلزون وأشهرها حسبما كانت متداولة بين أهالي المخيم: العين التحتا، عين العصافير، عين الجوزة، عين السوق.

تولّت المرأة مهمة الحصول على الماء، فقد كان جلب الماء أحد وأهم أدوارها اليومية الشاقة، إذ كانت النسوة يذهبن يوميا لجلب الماء من العيون، ويقمن بالانتظار في طابور طويل حتى يصلهن الدور، وكذلك قد تتكرر ذهاب بعض النساء إلى عين الماء في اليوم ذاته إذ لم تكن كمية المياه التي جلبتها كافية لسد كافة احتياجات المنزل، كالطبخ، تنظيف الأواني، الاستحمام، تنظيف المنزل وغيرها من المتطلبات المنزلية الأخرى، استفادت التجمعات السكنية القريبة من عيون الماء من الحصول عليها، فيما كانت التجمعات السكنية البعيدة تلجأ إلى الحصول عليها من خارج المخيم.

تحدّثنا أم عليان:

بقينا نجيب المي ع (على) روسنا، من العين اللي عند دار أبو حسين العين التحتا الوحدة تدشّر ولادها يعيطوا وراها وتروح تملّي شو بدنا نعمل، نوخذ هالجلان، كازات، ونهوّد من الصبح وانتي وحظك عاد ايمتى تعبّي هاللي معك، وبقين النسوان يتقاتلن يتذبحن، في نسوان قويات بدهن يعربدن وميوقفنش عالدور، يدقّن بشعور بعض والله، بقينا حافيين وينتا تلبسنا الشاروخة يبقى الواحد حافي اللي يوقع ينقطم، بقين يستفيدن عاد اللي بدها تغسل توخذ غسيلاتها معها، بقينا نغسل ويلا مالنا واحنا صرنا هيك عجزنا عالبدري من قليل، والله ادينا يبقين حمر من الفعك، واللي تحمم ولادها بهالطاسة، والله يا ستي بقت ايام سودا، وهي بنات اليوم مش معجبهن العجب.[183]

[182] أبو محمد، 85 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/19

[183] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.

لم تكن عملية جلب الماء أمرا سهلا، فقد كانت بعض النسوة غير محظوظات في الحصول على المياه من العيون المتواجدة في المخيم، وذلك إما بسبب الطابور الهائل الذي ستنتظره وقد لا توفّق في الحصول على الماء، وإما لنفاذ كمية الماء التي كانت تضخّها يوميا وكالة الغوث في الحوض الخاص بعين الماء، فتضطر النسوة إلى الخروج خارج المخيم للحصول على الماء وكانت وجهتهن إما لعين دورا، أو جفنا، أو سردا، وهذا يعني عناء الطريق بالإضافة إلى مشقّة حمل الماء على الرأس في تنكة أو أواني كبيرة كانت النسوة يستخدمنها للحصول على الماء فقالت أم ياسر:

> ياما حملنا ع (على) روسنا، الطريق بتشهد قديش أكلت من رجلينا، لو بتحكي هالطريق، بقينا زي الاغول نمشي مشي تنوصل عين دورا، بهالوعر والطريق صعبة، واوقات بقيناش نقدر نعبّي يبقى ملان نسوان، نروح من الصبح تنها الوحدة تعبي هالتنكة مي، والله حوامل يا خالتي بقين يا حرام يحملن هالتنكة ع راسها الوحدة، بس الله اللي بستر، ياما انكبت التنكة والواحدة تدعثر رجلها بحجر تيجي التنكة عالارض هالنسوان المناح يعطنها شوية شوية اللي تروح فيها حزينة والله بقت معاناة الحمدلله على كل شي هينا عشنا ومستورين ونموت مستورين.[184]

في أواخر الخمسينيات انتعش اللاجئون في المخيم، فقد اكتشفوا العديد من المياه الجوفية والتي ظهرت بالصدفة وهم يقومون بحفر تجاويف لتصريف مياه الصرف الصحي والمجاري لحماماتهم، الأمر الذي وفّر مصدرا آخرا للمياه غير عيون الماء التي كانت بالكاد تكفي لجميع أهالي المخيم، وفي الوقت ذاته استثمرت العائلات التي حظيت بوجود بئر مياه في منازلهم ببيعها لأهالي المخيم، وقلّ ازدحام النسوة على عيون الماء في ظل وجود بديل يوفّر عليهن مشقة الانتظار وعناء المسافة، إلا أن الأمر لم يدم طويلا فقد تسربت مياه الصرف الصحي من الحفر الامتصاصية البدائية التي أنشأها اللاجئون إلى آبار المياه الجوفية مما أدى إلى تلوّثها، مما جعلهم يستغنون عنها وطمرها بالحجارة، إلى أن توقف استخدامها بشكل كامل، يحدّثنا الحاج ابو ابراهيم عن تلك الفترة:

> لما صارت الناس تبحش اجور بعيد عنك للمجاري الا هم لاقوا بيار مي، هالناس صارت تبحش تهوّست اللي يطلع عندو بير ينبسط، المي بقت شقا هذيك الايام، صاروا هالناس يبيعوا بقرش التنكة، الناس صارت تشتري بتستقرب، وبقوا دار فارس السيد هذول يناقلوا للناس المي عالجحش هاللي بدو يوصلوله اياها التنكة لباب الدار،

[184] أم ياسر، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/28.

بعدين من كثر ما الناس كثار فاظت مية المجاري على المية اللي في الأرض وبطّلت الناس تستفيد من وقتها من البيار، وفي بيار ظلت منيحة.[185]

تحدّث أبو مظفر حول التحوّلات التي طرأت على المياه قائلاً:

أقامت الوكالة محطات داخلية حسب تجمعات الناس وعددها 14 تجمع، حيث قامت الوكالة بالاتفاق مع مصلحة مياه رام الله بصب الماء في خزان في مدرسة البنات سعته 100م مكعب، وأقامت شبكة انابيب إلى التجمعات حيث كانت تضخ المياه من الساعة 8-12 ظهرا كل يوم ما عدا يوم الأحد (يوم العطلة) وكان الناس يقومون بتعبئة الماء في صفائح من حديد ويتم تعبئة براميل داخل البيت، وتستعمل لجميع الاحتياجات، وملء جرة كبيرة تسمى (الزير) مصنوعة من الفخار للشرب والطهي، كان لتلك الخطوة دورا هاما في التخفيف من عبء المهمة التي كانت تتطلب من النسوة حمل الماء من العيون إلى الوحدات السكنية، فقد اختصرت تلك المسافة واقتصرت على المسافة من أماكن تجمّع الخزانات إلى وحداتها السكنية، وفي سنة 1976 قررت اللجنة المشتركة الأردنية الفلسطينية في عمان بمساعدة أهالي المخيم ومدّ المياه إلى البيوت عن طريق إنشاء الشبكة الداخلية لكل البيوت وبالتعاون مع مصلحة المياه، وتدفع كل عائلة مبلغا رمزيا مقداره ثلاثون شيقلا مع إعفاء الفقراء حيث كانت مساهمة اللجنة المشتركة الأردنية 25 ألف دينار أردني.[186]

- **الملبس:**

ابتكر اللاجئون عدّة طرق لستر أجسادهم بعد أن اهترأت وتقطّعت ملابسهم في ظل شح الملابس، فقد عملت النسوة على استخدام أي قطعة من القماش يحصلن عليها وحياكتها وتدويرها، والاستفادة منها في عمل ملابس لهنّ ولرجالهن وأطفالهن.

كما قدمت وكالة الغوث بعدها مساعدات من الملابس المستعملة التي سماها اللاجئون ب "البقج" وكانت النساء تعمل على الاستفادة من هذه الملابس بالرغم من كبر حجمها، بإعادة خياطتها وتصميمها بما يتناسب وأحجام عائلتها، فتقول الحاجة أم عمر حول تلك المهمة:

بقينا عنا أواعي زي بنات اليوم؟ اللي بكبينه أكثر من اللي بلبسنه، بقينا شاطرات والله يا المرة تلاقيلها قطعة قماش من وين مكان إنها تدّقر "تمسك بها بيديها وأسنانها" تديرها

[185] أبو ابراهيم، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/8

[186] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28. موظف متقاعد في وكالة الغوث.

لهالولاد، ع قيمة شوالات الطحين بقن النسوان يعملنهن اللي بلوزة، بنظلون، شورط، المهم يلبسن هالصغار، الوحدة تديرلها سروال لجوزها سروال، يعني بقوا الناس يدبروا حالهم التدبير يعني إعادة الخياطة، بقينا بالابرة والخيط الفلسطينيات شاطرات واللاجئات خصوصا بتعلمن من كثر ما بشوفن من الشقا، وبقوا ولادنا أرتب ولاد، ولما صارت الوكالة تطلعنا البقج نديّر هاللي بجيش عليهن يم عقياسهم يصير.[187]

- **المرافق العامة:**

لم تولي وكالة الغوث الدولية أهمية لإنشاء مرافق عامة للاجئين في بدايات المخيم، فقد اتجه اللاجئون إلى استخدام الأحراش والأشجار لقضاء حاجاتهم، وكانت النساء تعتمد على استخدام تنكة قديمة لقضاء حاجتها ليلا، فقد شكّل اللاجئون فيما بعد سقيفة من الحجارة تتسع لشخص واحد، ويتم تغطيتها بخيش أو شادر من قماش الخيام، وتم تخصيصه لقضاء الحاجة خاصة للنساء ولأوقات الليل، تقول أم عليان :

كنا انروح تحت هالشجر وهالناس تروح تحت هالشجر بس صاروا يقلعوا الشجر عشان يحطوا خيام صاروا يسووا بيوت خوارج، سووا اجور وبالليل بكينا بعيد عنك انشخ في الطاسة ونقضي حاجتنا في الطاسة.[188]

يلاحظ أن الحمامات العامة (المراحيض) لم تتزامن وإنشاء الخيام مباشرة، بل أتت في وقت لاحق منها ولا بد من الإشارة إلى أن آلية استخدام هذه الحمامات تتم عبر آلية أصبحت كالعرف بين الناس فتقول الحاجة أم عليان :

بقينا لما بدنا نروح ع (على) حمام الوكالة نوخذ معانا حجرين لنطقطق للي هناك مشان يطلع انظل نستنا فيه وعند سؤالنا عن الحجرين فأجابت: واللا الشو بدنا نسوي ما في ورق نمسح فيه ولا سخام، بقى حمامات الزلام لحال وحمامات النسوان لحال بعاد عن بعض.[189]

- **الجانب الصحي:**

بدأ الصليب الأحمر الدولي بتقديم حملات إغاثة طبية للحالات الإنسانية الشديدة الإلحاح ولكنها لم تكن كافية، في الوقت الذي بدأت فيه وكالة الغوث الدولية بتقديم خدماتها للاجئين الفلسطينين عام 1950 حيث كانت الأوضاع

[187] أم عمر، 80 عام، تاريخ المقابلة:2013/7/4.
[188] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[189] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلى: 2013/6/29.

الصحية سيئة جدا، فقد كانت معدلات الولادة مرتفعة وكانت أمراض سوء التغذية واسعة الانتشار، ومعدلات المرض والوفاة مرتفعة.[190]

تحدّث لنا عن تلك الفترة أبو إبراهيم قائلا:

العيادة عملوها سنة الخمسين، بقت خيام لسة، يروحوا هالناس يتداووا، ظل هاظ الحكي لل 56 اظن، بنوها حجر والسقف بوص وطين، تحسنت شوي يعني، وفي الستينيات بنوا العيادة من الباطون اللي بقت قبل ليهدوها قبل عشر سنين، هم هدوها في 2006-2007، وهيها اليوم بتعرفيهاش انها بقت خيمة، وبتقدم خدمات لهاللاجئين.[191]

نستنتج من حديث المبحوثين من الجيل الأول، أن اللاجئين مرّوا في عدة مراحل منذ نشأة المخيم، إذ غلب عليهم طابع العجز والعدم، فكانوا لا يملكون شيئا قط، لذا ظهر اعتمادهم الكلي على الخدمات التي كانت تقدّمها وكالة الغوث ابتداءً من المسكن بتطور مراحله، إلى أن استطاع اللاجئ القيام ببعض التحسينات على مكان سكنه على نفقته الخاصة، مرورا بالغذاء الذي كان يتلقاه اللاجئين كوجبات جاهزة من "مطعم الوكالة"، والذي كان مخصصاً لتوزيع الأغذية على اللاجئين بكافة أعمارهم، أو من خلال المؤن التي كانت تقدّمها الوكالة للاجئين بشكل دوري، على الرغم من عدم كفايتها وجودتها كما أشار المبحوثين سالفا، إلى أن اقتصرت هذه المعونات على الحالات الخاصة، والشؤون الاجتماعية، مشيرين إلى سياسة التقليص التي تمارسها الوكالة تجاههم.

كانت الملابس هي الأخرى التي افتقر إليها اللاجئون في بداياتهم داخل المخيم، خصوصا بعد هجرتهم من بيوتهم، ليخرجوا بما عليهم من ملابس، أثرت عليها رحلة الهجرة التي قد تطول وقد تقصر كل حسب تجربته، لغاية وصولهم للمخيم، وتدبير النساء لأمورهن من خلال استصلاح قطع من "البقج" والتي كانت عبارة عن مجموعة من الملابس تستلمها العائلة بغض النظر عن ما تحتويه داخلها، والذي قد يتناسب وقد لا يتناسب مع أفراد العائلة.

تدبّر اللاجئون أمورهم في استخدام الطبيعة بدلا من المرافق العامة "الحمامات"، إلا أن ازدياد أعداد السكان، واقتلاع الأشجار لوضع الخيام مكانها، أدى إلى افتقار اللاجئين للمساحة التي كانوا يستغلونها، عدا عن الآفات الصحية التي

---

[190] لبيب، قدسية. **موسوعة المخيمات الفلسطينية.** 1990: ص79.

[191] أبو ابراهيم، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.

كانت تخلّفها هذه الممارسات، إلى حين قامت وكالة الغوث بإنشاء حمامات عامة من الباطون، وخصصت وحدات للنساء، وأخرى للرجال، اختفت هذه الوحدات مع سعي اللاجئين إلى بناء مرافق توفّر لهم الخصوصية.

كما اعتمد اللاجئون على خدمات الوكالة في الجانبين الصحي والتعليمي، والتي لا تزال وكالة الغوث ناشطة في تقديمها للاجئين، بالرغم من القصور التي تعتريها.

وأخيرا لا بد من ضرورة الإشارة إلى أن اللاجئين كانوا مدركين طبيعة السياسة التي تمارسها الوكالة، والتي عبّر عنها المبحوثون بشراء صمتهم، مقابل منحهم لتلك المعونات، إلا أنهم لم يكونوا قادرين على الوقوف في وجهها ورفض ما تقدّمه، وذلك لأنهم كانوا على أمل بالعودة القريبة إلى مدنهم وقراهم الذي هُجّروا منها، كما أنهم كانوا مُعدمين تماماً وبحاجة إلى خيط للنجاة من الموت لهم ولأطفالهم، فطبيعة الحياة اليومية التي كان يحياها اللاجئين في بدايات إنشاء المخيم، فرضت عليهم الصمت وعدم التعبير عن آرائهم السياسية، وذلك للحفاظ على استمرارية حياتهم والتي كانت تقوم على ما تقدّمه الوكالة لهم.

2.2.3 وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" حسب الجيل الثاني:

كانت معلومات الجيل الثاني حول وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين أكثر تحليلا وأعمق نظرة مما كانت عليه شهادات الجيل الأول التي اقتصرت على واقع التجربة، إذ غلبت على روايتهم تحليل سياسة الوكالة تجاه اللاجئين، تحدّث أبو مظفر عن فترة وجود الخيام وآلية توزيعها قائلا:

> الخيام ظلت ل 1958، استمرت الخيام عشر سنوات، لما طلعنا من الخيام كنت في الصف الرابع، الوكالة كانوا عاملين مخطط هندسي وحسب الارقام هم تقريبا راعوا شوية انه اهل البلد قد ما كان يسكنوا في حارة، طبعا هذا البنى ما كان محل الخيمة، ولا حد البنى اجى محل خيمته، صارت حالات بسيطة انه حدّ يوخذ محل واحد ثاني، كلو كان حسب الرقم مثلا احنا كنا ساكنين فوق عند دار ابو غياز، وقت البنى طلعلنا هان خلص ارحل، يعني اللي جهة المقبرة مطلعش فيها ولا دار، ما انبنى فيها اللي هي حارة الدوايمة الان ظلت فاضية مع انها ضمن حدود المخيم.[192]

كانت معاناة العيش في الخيام قد وصلت للجيل الثاني فكانت شهادة رمضان:

[192] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.

بذكر الخيمة وانا صغير وبذكر انه عانينا كثير في الشتا الخيمة انمزعت ونزل علينا الثلج وكان ابوي متضايق جدا مش عارف يدبر حاله كثير فراح جاب حجار كبار ونادى صديق اله وبنى غرفة من حجار وحطلها زينكو منشان احنا نإوي فيها لما الخيمة تتضايق ضلينا في هاي السقيفة وكانت تعتبر ثروة اللي عنده سقيفة يقعد فيها.[193]

كما وتحدّث رمضان أيضا عن وجود مرافق عامة للنساء والرجال كل على حدا قائلا:

أنشأت وكالة الغوث حمامات للرجال وللنساء كان تقريبا في كل حارة حمامين واحد للرجال والآخر للنساء، ولكن آلية استخدامه إنه وقت تروح عند الحمام لازم تصدر صوت عشان إذا فيه حد بالحمام ما تدخل عليه أو يفهم انه فيه حد بستنى فيه، وكانت أعداد هذه الحمامات مناسبة بالنسبة لأعداد اللاجئين في الوقت هذاك خصوصا انه ما كانوا كثار مثل اليوم، بس كانت مناسبة مع انها ما كانت مريحة.[194]

حول سياسات الوكالة التي اتبعتها منذ بداية نشأتها وعملت على تطبيقها على اللاجئين في المخيم والتي لم تظهر جليا في حديث المبحوثين من الجيل الأول، فيقول أبو مظفر:

الوكالة كانت جاية ومعها مخططات سياسية بدها تقوم فيها: أول مخطط كان: التهجير تم بصورة مبطنة، اشتغلت الوكالة على تهجير الناس للبرازيل وكولومبيا مقابل كرت المون، بتوديهم عالمناطق الفقيرة، كانت تساهم في تهجير اللاجئين، كانوا يعطوه بطاقة يكتبوا عليها frozen on يعني مجمّد، ومقطوع لا يضاف عليه ولا اشي، يعطوه تذكرة بالسفينة مش بالطائرة، يقعد بالطريق شهر، شهر ونص ليقول هيني وصلت، يودوه ذهاب بلا اياب، يرموه في البرازيل أو في كولومبيا، يعطوه بس حق التذكرة، الطريق اللي بتروح وما بتعاود، بقيت أشوف وانا صغير وقت واحد بدو يطلع يطلب تكسي من رام الله يطلعن النسوان يعيطن وراه ما تقولي الا عزا وماشيات بجنازة، لانه عارفين مش رح يرجع، بيجي 3 -4 الالاف اللي طلعوهم من المخيم.

الخطة الثانية اللي عملتها الوكالة تيجي البعثات السعودية توخذ معلمين او مهنيين يفتحولها مقر في قلنديا يتعاقدوا مع كل اللي بالمعهد مرة واحدة، تشغيل في الدول الثانية، وتهجيرهم بطرق غير مباشرة لأمريكا الجنوبية عالبرازيل وكولومبيا، طبعا الناس الظروف بتحكم الناس هلأ السوريين بطلعوا وبغرقوا لانه هاربين من حرب وجوع.[195]

[193] رمضان، 62 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[194] رمضان، 62 عام، تاريخ المقابلى: 2014/5/19
[195] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.

تطرّق أبو مظفر للخدمات والاسهامات المثمرة التي قامت فيها الوكالة للاجئين في المخيم فيقول:

> في شغلة منيحة عملتها الوكالة في مخيمات اللاجئين، عملت مكتب مدير المخيم، وكان مسؤول عن مغفر الجيش الاردني، ما سلمتهم اللاجئين لإلهم، حافظوا عالمخيم ما يجوا سعوديين او كويتين يستغلوا اهل المخيم، ممنوع يدخل المخيم لازم يروح عند مدير المخيم ويطلب منه، لانه في الاردن مثلا فتحوا المجال لكل سفلة العالم، وكمان في التعليم، الصحة، الاغاثة، الاغاثة كانت في البداية جيدة، ولكنها تقلصت في النهاية واقتصرت على الحالات الاجتماعية المحتاجة، والتعليم طبعا فادوا اللاجئين ساهموا بصورة جيدة، كانت مدارس الوكالة من افضل المدارس، وكان هذا بسبب انه اللاجئين خسروا كل شي فاصرارهم عالتعليم قوي جدا وما في ارض فاهمتوا هم بالتعليم مش لانه مدارس الوكالة كانت هي الافضل لانه اداء الطلاب كان اقوى.[196]

نستخلص من حديث المبحوثين من الجيل الثاني، أنهم استندوا إلى التحليل السياسي لوجود الوكالة، والذي اختلفوا فيه عن حديث المبحوثين من الجيل الأول، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة اليومية والظروف المحيطة باللاجئين في تلك الفترة فاعتمادهم على الوكالة لم تكن بالدرجة ذاتها، فاللاجئ أصبح قادرا على تأمين عمل في الدول العربية، وكذلك اعتمادهم على التعليم كمصدر دخل، نجح الجيل الثاني في اكتساب الرواية حول المخيم ونشأته في ظل وكالة الغوث الدولية من الجيل الأول، فكان قادرا على التعبير عن علاقة اللاجئ بالوكالة في تلك الفترة.

3.2.3 وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الدولية "الأونروا" حسب الجيل الثالث:

كانت معرفة الجيل الثالث حول الخيام متفاوتة تبعا لتشبّعهم بتجارب أجدادهم وآباءهم فمنهم من اقتصرت معلوماتهم على وجود الخيام في بداية الأمر عندما أتى اللاجئون للمخيم في الوقت الذي كان لديهم لُبس في الجهة التي تولّت عملية نصب الخيام في بادئ الأمر، فكانت إجاباتهم مشوشة وغير منتظمة، والبعض الآخر كان على دراية ومعرفة نتيجة للانخراط في روايات اللاجئين والقيام بأبحاث حول القضية الفلسطينية، فكانت رواياتهم كالآتي:

نورة:

> الأردنيين والصهاينة هم من وضعوا الخيام، لا مش الوكالة، يمكن اللي بعرفه إنهم بنولهم بعد الخيام وهيك.[197]

ربى:

---

[196] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.
[197] نورة، 21 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

صراع مع الحياة مع البقاء، في زلمة الله يرحمه ابو الراسم، قالي صدقي يا بنتي انه في ناس دخلت القبر من الجوع، في ناس ماتت جوع، أم عايشة وهيجر توفت قالتلي بقاش علينا الساترة، مش حرام رجليها يبينن، ما فش كلو مخزق، في اطفال توفوا، وانتشرت الامراض والقمل بشكل رهيب، وصلتهم بضاعة فاسدة، ناس ماتوا في الدزنطاريا والتيفوئيد، في ناس من ايام الخيام لهلأ بالمخيم بعانوا من اعاقة لحد اليوم، غير الي ماتوا في الثلج، بدها الناس تتدبر حالها بالخيمة، لما سكنوا الخيم حياة صعبة لا تصدق، بالنسبة للتنظيم بالاول حطتها الوكالة هيك، بعدين الناس طلبت وصاروا يعملوا حارات حارات، في ناس غيروا مكان خيمتهم بالتراضي، لانو كانوا يطلعلهم بالقرعة، وكمان في شغلة إنه الناس كانت حانقة عالصليب الأحمر بالرغم من إنه ساعدهم إلا انهم كانوا حاسين انه بس عشان ينصطهم ويظلوا ساكتين، حياة امي خرفتني بقوا يغنوا:

الصليب لحمر كبو طحينو بوح في العرض يلعن حريمو

الصليب لحمر كبو رزاتو بوح في العرض يفضح خواتو"[198]

لم يتمكّن أبناء الجيل الثالث من الخوض بالحديث حول المرافق والخدمات العامة التي وفرتها الوكالة للاجئين ولم يستطع إعطاءنا أي معلومات عنها، ويظهر أن هذا يعود لأكثر من سبب، كأن أجدادهم توفوا وهم صغار، لذا لم يكن لديهم من يروي لهم عن تلك الفترة، ومنهم من علل عدم درايته بأنه لم يحظ بفرصة للعيش مع أجداده الذين توفّوا قبل أن يأتي إلى الحياة، وآخرين إلى عدم وجود تواصل كافٍ وذلك بسبب ضمور العائلة الممتدة، واقتصارها على العائلة النووية، وهذا يعني الاقتصار على الزيارات فقط، كما لقلّة فضول أبناء الجيل الثالث وعدم توجيه الأسئلة والاستفسارات لمعرفة الكثير حول فلسطين ما قبل النكبة، أما العينة الأخرى فكان بعض المبحوثين الذين تمتعوا باهتمام شخصي بإجراء بحوث ودراسات أكاديمية حول حياة اللاجئين في المخيمات، وكذلك الانصات لصوت اللاجئين الفلسطينين والاهتمام بروايتهم.

نستخلص من رواية أبناء الجيل الثالث، أنهم يعانون من نقص في البنية المعرفية حول نشأة المخيم، وكيف أثرت الوكالة في تلك النشأة، كما لعبت العديد من العوامل في تفاوت قدرات المبحوثين بالحديث عن المخيم وعلاقة اللاجئ بالوكالة، كالمستوى التعليمي والاهتمام الشخصي بالقضية الفلسطينية، هذا من جانب، ومن جانب آخر الخلل الذي يعتري تناقل الرواية بين الأجيال، كما أسلفنا سابقا.

بعد أن استعرضنا أولى مؤسسات المجتمع المدني الرسمي (وكالة الغوث الدولية) على امتدادها التاريخي حتى أيامنا هذه سننتقل بالحديث عن مؤسسات المجتمع المدني ضمن فترات تاريخية بما يخدم أغراض الدراسة ولا يخرجها عن مسارها لذا

[198] ربى، 42عام، تاريخ المقابلة: 2104/7/2.

سنتطرق إلى: الحكم الأردني (1948-1967)، والحكم الإسرائيلي (1967- 1987)، وأخيرا السلطة الفلسطينية (1993-2014)، وسنعتمد في حديثنا الرواية الشفوية عبر الثلاثة أجيال.

4.3 الحكم الأردني (1948-1967) حسب الجيل الأول

أفرزت حرب النكبة وقوع الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية تحت الحكم الأردني، وكانت المخيمات الفلسطينية ومن ضمنها مخيم الجلزون إحدى مراكز الحكم، والتي امتدت منذ (1948-1967)، أثرت تلك الفترة على حياة اللاجئين في المخيم، وحملت معها العديد من السمات التي تركت بصمتها في ذاكرة اللاجئين، وآلية انتقال تلك الفترة من جيل إلى آخر عبر الرواية الشفوية، وكيفية قراءة كل جيل لطبيعة المنظومة المؤسساتية الرسمية، وأثرها على هويته.

1.4.3 الواقع السياسي والجانب الأمني:

تحدّث المبحوثون من الجيل الأول في روايتهم عن الفترة التي عاشها المخيم تحت الحكم الأردني، واختلفت آراؤه في تقييم طبيعة الحكم، فمنهم من اعتبره عصيب وسيء، وأذاقهم الويلات وكان السبب في الكارثة التي حلّت بفلسطين، ليصبحوا لاجئين، فيما عبّر الطرف الآخر عن الاستقرار والأمن الذي عاشه المخيم في الفترة التي تولاها الحكم الأردني فكانت روايتهم كالآتي:

أم عليان:

> صارت مشكلة بينا وبين الاردنية هينا بقوا في المغفر يا ستي وبعدين ابصر مشاكل صارت بينهم صاروا من عند المدارس دودودود(تعبيرا عن صوت إطلاق النيران)، يطخوا الاردنية قتلوا واحد من دار الكسبة هيم بقربوا لدار حسن العيشاوي قتلولهم شب وانتوا يا ويلي يا هالنبالية فش فينا نبالي الحقوا هالعريس كسوته في العقدة هاظا اردني قتلوه بسطّوا راسوا الله يبسط روسهم، هاذا محّه عالارض، وهذولا شافوه الاردنية وانجنوا شو تقولي صارت مشاكل بينا وبين الاردنية شايفة عمر الواحد ما يمشي الا دغري، ما بنفعك غير وجه الله، الحكم الاردني ولا خدّمتنا ولا شي، والله الورد يا ستي هيك يقولوا فيه هذول الاردنية " تقصد انهم كانوا يعتدوا على ممتلكات الناس ويقوموا بتخريب الورود والزراعة للناس، حصرونا يا ستي وصاروا يشحدوا منا حطب، حاشرينا اربعين يوم واحنا بعيد عنك اللي عندو جاجه يذبحها، اللي فش يظل قاعد، بقوا يدفعوا عليهم الاردنية هالباب ويقتلوهم الناس يطقشوا ايديهم، وقالوا وقتها بدهم ينسفوا المخيم نسف وجابوا الدبابات عالشارع الفوقاني بعدين بطلوا، ولما مات الملك عبد الله قال اجو عالمخيم يوخذوا نسوان عشان يعيطن عليه ويلطمن، من كثر ما هو منيح كاين مش الناس بتكره

سيرته من كثر ما عجّب ايام كانوا حاكمينا الاردنية بس الفلسطينيات شاطرات شو بقين يغنين وتقول:

يا لبسات الحبر حدين والبسن مخمل حدين ع ملكن قتال ولا بين
يا لبسات الحبر حدين والبسن صيني حدين ع ملكن قتال فلسطيني

ويقولن:

هاتولنا حسين تا نشوف شو بدو كل اللي جرى منه ومن جده
هاتولنا حسين تا نشوف شو مالو كل اللي جرى منه ومن خالو.[199]

على النقيض عبّر أبو محمد عن محاسن الحكم الأردني قائلا:

بعد الاردن ما فيه، بقى فش حد يستجري يقول للثاني وين رايح ولا وين جاي، اليوم فوضى وقايمة، بقاش حد يستجري يسكر ويخمر بقى فيه نظام، بقت هي حافظة الأمن بس، هي الاردن بقت تحارب عشان نرجع عالبلاد طبعا لا الاردن قوية صحيح قوية، بس بتحفظ الامن مش اكثر.[200]

2.4.3 الجانب المعيشي وفرص العمل:

أجمع أغلب المبحوثين على توفر فرص عمل فترة الحكم الأردني بالرغم من ضبط حريات الناس وذلك خوفا من حدوث الفلتان الأمني، فتحدّث لنا الحاج أبو خليل قائلا:

اشتغلنا ع (على) زمن الاردن، الواحد بقى مش لاقي شغل عقد ما كان الاجر قليل بس اشتغلنا، بس بقاش الواحد يقدر يتنفس صوت العرب هاذه جريمة اللي بفتح عليها اللي يسمعوا فاتح عليها يقتلوه ويعجبوا عليه، اما عالاردن افتح واسمع، يعني كنا باختصار عايشين الهوان، كانوا راصينا زيادة عن اللزوم، وخصوصا وقت صارت المشكلة مع الجيش الاردني وطخوه ابن الكسبة وقاموا اهل المخيم وقتلوا الجندي، اجت اوامر عليا انه صفوا الدبابات على ظهور الجبال واستنوا الاوامر لتقصفوا المخيم كله، كانوا يمنعوا علينا التجول، بقت حياة ذل ومهانة، كنا عايشين من قلة الموت.[201]

يمكننا القول أن روايات الجيل الأول من المبحوثين لامست واقعهم المعيشي فكانت روايتهم توصيفا لما عاشوه تحت الحكم الأردني، بعيدا عن الخوض في عراك السياسة التي كانت تتبعها الحكومة الأردنية، فنظروا للعمل في الأسواق الأردنية فرصة ذهبية لتوفير لقمة العيش، والنهوض بمستوى الأسرة، ونظر البعض منهم إلى التضييقات على أنها حفاظ

[199] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[200] أبو محمد، 85 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[201] أبو خليل، 75 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

على الأمن، ومنهم من عارض تلك التضييقات ووصفها بالمذلة والمهينة، فوضع الفرد نفسه قد يكون حكم روايته، فمن الممكن أن الفرد ذاته كان في ذلك الوقت يعمل في الأردن، أو له أقارب، فينعكس ذلك على نظرته لمنظومة الحكم، أما الآخرين فقد يكونوا بعيدين كل البعد، ويكونوا أفراد لم ينخرطوا في أسواق العمل الأردنية في تلك الفترة.

5.3 الحكم الأردني (1948–1967) حسب الجيل الثاني:

أتت روايات الجيل الثاني على قدر من الوعي والإدراك بتلك الفترة، خصوصا أنهم كانوا قد عاشوها، وغلب على روايتهم الطابع التحليلي النقدي وكانت روايتهم كالتالي:

أبو مظفر نظر للسياسة التي اتبعتها الحكومة الأردنية نظرة أخرى تحمل أهدافا سياسية بعيدة الأمد، فقال:

> الحكم الأردني أجى نتيجة انه الجيش الاردني ظل في الضفة الغربية مانسحبش منها دافعوا عن ما تبقى منها الحق يقال، بدناش نظلمهم بحدود بدرس والمناطق هذه وقلقيلة اللي كانت مستهدفة من قبل اليهود، قاتلوا في معركة شرسة في اللطرون، قتلوا عدد كبير من اليهود، ثبتوا في مواقعهم، زي ما ثبت الجيش المصري في غزة، وحافظوا على بقائها، وهذول نفس الاشي حافظوا على بقاء الضفة والقدس طبعا مش كل القدس بس القدس الشرقية، هلأ صار اتفاق مع الاردن جابوا مؤتمر في اريحا عأساس يضموا ما تبقى من فلسطين للاردن فيه قسم وافق من الفلسطينية وقسم ما وافق، اللي وافقوا كانوا اقوى تقريبا ومدعومين من الملك عبد الله، وسموا الضفة الشرقية، الخطورة تكمن فإيش كانت تكمن إنه الاردن ما فتحت المشاريع والشغل عنا ظلت الحكومة موظفين لا فتحوها في الاردن، والعاصمة حطوها في عمان بدل ما يحطوها في القدس واليهود كانوا بدهم القدس وهم عارفين، كمان إعطاء الجنسية الأردنية، وسحب الهوية الفلسطينية سكان الضفة الغربية سواء الحامل جنسية أو لا فهو مواطن أردني أصبحوا قدام العالم لا يحق له العودة إلى فلسطين، يعني ما ظل مع السكان غير بطاقة المؤن، وهذا مخطط خطير قد يكون عربي صهيوني لسحب هويتهم الفلسطينية، بخلاف اللاجئين اللي في سوريا، ولبنان، اللي كانوا لاجئين مش مواطنين.
>
> التعامل الاردني مع الفلسطينيين في الضفة الغربية بشكل عام مش مزبوط، يعني الواحد كان يُعامل حتى وهو قاعد في أرضه يعامل كمواطن من الدرجة الثانية، الواحد اللي يقول انا فلسطيني هان أو رام الله ينسجن وهذا يدل على خطورة الأمر، كمان الشغل وقت الواحد بدو يفتح مصنع أو اشي، ممنوع يفتحه هون، لازم يطلع يفتحه بالاردن، وهذا يعني الاستثمار بكون خارج فلسطين، وهذا يعني إنه تفريغ بصورة غير مباشرة ساهمت الاردن فيها واستخدمتها مع اللاجئين في المخيم.[202]

[202] أبو مظفر، 67 عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.

اتسمت رواية أبناء الجيل الثاني بالتحليل السياسي، ويعود ذلك إلى جانبين: الجانب الأول مستواهم التعليمي، إذ أدرك اللاجئزن أن التعليم يشكّل لديهم رأسمال يؤهلهم للوقوف والاعتماد على ذاتهم في الحياة، بعد أن فقدوا الأرض وأصبحوا لا يملكون شيئا، فسعوا إلى امتلاك الشهادات والالتحاق في صفوف التعليم الجامعي والمعاهد التدريسية، الأمر الذي انعكس على قدرتهم التحليلية، أما الجانب الثاني فيرتكز على طبيعة الحياة اليومية التي اختلفت عن حياة الجيل الأول الذي كان مُعدما كل همه قوت يومه هو وأطفاله.

6.3 الحكم الأردني (1948–1967) حسب الجيل الثالث:

تأرجحت آراء المبحوثين من الجيل الثالث، إذ لم تكن لديهم المعلومات والوعي الكافي للحديث عن فترة الحكم الأردني فكانت معلوماتهم سطحية وعائمة، ومنهم من استهجن وجوده أصلا، ومنهم من استطاع إعطاء جزء بسيط من رواية أجداده، وكانت روايتهم كالتالي:

تحدثت نرمين باستهجان حول الحكم الأردني للمخيم فقالت:

الأردن– اليوم عرفت منك أنه الأردن حكمت المخيم!!.[203]

واتفقت معها سديل باستغرابها الواضح فقالت:

ما سمعت فيه أصلا! جد كانوا الاردنية يحكمونا هان؟!.[204]

أما رواية نورة فكانت بناءً على ما رواه لها جدّها حول تلك الفترة فتقول:

> الحكم الأردني بسمع سيدي إنه كانوا كتير لوئما وكانوا كتير يقتلوهم، وكان سيدي يحكي انه في ناس مدفونين في زقاق المخيم، وكمان من دكتورنا كان يحكيلي حتى لما دخلو المستعمرين ع (على) بلادنا ع (على) إنهم اردنيين وصارت الناس تهللهم ورفعوا شعار الاسلام واحنا بنهللهم واستعمرونا.[205]

[203] نرمين، 21 سنة، تاريخ المقابلة: 2014/6/28.
[204] سديل، 24 عام،تاريخ المقابلة: 2014/5/19.
[205] نورة، 21 سنة، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

عبّر معاذ عن استياءه من الحكم الاردني للضفة والمخيمات فقال:

> النظام الاردني اكبر نظام متخاذل وعميل مع اسرائيل، حتى لما ضمّت الاردن الضفة عملت على أردنة المواطنين، وسحب هويتهم الفلسطينية، وبالتالي هذه سياسة ممنهجة إنهم يلغوا وجود الفلسطينين كلاجئين وبهيك بلغوا وجود القضية، وسياسته اتجاه اللاجئين المذلة.[206]

كانت رواية كل من شريف وعلاء عامة وواسعة فتحدث شريف:

> أنا بصراحة مش كثير لا خضت نقاش ولا سمعت كثير بقدر ما بعرف عن التجنيد والانتخابات والبرلمان من الجهتين، وانه كان هناك حالة من القمع خصوصا للمخيمات وقت صارت حرب 67 وكيف كان ممنوع الراديو.[207]

أما علاء فقال:

> صدقا لا ما بعرف عن الحكم الأردني وحكمه للمخيم بس نفس المعلومات اللي بنعرفها بشكل عام عن حكمها للضفة انه كان حكم استبدادي وانه حكم اليهود ارحم من حكم الاردنيين النا علاقة الناس معه كان علاقة مع المحتل الاردني.[208]

تنوّعت آراء المبحوثين من أبناء الجيل الثالث، فكانت معرفتهم بتلك الفترة من تاريخ المخيم وانعكاسها على اللاجئين فيه، تتأرجح بين المعرفة السطحية، والجهل التام، مع حديث بعضهم عن السياسة التي كانت تهدف إليها الحكومة الأردنية من خلال منح الجنسية الأردنية للاجئين الفلسطينين، والذين أوضحوا أنها كانت تهدف إلى تذويب القضية وتوطين اللاجئين.

انتهى الحكم الأردني باحتلال القوات الصهيونية للضفة الغربية وقطاع غزة بما فيها القدس الشرقية، وبذلك دخلت الضفة الغربية وقطاع غزة حقبة جديدة من الحكم، والذي سنسلط الضوء عليه في هذا الجزء من الدراسة بالفترة الممتدة ما بين (1967-1987م).

---

[206] معاذ، 22 عام، تاريخ المقابلة: 2014/6/3.
[207] أشرف، 36 عام، تاريخ المقابلة: 2014/7/20.
[208] علي، 27 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/29.

7.3 الاحتلال الاسرائيلي (1967–1987م) حسب الجيل الأول

حملت تلك الحقبة العديد من التغيّرات، خصوصا وأن نظام الحكم أصبح استعماريا استيطانيا صهيونيا، يسعى إلى تثبيت وجوده وطمس الهوية الفلسطينية، تركّز النقاش حول جانبين أساسيين: الجانب الأمني، والجانب العملي والحديث حول حياة الناس اليومية والاقتصادية، وذلك بالاعتماد على الرواية الشفوية للأجيال الثلاثة.

1.7.3 الجانب الأمني:

بداية الإحتلال كان مظلما وغامضا بالنسبة لسكان المخيم فتحدّثنا أم صالح كما حدثنا غيرها من المبحوثين حول الالتباس الذي وقع فيه الناس عند دخول الاحتلال الصهيوني للمخيم فتقول:

> في ال 67 لما صارت الحرب، ووقعت الحرب صاروا الناس مرقوا اليهود من هون، ولحقوا الناس اليهود بحسبوهم جيش عراقي، قالوا هي هذي قوات عراقية، اخذوا الهم مي وخبز بدهم يطعموهم، والا هم بقولوا روخ من هون، قالوا هي رجعوا قالوا يا عمي هذا جيش اسرائيلي، هذول يهود، والناس وقتها رفعت الراية البيضا فوق الدور ويلا عشان انه احنا بدناش نطب فيكم، وصار خلص عرفوا صاروا هاللي بخافوا على حالهم ويوخذوا عيالهم ويشردوا، صاروا يشردوا راح نص الجلزون على عمان، أنا مرظيتش أطلع وقتها حياة جوزي قالي يلا بدنا نروح عجفنا قلتله انا مش طالع جبنا هالصغار وقعدنا تحت حرامات عملناها زي معرّش وظلينا بقوا يمرقوا اليهود ونشوفهم من شقوق الحرامات، ومطلعناش وين بدي اطلع وولادي صغار.[209]

يلاحظ من رواية أم صالح أن اللاجئين داخل المخيم تعرّضوا لهجرة مرة أخرى بفعل دخول الاحتلال الاسرائيلي، وقد أشار العديد من المبحوثين إلى تهافت العديد من اللاجئين للخروج من المخيم إلى أماكن أخرى خارج حدود المخيم، إلا أن الغالبية العظمى اتجهت نحو الأردن.

كانت رواية أبو خليل حول معاملة الاحتلال الاسرائيلي لأهالي المخيم فقال:

> دخل الجيش الاسرائيلي كل فترة والثانية ينزلونا عالسوق نموت من السقعة تحت يقولوا من ال 15 لل 40 عالساحة واللي بنلقاه في الدار بتعاقب والله كانوا يقعدونا والله خطرة شتت علينا شتوة، واللي يتعاطف معنا ميخلوهوش يوصلنا حتى، اولها كنا احنا

[209] أم صالح، 70 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/15.

متضايقين، بعدين فلتوا الناس عالشغل، لكن الاشي خرب بعد العمليات والنسف والفدائية، صاروا اليهود ميأمنوش، انا اشتغلت 13 سنة عند اليهود، اشتغلت في النبي يعقوب، وفي صور باهر، كنت تمرجي اشتغل، كنت اوخذ حوالي 13 ورقة وكان الاشي رخيص، كنا احنا واليهود مع بعض ونوكل ونشرب، شو طالع بإيدنا بدنا نشتغل ونعيش مجبور يعني مش بخاطري.[210]

2.7.3 الجانب العملي والطفرة الإقتصادية:

أشارت أم عليان إلى تزايد فرص العمل للفلسطينيين فقالت:

يعني الناس صارت تشتغل، هالناس طالعين من هجرة، لا وراهم ولا قدامهم وقت اجو هالمقاطيع فتحوا اشغال للناس، صاروا عمال، يحجروا يرصفوا بشوارع وهيك، فتحوا مستوطنات وصارت الناس تشتغل عندهم مجبورة بدها تعيش لأنه الزلام زهقت من القعاد، وكل واحد عنده عيلته، اه الحياة صارت احسن.[211]

8.3 الإحتلال الإسرائيلي (1967–1987) حسب الجيل الثاني:

اتفقت رواية الجيل الثاني مع رواية الجيل الأول، إذ أكد أغلب المبحوثين على اعتبارين أساسيين عند حديثهما عن فترة دخول الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية، والتي تمثّلت بزعزعة الجانب الأمني، وفتح الأسواق الاسرائيلية أمام العمال الفلسطينين مما أدى إلى بحبوحة اقتصادية، إلا أن اللافت في روايتهم أيضا الطابع التحليلي العميق.

تحدث رمضان عن ذات الخدعة التي واجهت الجيل الاول باعتقاد الجيش الاسرائيلي هو جيش عراقي أتى لتحرير فلسطين وتقاعس الجيش الاردني عن المواجهة لعدم وجود أوامر، وتحميله المسؤولية فيقول:

في حرب ال 67 كانوا اليهود عنا كانوا بالدبابات واحنا بنفكرهم الجيش العراقي وقالوا انضبوا في البيوت وقت عرفنا انه يهود انضبينا، ما اطلق الجيش الاردني رصاصة واحدة وتم سحب الجيش، انسحبوا انسحاب، واحنا جزء من هاي البلد زي ال 48 فش قرار بالمواجهة.[212]

تخريب التعليم كان أحد السياسات التي اتبعتها ادارة الحكم العسكري عند دخولها الضفة الغربية، وكانت تهدف من خلال ذلك إلى استثمار أكبر قدر ممكن من الأيدي العاملة في الأسواق الاسرائيلية، فيقول أبو مظفر:

---

[210] أبو خليل، 75 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.
[211] أم عليان، 72 عام، تاريخ المقابلة: 2013/6/29.
[212] رمضان، 62 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

بعد الحرب 67 اصبحت تحت الحكم العسكري، أول حاجة عملوها تخريب التعليم وخصوصا مدارس الحكومة، وفتحوا سوق العمل في اسرائيل للشعب الفلسطيني والعمل واحد في مجال البناء وتوظيف فش فكثير عدد من الطلاب صار يتسرب من التعليم ويتوجه للعمل الاسود لانه هم بستغلوا الناس لفترة معينة وبعد ما تخلص منهم بتكبهم بصفوا عالة، التعليم اضمحل ايام اليهود، والجامعات فتحت لحالها ولكن اليهود عملوا على تخريب مهنة التعليم لأهداف مدروسة ومخطط لها.[213]

9.3 الاحتلال الاسرائيلي (1967–1987) حسب الجيل الثالث:

كانت معلومات الجيل الثالث والرواية التي يحملها تتوقف على مدى إلمامه وثقافته بالفترات التي مرّت بها فلسطين، فكانت رواية ربى:

دخول الاحتلال الصهيوني اوجدت فرص عمل صفرية فتحوا مجال عمل في المزارع استغلونا، بلشوا يخربوا شبابنا، صار عنا نظام الليشكا، اللي هو عبارة عن سيارات كبيرة مثل الباصات، بتوقف بالسوق بتعبي صغار /كبار/ نسوان /زلام وبشتغلوا بنظام المياومة بشتغل بهالحقول وبروح، ظلت للسبعينات، حرقوهم الشباب، وفي الانتفاضة كتير تم القضاء عليها، اسرائيل فتحت المجال للشباب يشتغل برة، وكثير شباب مش عاجب الجانب الصهيوني ما برجعوا بخلوه برة، وكمان حسبوها لما فتحوا انه الشباب تهاجر انهم بجيبوا مصاري وبصرفوها هون وقت يبعتوها لأهلهم، فهي لعبتها عالشقتين، منه ارتاحت من الشباب اللي ممكن يعملوا اشياء نضالية، ومنه أخرجتهم من فلسطين وببعثوا مصاري لأهلهم وبصرفوها هون اللي بخلي اقتصاد الصهاينة ينتعش.[214]

في الوقت الذي لم يتمكن أغلب المبحوثين من الجيل الثالث من إعطاء معلومات عن تلك المرحلة إلا أنهم نظروا لتلك الفترة نظرة مختلفة، فكانت روايتهم:

سديل:

بالمدرسة كأني سمعت عنه، بس بصراحة مش ذاكرة إشي منه، بس مهو لليوم الاحتلال موجود، يعني لو مش زي قبل بس صاروا يشتغلوا بطرق خفية، اسقاط الشباب، وتجنيدهم لصالحهم، المخدرات اللي بنشروها، وكثير شغلات".[215]

---

[213] أبو مظفر، 67عام، تاريخ المقابلة: 2015/4/28.
[214] ربى، 42 عام، تاريخ المقابلة: 2014/7/2.
[215] سديل، 24 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/19.

نورة:

بظن إنه صاروا يحطوا بصمتهم على كل إشي، ويتدخلوا بحياة الناس بس أكثر من هيك ما بعرف.[216]

نرمين:

عن فترة الاحتلال الاسرائيلي والادارة المدنية ما بعرف بس أنا ما بشوف فيه فرق الخطط الاستعمارية والاستيطانية ماشية، كل يوم بزيدوا عالمستوطنة وحدات سكنية، كل فترة بسكّروا الطريق لرام الله وبنتبهدل لنوصل وهي دقيقتين، سياسة الاذلال اللي من يوم ما اجو مستمرين فيها، يمكن التأثير اللي بتسأليني عنه ما بحس فيها أنا بحس فيه ابوي أو سيدي، بس انا بحس باللي عايشته، الشهيد محمد الرمحي، والجريح عطا شراكة كلهم بيروحوا نتيجة انه فيه احتلال.[217]

يمكننا ملاحظة الاختلاف بين روايات الأجيال الثلاثة حول طبيعة الحكم الإسرائيلي للمخيم والتي ظهرت من خلال استمرارية الحدث لدى الجيل الثالث، بخلاف الجيلين الأول، والثاني الذي ركّز على جانبين وهما: طبيعة الجانب المعيشي الذي تعرّض للعديد من الإرهاصات والممارسات الإسرائيلية تجاه التعليم، والسعي الدائم لتخريبه، وهذا ما ركّز عليه أحد المبحوثين من أبناء الجيل الثاني، أما الجانب الآخر فكان فتح سوق العمل أمام اليد العاملة الفلسطينية والذي كان يدرّ أرباحا، ويحقق أهدافا للجانب الإسرائيلي كونه عمل مأجور ومؤقت، كزراعة الأراضي، جني الثمار والمحاصيل، بناء وحدات سكنية كالمستوطنات، في الوقت الذي أسهم بارتفاع مستوى معيشة اللاجئين، ودخولهم مرحلة من البحبوحة الاقتصادية، أما الجيل الثالث فكانت نظرته لتأثيرات وجود الاحتلال لا تقتصر على الفترة التي تسلّم فيها زمام الحكم في الضفة الغربية، والتي طالت المخيمات الفلسطينية أيضا بما فيها مخيم الجلزون، ولكنه نظر إلى استمرارية الحدث، وأن الاحتلال يوجد في كل الممارسات اليومية التي يعيشها اللاجئ، فأصبح يتعامل مع المكان بصورة سياسية بحتة، ليكوّن له الجريح، والشهيد، والأسير، وكل المضايقات التي يتعرض لها أبناء الشعب الفلسطيني نتيجة وجود الاحتلال.

تمخّضت العديد من المتغيّرات السياسية التي طرأت على الساحة الفلسطينية، والتي أفضت إلى إعلان اتفاق المبادئ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية لعام 1993، على أن يتم نقل بعض الصلاحيات من حكم الاحتلال إلى السلطة الفلسطينية ضمن أجزاء جغرافية معينة من الضفة الغربية وقطاع غزة،[218] في ظل استمرار الاستعمار الاستيطاني

---

[216] نورة، 21 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/21.

[217] نرمين، 21 عام، تاريخ المقابلة: 2014/6/28.

[218] http://www.moj.pna.ps/library.php?page=section&pid=114&section_parent=0&catid=26 استرجع بتاريخ 2015/1/23.

الصهيوني، وسنركز هنا على الجانب المعيشي والأمني، وطبيعة الحياة الاقتصادية للاجئين داخل المخيم، وإن كان التأثير غير مباشر، إلا أننا سنقوم بدراسة هذا التأثير على امتداد الأجيال الثلاثة.

10.3 السلطة الفلسطينية (1993–2014) حسب الجيل الأول

أظهر أغلب المبحوثين عدم الرضا على وجود السلطة وعبّروا عن استيائهم من المحسوبية والمحاباة التي تنتهجها السلطة في تعاملها مع الفلسطينين على حدّ تعبيرهم، فيما تطرّق آخرين إلى التحرّر الذي رافق قدوم السلطة، وانعدام الأخلاق في المجتمع والذي لم يكن ظاهرا في الفترات السابقة وكانت روايتهم كالتالي:

ابو إبراهيم:

السلطة شو عملتلنا؟ بس مثل ما تقولي ويقصد هنا (كما هو متعارف) بظلوا من دمنا ولحمنا أحسن من اليهود بس في المخيم معملولناش إشي، هاللي عندو واسطة وظّف جميع قرايبه في السلطة، وشغلة واسطات ومحسوبيات، المخيم تابع لليهود مش للسلطة، جابولنا اشي ايجابي؟ احنا اللاجئين انخرب بيتنا مهيك شايفة يعني هالقيادة اللي شايفينها مطالبة بحقوقنا، الكل نايم ولا حد سائل فينا، وبظلوا يماطلوا بالمفاوضات عادت اسرائيل بدها تعطيهم اشي، متعشمين عالفاضي، وإذا عالأمن شوفي قديش بستشهد شباب وولاد من المخيم كل سنة، يعني السلطة بتدخلش المخيم إلا بتنسيق مع اليهود.[219]

أم عمر:

السلطة سلطة عحالهم، لسة بقينا وقت اليهود مرتاحين والحياة احسن، من يوم ما اجو وانحشرنا احنا الناس، اللي في السلطة كل واحد رش شوية على قرايبو ومعارفه والشعب ظل مثل ما هو شو بدو يتغير عليه، هي وظائف فش، أيام اليهود بقوا هالعمال يشتغلوا عكلك يا حال يجيبوا مصاري، اليوم فش حتى الموظفين مش قابظين رواتبهم، والمخيمات بتتدخلش فيها السلطة بس زي ما قلتلك اللي بعرف حدا وبخصه بزبطه، وكمان تعالي شوفي الفلتان اللي عند الناس من وقت اجت السلطة، البنات بطلن يخافن، وين ايام بقوا يرشقوهن بمية النار اللي تطلع مشلحة ويلا لابسة حزق ولزق، اليوم فش حيا، والسلطة فش دين بقوا قبل يحافظوا على البنات، اليوم هيك شايفة الواحدة بتطلع هي واللي مش لابسة واحد حد بقولها وين رايحة؟ اللي فرح للسلطة أول ما اجت وهللها وزغرتلها فيه ناس طلعت بالمولد بلا حمص منهم، وفي ناس اكلت البلد كلها.[220]

11.3 السلطة الفلسطينية (1993–2014) حسب الجيل الثاني:

[219] أبو ابراهيم، 83 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/8.
[220] أم عمر ،80 عام، تاريخ المقابلة: 2013/7/4.

لم يتحدّث أبناء الجيل الثاني بشكل واضح عن السلطة الفلسطينية، وكان أغلبهم يتحدث في العموميات، وهذا ما يجعلنا نتساءل حول إحجامهم عن الحديث واقتصارهم على العموميات، فكانت روايتهم كالتالي:

أماني:

التأثير ممكن بالمخيم مش مباشر، يمكن زادت فرص العمل للشباب.[221]

أمينة:

كون في سلطة صار النا صوت، صاروا الناس يعرفوا اشي اسمو فلسطين وفيه ناس مظلومين فيه.[222]

عبد العزيز:

أتت بتمييع القضية، وهنا اود ان اقول على من تعب من مشوار المقاومة ليتنحى جانبا وليترك لغيره ممن لم يتعب ويواصل الطريق دون ان يتآمر عليهم دون ان يضع العقبات في طريقهم، لا يجوز ان نحرم الاجيال القادمة من ان تكون فلسطين كلها لهم جيلا بعد جيل، ومن حقهم ان يستلموا الراية مرفوعة، ليس من حق زعيم او رئيس او منظمة ان تساوم على مسألة حق العودة، فهو حق مشروع لا يقبل التقسيم والتفاوض.[223]

أديبة:

السلطة شغّلت هالشباب، يعني الناس كان ما يطلعلهم تصاريح اشتغلوا بالسلطة، واللي راح اشتغل بالسلطة مش محبة بالسلطة بس لانو بدو يوفر مصدر دخل.[224]

12.3 السلطة الفلسطينية (1993–2014) حسب الجيل الثالث:

تحدّث أبناء الجيل الثالث بصورة أكثر طلاقة وصراحة، فكانت روايتهم كالتالي:

ربى:

بلشو الشباب اللي كانوا في التنظيمات صاروا يشتغلوا في وظائف، تم تقنين العمل وسحب الحرية والكلام.[225]

نرمين:

[221] أماني، 48 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/27.
[222] أمينة، 52 عام، تاريخ المقابلة: 2014/6/22.
[223] عبد العزيز، 51 عام، تاريخ المقابلة: 2014/6/3.
[224] أديبة, 53 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/18.
[225] ربى، 42 عام، تاريخ المقابلة: 2014/7/2

السلطة زادت عنصرية الناس براة المخيم تجاه المخيم، زاد الحقد من المخيم على الناس خصوصا انه المخيم كان للناس الفقيرة للناس اللي ما معها، السلطة فرّقت الناس عن بعضها، فرص العمل مع السلطة بالنسبة الي اسوء لأنه المخيمات كانوا يعتمدوا على العمل في الداخل، بتمنى السلطة تروح، كمان طبعا ما اوجدت استقرار في المخيم.[226]

علاء:

السلطة ما الها اثر ملموس في حياة الناس، بس ممكن تمسك اللصوص نوعا ما، بس في المخيم ما بتشعري في وجودهم لأنها منطقة c، أوجدت وظائف بس شو وظائفها يعني يمكن بتطعمي الناس لانه وضعها مش دائم وضعها مكركب، يمكن ما استفدت من وجود السلطة كشخص هويتي بوخدها من عند اليهود، وقت بدي اطلع ممنوع أطلع برة فلسطين، ممنوع أدخل الأراضي المحتلة، يعني انا اعتقلت من قبل السلطة 12 يوم عشان يحققوا معي ليش اعتقلوني اليهود لمدة 3 اشهر وانا كنت طالب ببيرزيت، هل لانك من حماس، حسيت وقتها انه الاثنين كمبيوتر واحد.[227]

وفاء:

صار فيه فلتان بالاخلاق، يعني ازا الانتفاضة الاولى صار صحوة دينية مع دخول السلطة تقلّصت الصحوة الدينية، وصارت الحريات الفردية تعطي الناس الحق بإنها تتبجح في كل شيء في اللباس في التصرفات.[228]

من الواضح أن هناك اختلاف بين وجهات نظر الأجيال الثلاثة حول طبيعة وجود السلطة الفلسطينية فحمل الجيل الأول الكثير من الانتقادات التي وجهها تجاه السلطة، من انتشار المحسوبية، وانعدام الحسّ الأخلاقي وانحطاطه، إلى السياسات التفاوضية التي تمارسها السلطة، والتي أفضت إلى اللاشيء، بل على العكس كانت نتائجها سلبية على القضية الفلسطينية، وبالتحديد قضية اللاجئين التي تم وضعها جانبا.

الجيل الثاني كان أقل إفصاحا عن آرائه، وإن أبداها فكانت بحذر شديد، واقتصاره على الحديث بشكل عام على وجود السلطة والفوائد التي جلبتها كالتعريف بشكل رسمي على وجود الفلسطينين، وكذلك حديثهم عن فرص العمل التي وفّرتها السلطة لبعض الأفراد داخل المخيم.

الجيل الثالث كان الجيل الأكثر انتقادا وتصريحا عن آرائه تجاه السلطة، إذ نظروا لها من جانب سياسي على أنها وجه للاحتلال ومعاون له، وذلك من خلال التنسيق الأمني الذي تتبعه تجاه أبناء شعبها، عدا عن كبت حرية التعبير والكلام، ونشر نوع من الطبقية بين أبناء المخيم والآخرين خارجه، الأمر الذي شكّل عداءً بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد بسبب الصورة النمطية حول المخيمات، والتي تتمثل في الفقر والحرمان، كما تطرقوا للحديث عن الخلل المجتمعي في إفساح المجال للحريات الفردية، لتصبح الأمور خارجة عن حدود الأخلاق والعادات والتقاليد الفلسطينية.

---

[226] نرمين، 21 عام، تاريخ المقابلة: 2014/6/28.
[227] علاء، 27 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/29.
[228] وفاء، 37 عام، تاريخ المقابلة: 2014/5/28

14.3 الخلاصة:

نستخلص مما سبق أن مخيم الجلزون قد وقع تحت العديد من أنظمة الحكم، والتي اختلفت طبيعتها فمنها من كانت بمثابة "الحماية" كوكالة الغوث، والتي أتت كمؤسسة دولية إغاثية، والحكم الأردني، ومنها الآخر من أتى بصورة فرض السيطرة كالاحتلال الاسرائيلي، وأخيرا من أتى ليمارس السيادة على الأرض الفلسطينية كالسلطة الفلسطينية.

ومن الملاحظ أيضاً أن هذه المؤسسات منها ما هو قائم بأعماله كوكالة الغوث، والسلطة الفلسطينية، ومنها ما هو أصبح بمثابة تاريخ كالحكم الأردني، أما الاحتلال الاسرائيلي فلا يزال يمارس تهديده المتواصل للهوية الوطنية الفلسطينية، والعمل على استهدافها والإطاحة بها.

اختلفت رواية أبناء الأجيال الثلاثة حول تلك المؤسسات، بل واختلفت بين أبناء الجيل الواحد ذاته، ويعود ذلك إلى طبيعة التجربة التي عاشها الفرد في تلك الفترة، وقد ساد نوعاً من التكتّم على رواية أبناء الجيل الأول أثناء حديثهم عن تلك المؤسسات، ويرجع ذلك إلى أن بعضها ما زال قائماً.

وكالة الغوث الدولية كانت في رواية أبناء الجيل الأول تحمل صورة الواقع الذي عاشه اللاجئون في بداياتهم داخل مخيمات اللجوء، فكان العوز والحاجة هما سيد الموقف، فكانت روايتهم تحمل ضعفهم واتكالهم على ما تعطيهم اياه وكالة الغوث، نظراً لظروفهم المتردية التي كانت تحاصرهم بعد أن هُجّروا من بلادهم، بخلاف الجيل الثاني الذي رأى في وكالة الغوث مؤسسة وجدت لتعمل على أنسنة القضية الفلسطينية، وقضية اللاجئين، وتحويلها من قضية سياسية إلى قضية إنسانية في المقام الأول، أما أبناء الجيل الثالث فكانت بنيتهم المعرفية حول وكالة الغوث ضعيفة جداً، إذ لم يتمكنوا من إعطاء معلومات كافية لتشكيل صورة حول تلك المؤسسة التي تزامن وجودها مع وجود المخيم.

لا بد من الإشارة هنا إلى التغيّرات العمرانية التي طرأت على صورة وشكل المخيم، والتطورات والتحسينات التي أدخلها اللاجئون في الوحدات السكنية التي حصلوا عليها من وكالة الغوث، ونظرة المبحوثين لتلك التغيّرات على أنها أمر طبيعي يسعى له الأفراد لتحسين حياتهم، ولا علاقة له بالتنازل عن العودة لمدنهم وقراهم، والتأكيد على أن المخيم وأي مكان للجوء داخل أسوار المخيم أو خارجه، داخل أسوار الوطن أو خارجه، ما هو إلا محطة انتظار للعودة للقرى والمدن الفلسطينية.

تشابهت وكالة الغوث مع الحكم الأردني، فكانت رواية الجيل الأول تتماشى وواقع المعيشة، وتنمّ عن عجز وعدم اكتفاء لهولاء المبحوثين، فكانت روايتهم تمجّد بالحكم الأردني على أنه أتى ليحمي النظام، بخلاف الجيل الثاني الذي رآه يحمل مخططات سياسية تهدف إلى تفريغ المخيمات من محتواها، وإبقائها على وضعها الاقتصادي المتردي، والبعد السياسي لمنح اللاجئين الفلسطينيين الجنسية الأردنية من خلال آراء المبحوثين، ونظرتهم لتلك الخظة على أنها خطوة سياسية استعمارية، أما أبناء الجيل الثالث فكانوا الأقل دراية بتواجد الحكم الأردني داخل أراضي الضفة الغربية، وبالتحديد في مخيم الجلزون، وهذا يدلّ على ضعف آخر في البنية المعرفية للخلفية الوجودية لهذا الجيل داخل المخيم.

نلاحظ أن أبناء الجيل الثالث لم يتلقوا رواية عن تلك المؤسسات بخلاف تلقّيه عن حرب النكبة، والانتفاضة الفلسطينية الأولى، واتفاقية أوسلو، ووكالة الغوث، والسلطة الفلسطينية كما لاحظنا سابقا، هنا نتساءل عن الأسباب التي حالت دون وصول الرواية للجيل الثالث والتي أعتقد أن هناك سبب جوهري يقف وراء هذه الظاهرة، ألا وهو اختفاء آثار تلك المؤسسات عن أرض الواقع، مما أثّر على تناقل الرواية بشأنها.

شكّلت الرواية حول الاحتلال الاسرائيلي في الفترة الواقعة ما بين 1967-1987، تغييراً في مسار الرواية التي أدلى بها المبحوثونٍ، والتي عكست صورة الهوية الوطنية الفلسطينية لدى الأجيال الثلاثة من عينة الدراسة، فاتفق الجيلين الأول والثاني حول مظاهر فترة دخول الاحتلال الاسرائيلي التي ظهرت على مخيم الجلزون في تلك الفترة، والتي تمحورت حول زعزعة الأمن، والصدمة التي شكّلتها دخول القوات الصهيونية للمخيم، والتي كانت جموع اللاجئين قد ظنّت بأنها جيوش عربية آتية لتحرير فلسطين، وإنهاء معاناة اللاجئين، أما الفارق بينهما فكانت في نظرة الجيلين حول مسألة العمل في الأسواق الاسرائيلية، والتي نظر لها الجيل الأول باستحسان وذلك بسبب تردّي الحالة الاقتصادية لديهم، فكانوا بحاجة إلى أي وسيلة للحصول على المال، فيما راح الجيل الثاني إلى نقد تلك الظاهرة، وإن شكّلت بحبوحة اقتصادية للاجئين، إلا أنها كانت تخدم الاجندة الصهيونية، وذلك من خلال تدمير البنية التعليمية للشعب الفلسطيني وارغامه على التوجّه للعمل داخل الاسواق الاسرائيلية، اللافت هنا الجيل الثالث الذي تناول الاحتلال الاسرائيلي بصورة نقدية تجاه فتح الأسواق، إلا أنه أضاف منحى آخر في تشكّل هوية وطنية لديه لم تظهر لدى الجيلين السابقين، فكان الاحتلال الاسرائيلي مستمر ولا ينحصر بفترة محددة، فوجود الاحتلال الاسرائيلي لا يقتصر على الفترة التي تسلّم

فيها زمام الحكم في الضفة الغربية وما زال، والتي طالت المخيمات الفلسطينية أيضا، بما فيها مخيم الجلزون، فالهوية لديه من خلال الرواية حول الاحتلال الاسرائيلي تميّز باستمرارية الحدث.

أخيرا كانت مؤسسة السلطة الوطنية الفلسطينية، والتي نظر إليها الجيل الأول نظرة استياء عام، نتيجة المعاملة التي انتهجتها السلطة تجاه أبناء الشعب الفلسطيني، والذي تميّز بالمحاباه والواسطة، والفلتان الأمني والأخلاقي، وانعدام فرص العمل. فيما لم تكن رواية الجيل الثاني قادرة على إيصال صورة واضحة عنه، وهذا يجعلنا نتساءل حول الأسباب التي منعت أبناء الجيل الثاني من الحديث عن روايته حول مؤسسة السلطة الفلسطينية، وهنا أعتقد أن ذلك يعود إلى طبيعة العمل للأفراد أو لأقربائهم والتي تنطوي تحت إطار السلطة الفلسطينية، فالحديث قد يسبب ضرراً لهؤلاء الأفراد، لذا فضّلوا الصمت، أما أبناء الجيل الثالث الذي حمل الكثير من السخط واللوم على السلطة الفلسطينية، فكانت روايته حول السلبيات التي أتت بها السلطة منذ نشأتها والآثار التي ترتبت على وجودها، والتي انعكست بصورة أو بأخرى على القضية الوطنية الفلسطينية بشكل عام، وعلى قضية اللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص.

في الختام نلاحظ أن لكل جيل من الأجيال تجربته وروايته حول كل مؤسسة من المؤسسات التي تعاقبت على المخيم والتي شكّلت هويته الخاصة لكل جيل من الأجيال.

الفصل الرابع

النتائج والتوصيات

تمكّنت الدراسة من معالجة الإشكالية التي بنيت عليها هذه الرسالة، من خلال الفصول التي ناقشت كل منحى من مناحيها، ابتداءً بأثر حرب النكبة والنكبة المستمرة في الفصل الثاني، وآثارها على هوية اللاجئين والتي عملت على تعزيز هويتهم، وتبلورها بين الأجيال من حالة فردية إلى حالة جماعية ثم تحوّلها إلى قضية، وبذلك نكون قد أثبتنا صحة

الفرضية الأولى، أما الفرضية الثانية التي قامت على دراسة أثر كل من الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987م)، واتفاقية أوسلو، وأثر كل منها في تعزيز الهوية الوطنية، فكانت الانتفاضة الفلسطينية والتي أعطت الفلسطيني دافعاً للصمود بعد أن استطاع قهر الجيش الذي لا يُقهر، فأتت لتبني هوية وطنية جامعة بين أبناء مخيم الجلزون، بخلاف اتفاقية أوسلو التي أتت هادمة لآمال اللاجئين الفلسطينين، محدثة شرخاً بين صفوفهم، إلا أنهم وفي الوقت ذاته كانت ردود أفعال المبحوثين تؤكد على ثباتهم على هويتهم الوطنية، مشيرين أن هذه الاتفاقيات لا تثني من عزيمتهم شيئاً، ولا تعبّر عن توجهاتهم، وبذلك نكون قد أثبتنا صحة تلك الفرضية، ولا بد من الإشارة هنا إلى العلاقة بين الهوية والمكان في ذاكرة الأجيال من خلال روايات المبحوثين، وبعد أن قمنا بتحليل رواياتهم ومقارنتها بين الأجيال الثلاثة من عينة الدراسة، فإننا نؤكّد أن الهوية الوطنية الفلسطينية التي تبلورت لدى هذه الأجيال قد تشكّلت بدافع التهديد الذي وقع عليهم، بمعزل عن المكان، والذي يتمثّل بالمخيم، كمكان للجوء، فالهوية الوطنية الفلسطينية ترعرعت بين الأجيال من خلال الرواية التي استطاع الأجيال تناقلها جيلاً بعد جيل، فالمكان ما هو إلا حاضنة للهوية الوطنية الفلسطينية وليس مولّداً لها، فالقضية الفلسطينية بشكل عام، وقضية اللاجئين بشكل خاص، لا ترتبط بمكان اللجوء، بمقدار ما ترتبط بحق، وشعور، وانتماء لفلسطين التاريخية أينما حلّ هذا اللاجئ وارتحل.

أما المنحى الثاني من الإشكالية التي عالجتها هذه الدارسة ألا وهي: مؤسسات المجتمع المدني الرسمي وانعكاساتها على اللاجئين، وفيها تم دراسة تجربة الناس والتجمّع في المكان "المخيم" وعلاقتهم به من خلال المؤسسات الرسمية، إذ أظهرت نتائج المقابلات أن هناك اختلاف في تعامل اللاجئين عبر الأجيال ونظرتهم لتلك المؤسسات، والتي قامت على إخفاء الوجه الحقيقي لوجودها، والعمل على تحويل قضية اللاجئين من قضية سياسية إلى قضية إنسانية وهذا ما قامت به كل من وكالة الغوث الدولية، ونظام الحكم الأردني، حسب ما رواه بعض المبحوثين، والاختلاف في تلك التوجهات أعدناه إلى طبيعة الظروف والحياة بشكل عام لكل جيل من الأجيال، وبذلك أثبتت صحة الفرضية الثالثة والأخيرة من هذه الدراسة، والتي تقوم على إسهام مؤسسات المجتمع المدني الرسمي الذي تعاقب على مخيم الجلزون في إفراز هوية مختلفة بين الأجيال الثلاثة، وعلاقتها بالمكان تبعا للظروف المحيطة بها، واتضح ذلك في اقتصار علاقة اللاجئ من الجيل الأول بتلك المؤسسات على تأمين ظروف المعيشة من خلال رحلة تطوّر المسكن، والمساعدات التي كانت تقدّمها في حالة وكالة الغوث، ونظام الحكم الأردني، إذ اقتصر حديث الجيل الأول على طبيعة الحياة اليومية، وتوفير لقمة العيش،

والابتعاد عن التحليل السياسي رغم ادراكهم للمخططات التي كانت تهدف إليها تلك المؤسسات، إلا أن ظروفهم منعتهم من الحديث لاستمرارية المساعدات والحفاظ على الحياة، وهذا ما اختلف فيه أبناء الجيل الثاني والثالث، وينسحب هذا على آرائهم حول الاحتلال الصهيوني، ودخول السلطة الفلسطينية، والآثار التي انعكست على رواية كل جيل، ولا بدّ من التنويه إلى أن التطوّر الذي واكب شكل المخيم عمرانياً لم يؤثّر على هوية اللاجئين داخله، وإنما هو تطّور طبيعي ينشده الفرد بحثاً عن الاستقرار والأمن لحين العودة لقريته ومدينته.

في الختام أود أن أشير إلى أن تلك الدراسة قد تضاف إلى قائمة الدراسات الفلسطينية وقضايا اللجوء، إلا أنها تظلّ بحاجة إلى دراسات مساندة ومكمّلة لكل الجوانب التي لم تتطرق لها هذه الدراسة، والتي آمل أن تكون بابا لفتح أبواب جديدة من البحث حول قضايا اللجوء واللاجئين.

تتلخص التوصيات لهذه الدراسة في الآتي:

- ضرورة القيام بالعديد من المشاريع بالاعتماد على الرواية الشفوية للحفاظ على رواية الجيل الأول، واستمرارية تناقلها للأجيال، خاصة أن أبناء هذا الجيل باتوا قلائل، وإن وجدوا فقد يعانوا من أمراض تعيقهم عن الإدلاء بروايتهم.
- حثّ اللاجئين من أبناء الجيل الأول على الإفصاح عن روايتهم للأجيال المتلاحقة، وذلك من خلال عقد جلسات جماعية تجمعهم في إطار واحد، لتبادل الرواية الفلسطينية بينهم.
- الإهتمام بالنخبة المثقفة والواعية من أبناء الجيل الثاني والثالث، والالتفات إليهم وإعطائهم مواقعم ليشكّلوا جسرا من الوعي والإدراك لأبنائهم من الأجيال المتعاقبة، ويقع هذا على عاتق المؤسسات الرسمية والشعبية باستضافتهم، وفتح أبواب الحوار في العديد من المجالات التي تستحق البحث.
- القيام بتوعية الأجيال المتعاقبة بخلفية وجودهم داخل أماكن اللجوء، والمراحل التاريخية التي مرّوا بها، كي تتشكّل لديهم صورة واضحة عن تواجدهم، وتقع هذه المهمة على المؤسسات الأكاديمية والتعليمية، كدمج تاريخ فلسطين بشكل عام وتاريخ اللجوء بشكل خاص في المناهج الفلسطينية، كي تتمكّن الأجيال من الحفاظ على صيرورة وجود المخيمات والتي أفضت إلى اللجوء، والتغيّرات التي تعاقبت عليها سواءاً تغيّرات مكانية أو تغيّرات سياسية.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

"**الذاكرة الشفهية الفلسطينية والهوية الوطنية في ضوء تعدد المنافي والساحات**". 2004.صامد الاقتصادي. مج 26. ع135. ص 127-134.

أبو العلا، حسين. "**المخيم قراءة تاريخية حالة دراسية لمخيم برج البراجنة في بيروت**".1991. صامد الإقتصادي. ع83: 109-125.

أبو دحو، رلى. ليزا تراكي وآخرون. (2012). **أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

أبو معلا، سعيد. (2010)."**أدب النكبة تشكيل الهوية وبناء الذاكرة**". القدس. مج 12. ع 138. ص 58-61.

أرسلان، إبراهيم شكيب. (1986). **حرب فلسطين 1948 رؤية مصرية**. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

الأسرة الفلسطينية بين الحاضر والماضي: وظائف، خصائص، سمات، مظاهر التغيير، حضر، ريف، مخيمات فلسطين، وزارة الشؤون الإجتماعية. رام الله: الإدارة العامة للدراسات والمعلومات.2001.

اشتيوي. سعاد حسن محمد. (2007). **دمج سكان المخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية إقتصاديا وإجتماعيا وثقافيا في البنية الحضرية المجاورة: حالة دراسة لمخيم بلاطة–نابلس**. جامعة النجاح الوطنية.

بابيه، إيلان. (2010). "**التطهير العرقي في فلسطين**". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

بدوي، أحمد موسى. (2003). "**ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو**", مجلة إضافات. ع8.ص9-23.

البديري، موسى. ليزا تراكي"محرر".(1990). **المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة**. عكا: دار الأسوار.

بشارة، عزمي. "**بمناسبة الذكرى الستين للنكبة: في البحث عن معنى للنكبة**". المستقبل العربي، مجلد، 31، عدد، 352.

البطمة، ناديا. (2008). "**الذاكرة الشعبية الفلسطينية تعبّر عن ثقافة بيئية متقدمة: فصل الخريف في فلسطين:بداية السنة الزراعية**". مجلة فلسطينيات. ع5.

تاكنبرغ، لكس. (2003). **وضع اللاجئين الفلسطينين في القانون الدولي**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

تراكي، ليزا.(2008). **الحياة تحت الإحتلال في الضفة والقطاع: الحراك الإجتماعي والكفاح من أجل البقاء**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

تيري رمبل. (2007). "**من هم اللاجئون الفلسطينيون؟**". مجلة نشرة الهجرة القسرية، عدد، 26: 5-8.

جراد، نايف. (1998). "**اللاجئون الفلسطينيون: الإقتلاع والتشريد**". مجلة كنعان. عدد، 88. صفحات: 97-105.

جرار، ناجح. (1995). **الهجرة القسرية الفلسطينية**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية.

جرار، ناجح.(2003). **الأوضاع الاقتصادية والسياسية للمخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية مخيم بلاطة والفارعة كنموذجين**. مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل).

حمام، أنور.(1999). **الأوضاع الاجتماعية والديمغرافية للاجئين في مخيمات الضفة الغربية**.رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل).

حنفي، ساري. (1997). **بين عالمين رجال الأعمال الفلسطينيون في الشتات وبناء الكيان الفلسطيني**. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

حنفي، ساري. (2001). **هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز**. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية مؤسسة الدراسات المقدسية مواطن.

الخالدي، فضل. حسين مغامس.(2005). " التكيف والبقاء في السنوات الأولى بعد التهجير: دور النساء" حالة دراسة :مخيم الجلزون. دورية دراسات المرأة. المجلد3. ص 44-58.

الخالدي، محمد علي (تحرير).2010. **تجليات الهوية الواقع المعاش للاجئين الفلسطينيين في لبنان**. بيروت:مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الخالدي، وليد. (1998). **كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الخالدي، وليد.**كي لا ننسى**: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها. (1998). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

خوري، إلياس. (2012). "**النكبة المستمرة**". مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد 89: 37-50.

دراج، فيصل. 2008. **قضايا فلسطينية السياسة والثقافة والهوية**. رام الله: المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية.

دوماني، بشارة. (2010). "**المحذوفون من السرد التاريخي**". مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد، 84: 53-41.

ديفرو، سوفي ريختر. **إنه كشيء مقدس.. ثقافات سياسية مختلفة حول حق العودة** (ملخص). جامعة بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية.

ديفرو، سوفي. **إنه كشيء مقدس.. ثقافات سياسية مختلفة حول حق العودة (ملخص)**. جامعة بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية.

الريماوي، حسين. (2002). **خصائص السكان في مخيمات الأراضي الفلسطينية**. رام الله: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

الريماوي، حسين.(2007). **التطور التاريخي وتحليل التركيب الداخلي لمدينتي رام الله والبيرة دراسة في جغرافية المدن**. مجلة العلوم الإجتماعية. مجلد، 35. عدد،4. صفحات: 159-195.

زريق، قسطنطين. (1948). **معنى النكبة**. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين.

سالم، وليد. أبو شمالة، عبد الرحمن. محمد السباعنة. (2005). **دليل اللاجئ الفلسطيني**. رام الله: المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع بانوراما.

سعيد، إدوارد. (2000). **خارج المكان**. (ترجمة) فواز طرابلسي. بيروت: دار الآداب.

السقا، أباهر.2013, **الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة**. سلسة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1). قاعات منتزه بلدية البيرة.

سلامة، يوسف.(2004). **"إشكالية الذاكرة الشفهية الفلسطينية والهوية الوطنية"**. صامد الاقتصادي. مج 26. ع 136. ص 130-135.

سميث، باميلا آن. (د.م:د.ن، ؟-199). **فلسطين والفلسطينيون 1876-1983**.

سويدان، طارق. (2005). **فلسطين التاريخ المصور**. الكويت: دار الإبداع الفكري.

الشباب يتحدثون: نظرة على واقع الشباب في المخيمات الفلسطينية. رام الله: منتدى شارك الشبابي.(2008).

شريتح، أسمهان. (2005). **"الثالوث الفلسطيني: المنظمة، المخيم، الهوية"**. مجلة صامد الإقتصادي. مجلد 27. عدد 141: 34-55.

شريح، أسمهان.(2008). **"قراءة في وثائق النكبة"**. صامد الإقتصادي. مجلد 30، عدد 153. صفحات 53-75.

الشيخ، عبد الرحيم.2013. **الهوية الثقافية الفلسطينية "المثال" و "التمثيل" و "التماثل"**. سلسة وقائع المؤتمر السنوي الثاني (1). قاعات منتزه بلدية البيرة.

صايغ، روزماري.(1983). **الفلاحون الفلسطينيون من الإقتلاع إلى الثورة**. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

صايغ، يزيد. (2003). **الحركة الوطنية الفلسطينية 1949–1993 الكفاح المسلح والبحث عن الدولة**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الصوباني، صلاح. (1991). **"المعالم الرئيسة لأوضاع مخيمات اللاجئين في الضفة الفلسطينية المحتلة"**. ع83، 1991. ص 12-35.

طه، لبيب. (2005). **فلسطين قبل الضياع المدن والقرى الفلسطينية المدمرة**. رام الله: مركز يافا للنشر والتوزيع.

العارف، عارف. (د.س). **نكبة فلسطين والفردوس المفقود**. دار الهدى.

عاروري، تيسير. (1987). **"أضواء على خلفية الحرب ضد المخيمات الفلسطينية"**. الكاتب للثقافة الإنسانية والتقدم. مجلد،8. عدد، 83. صفحات 17-22.

عامل، مهدي. (2001). **في تمرحل التاريخ**. بيروت: دار الفارابي.

عاوور، صلاح حسن. (2009). **"الانتهاكات الصهيونية والصمود الفلسطيني قراءة في الذاكرة الفلسطينية"**. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات. ع17. ص 223-251.

عبد اللاوي، الناصر. (2012). **الهوية والتواصلية في فكر هابرماس**. لبنان: دار الفارابي.

عبد الهادي، علاء. (2007). **"شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل"** مجلة عالم الفكر. الكويت: عدد 1، مجلد 36.

عبدالجواد، صالح. (2006)."**تدمير الذاكرة الفلسطينية المكتوبة وضرورة استخدام التاريخ الشفوي"**. التراث والمجتمع. ع 42. .124-111ص

عبدالحميد، علي شعبان. (2009). **"التخطيط العمراني وإدارة الحيز المكاني في الأراضي الفلسطينية المحتلة"**. مجلة سياسات. عدد،9، صفحات: 120-140.

عدنان، جابر. (2008). **"تأملات في النكبة: الذاكرة والحنين وقوة السؤال"**. صامد الاقتصادي. مج 30.ع 153. ص 19-197.

عقل، محمود. (1992). **عين بيت الماء: مخيم اللاجئين الفلسطينين:دراسة في علم اجتماع المخيمات**. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (باسيا).

علان، ربيحة. (2005). **من القرية إلى المخيم دور المرأة الفلسطينية الريفية اللاجئة في الحفاظ على العائلة 1948–1962**. فلسطين: جامعة بيرزيت.

فيصل، علي. (1996). **اللاجئون الفلسطينيون ووكالة الغوث**. بيروت: شركة دار التقدم العربي.

قدسية، لبيب عبد السلام. (1990). **موسوعة المخيمات الفلسطينية**. عمان: د.ن.

قدسية، لبيب. (1990). **موسوعة المخيمات الفلسطينية**. عمان: (د.ن).

القلقيلي، عبد الفتاح.(2004). **الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين**. رام الله: شمل– مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني.

القلقيلي، عبد الفتاح، أحمد أبو غوش. ا2012. **الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكل والاطار الناظم**. بيت لحم: بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.

كبها، مصطفى. (2006). **نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة، إشكاليات وتحديات**. حيفا: مدى الكرمل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.

الكرمي، غادة. (2010). **الذاكرة والهوية– التجربة الفلسطينية"**. المجلة الثقافية. ع78. ص: 58–62.

كناعنة، شريف. (2000) **الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير؟**. فلسطين: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني (شمل).

كناعنة، شريف. (2011). **دراسات في الثقافة والتراث والهوية**. رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

كوثراني، وجيه.(2000). **الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل دراسات في البحث والبحث التاريخي**. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

اللاجئون الفلسطينيون في الشتات تقارير الدول. مركز بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين الفلسطينين.

اللاجئون الفلسطينيون والأنروا وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين"الأونروا. د.م: الأنروا. (1995).

المساعيد، نائل فتحي محمد.(2011). **اتجاهات الأطفال ومعارفهم في مخيمات محافظة بيت لحم نحو مكان السكن الأصلي لعائلاتهم والمهجرة ونحو العودة إليه**. جامعة بيرزت.

مصالحة، نور الدين. (1992). **طرد الفلسطينيين: *مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين، 1882-1948***. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

المصري، جهاد سليمان. (2009). " **ذاكرة المكان لدى المهجرين الفلسطينين وأثرها في ثقافة حق العودة**". مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات. عدد 17، صفحات: 181- 222.

مناع، جودت.(2009). **مخيمي ذكرياتي: قصة من فلسطين**. رام الله: باليديا أنستيتوت للإعلام.

منصور ليليان، بشارة.(2009). **الذاكرة الفلسطينية في رواية سرايا بنت الغول لإميل حبيبي: دراسة**. فلسطين: وزارة الثقافة الفلسطينية والهيئة العامة الفلسطينية للكتاب.

موريس، بني. (1993). **طرد الفلسطينين وولادة مشكلة اللاجئين وثيقة إسرائيلية**. عمان: دار الجليل.

الموسوعة الفلسطينية. (1984). دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية.

الموعد، حمد. (2000). **"الثابت والمتحول في سوسيولوجيا مخيم اليرموك"**. صامد الإقتصادي. مجلد 22. عدد. 121. صفحات: 195-210.

الموعد، سعيد حمد. (2002). **مخيم اليرموك: مقاربات في سيسيولوجيا المخيم الفلسطيني**. دمشق: دار الشجرة.

نبريص، خالد. جولييت أبو العيون. (2005). **حان الوقت لهم أن يتكلموا ولنا لأن نصغي نتائج الدراسة الميدانية لمشروع التوعية بحقوق اللاجئين في مخيم الجلزون**.رام الله: مركز بانوراما.

نمر، سونيا. (2006). **"ثورة 36 في الذاكرة الشعبية الفلسطينية"**. التراث والمجتمع. ع45. ص 45-60.

الهيئة العربية العليا لفلسطين. (1957). اللاجئون **الفلسطينيون، ضحايا الاستعمار والصهيونية: دراسة ومعلومات تفصيلية عن قضية اللاجئين الفلسطينيين**. القاهرة: مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين.

ياسين، عبد القادر. (1981). **كفاح الشعب الفلسطيني حتى العام 1948**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ياسين، عبد القادر. (2008). "**أسباب النكبة من داخلها**". صامد الإقتصادي. مجلد،30. عدد 153. صفحات: 129-140.

ياسين، عبد القادر. (2008). "**السيرة الذاتية للنكبة: كيف نسجت النكبة الفلسطينية؟**". صامد الإقتصادي. مجلد، 30، عدد، 153. صفحات 54-70.

يحي عادل.(2006). **قصة مخيم الجلزون "تاريخ شفوي"**. فلسطين: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

يحي، عادل وآخرون. 1994. **من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة دليل للمعلمين والباحثين والطلبة.** القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

يزبك، سمر.(2010) "**حياة على الهامش: اليرموك لا يحمل من المخيم إلا الإسم وجرمانا تجسيد حي لفكرة العزل**". مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد، 84. صفحات 140-151.

يورغن، هابرماس. (2002). **بعد ماركس،** (ترجمة) محمد ميلاد. اللاذقية: دار الحوار.

المراجع باللغة الإنجليزية:

Akram, S. "**Reinterpreting Palestinian Refugee Rights under International Law**" in Aruri, Nasser, *Palestinian Refugees: the Right of Return*, 2001.

Sayigh, R. "**Product and Producer of Palestinian History**: **Stereotypes of "Self" in Camp Women's Stories**" in *Journal of Middle East Women's Studies*. Vol. 3, No. 1, Special Issue: Transnational Theory, National Politics, and Gender in the Contemporary Middle East/North Africa (Winter 2007), pages, 86-105.

Said, Edward and Jean Mohr. ***After the Last Sky***. New York: Columbia University Press, 1999.

Diana Allen, "**The Politics of Witness**: **Remembering and Forgetting 1948 in Shatila Camp**," in *Nakba: Palestine, 1948 and the Claims of Memory*. Ahmad H. Sa'di and Lila Abu Lughod, eds. (New York: Columbia University Press, 2007), pages 253-282.

Peteet, J. "**Problematizing a Palestinian Diaspora**" in *International Journal of Middle East Studies*, 39 (4), pages 627-646.

Peteet, Julie. **Landscape of Hope and Despair**: Palestinian Refugee Camps the Ethnography of Political Violence. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2009.

Abbas Shiblak, "Passport for What Price? Statelessness among Palestinian Refugees", in ***Palestinian Refugee: Identity, Space and Place in the Levant***, A. Knudsen and S, Hanafi, eds. London: Routledge,2010, pages 113-128.

Hammer, Juliane. ***Palestinians Born in Exile: Diaspora and the Search for a Homeland***. Austin: University of Texas Press, 2005.

Meyer, Hans -Georg, Wiegerling, Klaus. **Homeland**: **Which Shines into the Childhood of All and in which No One Has Yet Been**: German- Israel, Palestinian reader. Frankfurt / main: Brandes& Apsel. 1997.

Masalha, Nur .***The Palestine Nakba: Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory*.** London: Zed Books ltd.2012

المواقع الإلكترونية:

www.palestineremembered.com

سعيد، إدوارد. 2004. "الاختلاق.. الذاكرة والمكان". العربية.نت.

على الموقع الالكتروني:

http://www.alarabiya.net/views/2004/08/31/6068.html

http://www.1umn.edu/humanrts/instree/ainstls1.htm. UN Human Rights Conventions

قراقع، عيسى .2006. حق العودة في المناهج التعليمية الاسرائيلية في مأزق أخلاقي في الثقافة العبرية.

على الموقع الالكتروني:

http://www.badil.org/ar/annual-al-awda-award/item/387

http://www.plord.ps

عبد الجواد، صالح. 2015. المذابح الاسرائيلية خلال حرب 1948 وخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. سلسلة كي لا ننسى جرائم اسرائيل. ع2.

على الموقع الالكتروني:

http://www.pal-monitor.org/news.php?item.243

الشلبي، محمد أمين. 2013. وكالة الغوث الدولية إلى أين؟

على الموقع الالكتروني:

http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/316012.html

الملاحق

قائمة المصادر الشفوية (مقابلات مسجلة):

الجيل الأول:

الرقم	الإسم	العمر	القرية/ المدينة الأصل	العمر عند الخروج	تاريخ المقابلة
1	أبو إبراهيم	83	بيت نبالا	17	8/7/2013
2	أبو جمال	77	بيت نبالا	13	4/7/2013
3	أبو مسعود	85	بيت نبالا	20	28/6/2013
4	أبو محمد	85	السافرية	20	19/5/2014
5	أبو خليل	75	الخيرية	10	21/5/2014
6	أبو فادي	70	العباسية	8	8/5/2014
7	أبو جهاد	85	عنابة	19	9/5/2014
8	أم موسى	80	بيت نبالا	15	17/5/2014
9	أم عليان	72	رنتية	10	29/6/2013
10	أم ياسر	83	بيت نبالا	18	28/6/2013
11	أم عمر	80	وادي حنين	15	4/7/2014
12	أم سمير	72	اللد	6	18/5/2014
13	أم صالح	72	العباسية	6	15/5/2014
14	أم رائد	72	دير طريف	6	8/5/2014
15	أم غازي	72	الدوايمة	6	11/5/2014

الجيل الثاني:

الرقم	الإسم	العمر	القرية/ المدينة الأصل	تاريخ المقابلة
16	عبدالعزيز	51	بيت نبالا	29/6/2014
17	عبد الله	53	بيت نبالا	18/5/2014
18	داوود	63	المزيرعة	3/5/2014
19	أحمد	54	الدوايمة	29/6/2014
20	رمضان	62	العباسية	19/5/2014
21	عبد الفتاح	57	العباسية	20/5/2014
22	أبو مظفر	67	عنابة	28/6/2015
23	وليد	54	العباسية	20/5/2014
24	فخرية	43	بيت نبالا	22/6/2014
25	أمينة	52	وادي حنين	22/6/2014
26	أماني	48	بيت نبالا	30/8/2013
27	صبحية	50	العباسية	15/5/2014
28	أديبة	53	اللد	18/5/2014
29	أم أحمد	68	بيت نبالا	24/5/2014

الجيل الثالث:

الرقم	الإسم	العمر	القرية/ المدينة الأصل	تاريخ المقابلة
30	ربى	42	دير طريف	2/7/2014
31	ناهد	42	عنابة	19/5/2014
32	وفاء	37	أم الزينات	28/5/2014
33	سعاد	32	يافا	25/5/2014
34	رشا	20	طيرة دندن	25/5/2014
35	نرمين	21	بيت نبالا	28/6/2014
36	نورة	21	البريّة	21/5/2014
37	سديل	23	عنابة	19/5/2014
38	أدهم	30	العباسية	25/5/2014
39	شريف	36	اللد	20/7/2014
40	خلدون	26	بيت نبالا	22/6/2014
41	علاء	27	بيت نبالا	29/5/2014
42	حسين	30	بيت نبالا	13/5/2014
43	معاذ	22	طيرة دندن	3/6/2014
44	نسيم	22	الدوايمة	3/6/2014
45	أيسر	29	اللد	26/5/2014

*ملاحظات: تم اعتماد أسماء مستعارة للمبحوثين بناءاً على طلبهم.